

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سَيِّدُ الثَّقَلَيْنِ

مَجَلَّةُ اِثْنِ اَلْاُمِّيَّةِ جَامِعَةِ

العدد الثمانون • السنة الحادية والعشرون • ٢٠١٨ - ٢٠١٩ م

المراسلات والاتصالات باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:

الجمهورية الإسلامية في إيران - قم. ص.ب: (٨٩٤ - ٣٧١٨٥)

هاتف: ٢١٣١١ (٠٠٩٨٢٥١) فاكس: ٢٩١٣١٠٠ (٠٠٩٨٢٥١)

موقعنا على الانترنت

WWW.ahl-ul-bayt.org

البريد الالكتروني للمجلة: Tahrir-thaqalayn@hotmail.com

محتويات العدد

□ كلمة التحرير

- ✳ استراتيجيات الاقتصاد المقاوم في مواجهة الاستكبار العالمي
رئيس التحرير ٤

□ عبق الولاية

- ✳ مفهوم الاقتصاد المقاوم في فكر السيد القائد (دام ظله)
محمد باقر كچاك ١٠

□ نور الثقلين

- ✳ دراسة في مباني واصل الاقتصاد المقاوم من منظور قرآني
الدكتور محمد رحمان بور / ترجمة: مصطفى داود ٣٨
- ✳ تحصيل ظهور زمن الصدور بين أصالة عدم النقل واطراد الاستعمال
حسن فواز ٦٢

□ الدراسات العقائدية والفكرية

- ✳ يميل حيثما مال الدليل؛ من الإلحاد إلى الاعتقاد
الشيخ هاشم الضيقة ٨٤
- ✳ الإمامة الإلهية في القرآن ومدرسة أهل البيت (عليه السلام)
الشيخ محمود سرائب ١٢٠

□ الدراسات التربوية

- ✳ الوظائف التربوية الأسرية استناداً إلى تحليل مضمون الأدعية الرضوية
محمد عترت دوست / ترجمة: ياسر طفيلي ١٤٠

- تعنى بالدراسات والنتائج الفكرية، خصوصاً التي تصب في خانة الدفاع عن حريم القرآن الكريم والنبي الأمين (عليه السلام)، وآل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، في جميع الأبعاد المختلفة.
- تستقبل رسالة الثقلين نتائج العلماء والمفكرين المشتملة على الشروط التالية:
 - ◀ أن تكون خاضعة لأسلوب البحث العلمي منهجاً ومنهجية ومضموناً.
 - ◀ أن لا تكون قد نُشرت سابقاً.
 - ◀ أن لا تكون عملاً مكرراً، بل لا بد أن تحتوي على شيء من التجديد والحداثة. والأولوية دائماً للدراسات الفكرية المستحدثة.
 - ◀ أن لا تنقص عن عشرة صفحات، ولا تزيد على الخمسين. والصفحة الواحدة تتضمن (٢٥٠) كلمة.
 - ◀ أن تُرفق المقالة بخلاصة لها في صفحة واحدة.
- الآراء الواردة في ما يُنشر لا تعبر بالضرورة عن رأي المجمع أو المجلة.
- تسلسل الموضوعات المنشورة يخضع لاعتبارات فنية محضة.
- لا تعاد المقالات المرسلة إلى المجلة، نُشرت أم لم تنشر.



المشرف العام
الشيخ محمد حسن اختري

رئيس التحرير
الشيخ محمود سرائب

مدير التحرير
الشيخ محمد كامل سليم

العدد الثمانون
السنة الحادية والعشرون

١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ - ٢٠١٩ م

المطبعة: خاتم الأنبياء

* أصول وطرق تعليم مفهوم الإله وتقوية الاعتقاد به عند الأطفال والناشئة

..... فاطمة وجداني / ترجمة: محمد علي بيضون ١٧٢

□ الدراسات الأخلاقية

* التجاهر بالذنب

..... الشيخ سيف الدين العلوي ٢٠٣

□ قراءة في كتاب

* دراسة حول كتاب مصباح الشريعة

..... الشيخ إبراهيم جواد ٢٢٢

استراتيجية الاقتصاد المقاوم في مواجهة الاستكبار العالمي

□ بقلم رئيس التحرير: الشيخ محمود سراناب

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾^(١).



إن الإسلام يرى أن المحيط السالم الذي يمكن للإنسان أن يعيش فيه، هو ذلك المحيط الذي يوفر الحرية للإنسان، ويضمن له العمل بما يعتقد دون مانع أو أذى، ويرى الإسلام - أيضا - أن المحيط الذي يسوده الكبت والإرهاب والقمع، ولا يستطيع المسلم فيه إظهار عقيدته أو إعلان إسلامه، فهو محيط لا يجدر بالإنسان المسلم أن يبقى فيه، لذلك فإن الآية تنقل عن المؤمنين دعاءهم إلى الله لكي يخلصهم من مثل هذا الجو المملئ بالقمع والإرهاب.

وعلى الرغم من أن مكة كانت ملجأ وملأذا للمهاجرين، فإن تفشي الظلم فيها جعل المؤمنين يدعون الله لإتقاذهم من ظلم أهل هذه المدينة، وييسر لهم سبيلا إلى الخروج منها^١.

والمتبع لظاهرتي (الاستكبار) و (الاستضعاف) والصراع بينهما في القرآن الكريم، يخلص إلى أن فلسفة الإسلام في تناول هذا الصراع إنما يقوم على تقديسه لقيمتي (الحرية) في اختيار الحركة في الحياة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢). ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^٣. ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصِطِرٍ﴾^(٤). من جهة، وقيمة (كرامة الانسان)، كل إنسان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٥) من جهة أخرى.

والإسلام حينما يخاطب الانسان بأحكامه إنما يريد أن يكون اختياره حراً حتى يكون التزامه نابعا عن قناعة تامة، فإذا ما حيل بين الإنسان وبين حقه في ممارسة حريته وحماية كرامته، استنهض الإسلام الأمة للقيام بواجب الدفاع ولو بالقوة عن هذه الحقوق الأساسية المنتهكة، لأن في استمرار انتهاكها تكريس لحالة (الاستضعاف) التي يرفضها الإسلام ويدعو الى التمرد عليها والانقضاض على حصونها وهدمها كما هي الآية الكريمة التي افتتحنا بها.

وقد حرص الإسلام في إرسائه لقواعد بنيان المجتمع الإنساني وفي قلبه المجتمع الإسلامي، على استبعاد كل صور القهر والاستضعاف والاعتداء والاستعباد المعاصر والذي وإن اختلف مع الاستعباد القديم في ملامحه الخارجية فإنه يلتقي معه في

١ - الشيرازي، ناصر مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٣، ص ٣٣٠.

٢ - سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

٣ - سورة يونس، الآية ٩٠.

٤ - سورة الغاشية، الآية ٢٢.

٥ - سورة الإسراء، الآية ٧٠.

الجوهر من حيث أنه يهدف - كما القديم - إلى السيطرة الكاملة على جسد وروح وامكانيات (المستعبد/ المستضعف)، وتسخيره لمصلحة (السيد) دونما النظر الى النتائج المدمرة لهذا السلوك عليه .

وفي مقابل ذلك، سعى الإسلام الى ترسيخ منظومة قِيَمِيَّة تضمّن علاقة صحية بين الأمم والشعوب مبنية على الاحترام المتبادل، والاجتماع على ما فيه خدمة المجتمع الإنساني وضمان تمتعه بحقوقه وأمنه وتطوره ونمائه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٢)، وقوله سبحانه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٣) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٤) .

والمصطلح القرآني الملازم لمصطلح الاستضعاف هو الاستكبار ومفهومه في القرآن هو أن يعتبر عنصر أو شخص أو جماعة أو تيار نفسه فوق الحق ولا يخضع للحق ويجعل نفسه وسلطته ملاكاً للحق! وأول مستكبر في التاريخ الذي يرسمه القرآن للبشر هو إبليس: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾^(٥) . إنه أول المستكبرين .

١- سورة الحجرات، الآية ١٣.

٢- سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

٣- سورة الممتحنة، الآيتان: ٨-٩.

٤- سورة البقرة، الآية ٣٤.

ويطلق الاستكبار في ثقافة الثورة الإسلامية على مجموعة القوى التي تستند إلى قدراتها السياسية والعسكرية والعلمية والاقتصادية وتعتمد على نظرة تمييزية للإنسان لتستغل المنظومات الإنسانية الكبرى - أي الشعوب والحكومات والبلدان - وتضغط عليها وتسيطر عليها بشكل تعسفي مذل. تتدخل في شؤونها وتتطاول على ثرواتها، وتتعامل مع حكوماتها بمنطق القوة، وتظلم الشعوب وتهين ثقافتهم وأعرافهم وتقايلدهم.

والقوى الاستكبارية هي تلك التي تمسك إدارة جزء كبير من العالم في قبضة اقتدارها وعسفها وقدراتها المالية.

ومظهر الاستكبار - بمعناه القبيح المقرّر - في العالم اليوم هو أمريكا، وإلا ليست القضية قضية معاداة عرق معين أو شعب أو بلد بحد ذاته. القضية هي أن لكل شعب عزته وشخصيته ولا يرغب للقوى الخارجية أن تتلاعب بهذه العزة بما لها من قوة و خداع. ولكل شعب ثروته ولا يرغب أن تنهب ثروته.

أقام الاستكبار أسسه على الظلم والجور والعدوان، والحكومة الأمريكية وهي قمة الاستكبار هي اليوم أسوء حكومة في العالم من حيث الاستكبار. أقامت هذه الحكومة وضعها على أساس مجابهة أي بلد أو حكومة لا تكون على استعداد لتأمين مصالحها. فهل ثمة كفر واستكبار أسوء من هذا؟! وللاستكبار العالمي مخططات تتلخص في أمور ثلاثة الأولى: الحرب النفسية، والثانية: الحرب الاقتصادية، والثالثة: مواجهة التقدم والاقتدار العلميين.

وتعتبر الحرب الاقتصادية نمط آخر يتوخون من خلاله التضييق على شعوب العالم في الشؤون الاقتصادية. يهددون بفرض الحظر الاقتصادي.

واستراتيجية المواجهة التي طرحها الإمام الخامنئي^(دام ظله) لمواجهة هذا النوع من الاستكبار هو الاقتصاد المقاوم. وذلك لتعزيز الاعتماد على الذات اقتصادياً، وهي

الاستراتيجية التي من شأنها أن تحبط الجهود التي تقودها الولايات المتحدة ضد إيران عبر العقوبات الاقتصادية والتجارية.

وقال الإمام الخامني: "الاقتصاد المقاوم هو نمط ملهم من النظام الاقتصادي الإسلامي وفرصة جيدة لخلق الملحمة الاقتصادية"

واستعرض الإمام الخامني^(دام ظلّه) العناصر العشرة المكونة لخطة الاقتصاد المقاوم خلال استقباله حشداً من مسؤولي الأجهزة التنفيذية والتشريعية والقضائية وكذلك مسؤولي مختلف المراكز والمؤسسات الدينية والرقابية والاقتصادية والعلمية والإعلامية في البلاد، فهي كالآتي (باختصار):

العنصر الأول: هو إيجاد التحرك والحيوية في اقتصاد البلاد وتحسين المؤشرات الاقتصادية العامة وأضاف، انه ومع تنفيذ الخطوط العريضة للاقتصاد المقاوم مثل النمو الاقتصادي والإنتاج الوطني والعدالة الاجتماعية وتوفير فرص العمل، سينخفض التضخم وتحسن الرفاهية العامة ويتحقق الازدهار الاقتصادي.

العنصر الثاني: هو قدرة المقاومة أمام العوامل التي يمكن أن تشكل تهديداً. وقال: إن هذه الطاقات تشمل الطاقات العلمية والبشرية والطبيعية والمالية والجغرافية والمناخية الواسعة والتي ينبغي الاعتماد عليها لتنفيذ هذه السياسات.

العنصر الثالث: هو الاعتماد على الطاقات الداخلية وأضاف أن الاعتماد على الطاقات الداخلية لا يعني تجاهل إمكانيات الدول الأخرى بل إن النظام الإسلامي وإلى جانب اعتماده على طاقاته الداخلية يستفيد أيضا إلى أقصى حد من إمكانيات سائر الدول.

العنصر الرابع: هو النهج الجهادي لخطة الاقتصاد المقاوم وأضاف، إن تنفيذ هذه السياسات ليس ممكناً بحركة عادية، بل هو بحاجة إلى تخطيط ونهضة علمية وعزيمة وإدارة جهادية.

العنصر الخامس: هو الاعتماد على الشعب محورا وأضاف، انه بناء على المعارف الإسلامية والدينية وكذلك على أساس خبرات الأعوام إل ٣٥ الأخيرة، فقد شملت الرعاية الإلهية الأمور وتقدمت الأعمال إلى الإمام في أي ساحة دخل الشعب فيها.

العنصر السادس: للاقتصاد المقاوم هو توفير أمن السلع الإستراتيجية خاصة الأغذية والأدوية وتحقيق الاكتفاء الذاتي فيها.

العنصر السابع: هو خفض الاعتماد على عائدات النفط .

العنصر الثامن: للخطة هو تعديل نمط الاستهلاك، مؤكدا على المسؤولين تجنب الإسراف والتبذير بصورة جدية في نطاق مهمات عملهم ومن ثم على صعيد حياتهم الشخصية وأوضح بان التزام المسؤولين بعدم الإسراف سيؤدي إلى ترويح هذه الروح في المجتمع وأضاف، إن القصد من تعديل نمط الاستهلاك ليس الصرامة والتقشف بل الاستهلاك بناء على النموذج عقلائي وحكيم وصحيح وإسلامي .

العنصر التاسع: للخطة هو مكافحة الفساد وقال، إن الضرورة للأنشطة الاقتصادية السليمة هو الأمن الاقتصادي الذي يحتاج بدوره إلى التصدي للمفسدين الاقتصاديين والأشخاص الذين يلتفون على القانون.

العنصر العاشر: والأخير هو محور العلم، وأكد بان ظروف البلاد اليوم من حيث التقدم العلمي هي بحيث يمكننا من خلالها إن نجعل الوصول إلى الاقتصاد المرتكز على العلم والمعرفة ضمن أهدافنا، وأضاف، إن الاقتصاد المرتكز على العلم يعتبر من أهم البنى التحتية الاقتصادية لأي بلد ولو جرى الاهتمام بهذا الموضوع جديا فان عجلة العلم حتى الثروة ستكتمل بالتأكيد.

مفهوم الاقتصاد المقاوم ومبانيه في فكر السيد القائد (حفظه الله)

□ الشيخ محمد باقر كجك (*)

تتنوّع أوجه الهجوم الذي يقوم به العالم الاستكباري على الثورة الإسلامية في إيران: فمن الحرب العسكرية والحرب الأمنية إلى الدبلوماسية والفكرية والثقافية والقيمية بل وحتى الحرب الاقتصادية، والهدف هو القضاء على هذا النموذج الفريد؛ وذلك لما يشكل من ضربة حقيقية لبقية آمال المستضعفين في العالم.

لقد واجهت الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني (قده) في بداية الثورة مختلف المخاطر الوجودية، الداخلية منها والخارجية، والتي ارتبطت خيوطها كلها بأصابع استكبار الشر الأميركي، غير أنّها خرجت منها منتصرةً وأشدّ توهجاً وإثارة لآمال الشعوب المسلمة والمستضعفة. ثم بدأت مرحلة ذات طبيعة مختلفة من التحديات، في ظل قيادة الإمام الخامنّي دام ظله، حيث واجهت الثورة الحرب الثقافية والأمنية والسياسية والعلمية وكانت الثورة تحقّق النجاح تلو النجاح والتطور عقب التطور؛ فباتت الجمهورية الإسلامية رقماً صعباً في العديد من المجالات الحيوية التي تُبنى عليها الدول في العصر الحديث. ولكن وخلال السنوات الأخيرة برز تحدّي خطير آخر في وجه الثورة، فقد كان هذا التحديّ على درجة من الخطورة بمكان دفع السيد القائد حفظه الله إلى التعامل معه بمستوى التهديد البنيوي الأوّل، والذي ينبغي أن يتمّ العمل على مواجهته بأساليب فريدة مشتقة من ثقافة الثورة الإسلامية وأديانها، وهو خطر

(*) طالب علوم دينية، كاتب وباحث في الفكر الإسلامي. متخصص في علم الاجتماع والانثروبولوجيا التربوية.

”الحرب الاقتصادية” التي تشنها الدول الاستكبارية وعلى رأسها الحكومات الأميركية المتعاقبة وتتابعها في ذلك المنظومة الدولية الخاضعة لها.

وعليه فإن الحرب الاقتصادية هي التهديد البنيوي الجديد؛ وذلك لما تبتني عليه من مجموعة كبيرة ومعقدة من المفاهيم والنظم والأساليب والمؤسسات والقوانين الدولية التي يمسك بها النظام الدولي الاستكباري بقوة ويستخدمها في تحقيق مصالحه بل أنه يستخدمها لمعاقبة أعداءه. فهي حرب خفية وناعمة تستهدف بالدرجة الأولى تحطيم نموذج الثورة الإسلامية أمام شعبها وكذلك أمام بقية الشعوب، وذلك بأن تبدو عاجزة عن إيجاد نموذج حياة اقتصادية ذات مستوى قابل للاستمرار وتحقيق أهداف عالية تماثل مبادئ الثورة الإسلامية.

ومن هنا قدم السيد القائد منظومة متكاملة للتصدي لهذه الحرب الاقتصادية، تحت عنوان ”الاقتصاد المقاوم”، وسنقوم في هذه المقالة بتبيين عدد من النقاط:

١- تحديد مفهوم ”الاقتصاد المقاوم”.

٢- أصول ”الاقتصاد المقاوم” في فكر السيد القائد حفظه الله.

حيث سنعمد بشكل حصري على أكثر من ١٥٥ موضعاً من خطب السيد القائد منذ سنة ١٣٩٢ وحتى ١٣٩٧ هـ ش، والتي تناول فيها مفهوم الاقتصاد المقاوم شرحاً وتبييناً. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المقالة - في جمعها لأغلب الأصول الإجرائية والمفاهيمية للاقتصاد المقاوم في فكر السيد القائد حفظه الله - مبنية على مجموعة من الأصول القرآنية والشرعية التي يعتمد عليها الاقتصاد المقاوم، وإن كان الأعم الأغلب من هذه المباني والأصول الإجرائية إنما هي من قبيل الأحكام الولائية والتدبيرية التي على أساسها تنظم الحياة الاقتصادية في المجتمع الإسلامي، وسيلحظ القارئ المدقق هذا الأمر، فهي بالتالي واقعة تحت حكومة المباني والعمومات والأحكام الشرعية الكلية والجزئية للاقتصاد الإسلامي.

كلمات مفتاحية: الاقتصاد المقاوم، المباني والأصول، السياسات الاقتصادية، الاقتصاد الإسلامي، الاستكبار.

أولاً: تعريف مفهوم "الاقتصاد المقاوم"

يختلف "الاقتصاد المقاوم" عن مفاهيم أخرى شبيهة به كمفهوم "المقاومة الاقتصادية" و"المقاطعة الاقتصادية"^(١) أو "الجهد الاقتصادي" أو "التقشف الاقتصادي"، في أنه يتجاوز هذه المفاهيم الوظيفية إلى صناعة نظام اقتصادي متكامل. وقد أسمىها "وظيفية" لأنها تقترح مجموعة من الوسائل والأدوات والآليات الجزئية التي توفرها الأنظمة الاقتصادية "الموجودة" في سياق مواجهة العدو سواء المحتل أو الذي يشكل تهديداً. وهذا ما قامت به المقاومة الفلسطينية في أكثر من مرحلة من مراحل المواجهة مع العدو الإسرائيلي، وكذلك الشعوب العربية في مقاطعتها للبضائع الإسرائيلية أو الشركات الأجنبية التي تصب جزء من أرباحها بشكل مباشر في دعم العدو الإسرائيلي. إنها تقنية الاستفادة من النظام الاقتصادي الموجود في تطوير آليات شعبية (Popular Mechanisms) لإنتاج نوع من المقاومة الاقتصادية (Economic Resistance) لتقوم بوظيفة الحد من تأثير العدو وتهديده.

١ - هناك عدة أنماط للمقاومة الاقتصادية أو المقاطعة الاقتصادية كما يشرحها: الربيعي، صلاح حسن،

استراتيجية حروب التحرير الوطنية، مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٥، ط ١، ص ٦٦.

حيث يقول: "من أهم أساليبها مقاطعة منتجات دولة العدوان والاحتلال، ومنعها من استغلال ثروات البلد في حالة خضوعه للاحتلال، وبناء البديل الاقتصادي الوطني القادر على تلبية الاحتياجات الاجتماعية وعلى بناء الأسس الاقتصادية للقوة السياسية العسكرية للأمة.

ويقول بأنها تنطوي على ثلاثة أنماط (ص ٦٧):

- المقاومة السلبية (يعني مقاطعة الدولة المعادية اقتصادياً).

- استخدام الوسائل السلمية لمنع الدول المعادية من استغلال الثروات أو استنزافها.

- بناء قواعد لاقتصاد وطني قوي يسمح ببناء قوة عسكرية لمواجهة العدوان.

غير أنَّ الاقتصاد المقاوم وبحسب ما يطرحه السيّد القائد يغاير تلك الدعوات التي تصاعدت في أنحاء من العالم الإسلامي حول مفهوم الجهاد الاقتصادي تراجع كتاب بناء الاقتصاد في الإسلام^(١) وكتاب من صور الجهاد الاقتصادي للشعوب المسلمة^(٢) - بمعنى المقاطعة الاقتصادية أو تمويل العمليات العسكرية الجهادية وما يرتبط بميدان الجهاد (وهو اصطلاح استخدمه السيّد القائد في بدايات الـ ٢٠٠٩ ليعود إلى صياغة مفهوم الاقتصاد المقاوم فيما بعد كما سنقوم بشرحه)، وغيرها من الأدبيات المشابهة التي تصاعدت في دول إسلامية أخرى كماليزيا وأندونيسيا على سبيل المثال.

يتجسّد كلُّ نظام اقتصادي دائماً في مجموعة من المبادئ التي يتركز عليها إطارٌ محدّد لتنظيم النشاط الاقتصادي. فمن ناحية، تستند هذه المجموعة من المبادئ إلى نظرة فلسفية خاصة في النشاط الاقتصادي، ومن ناحية أخرى، يشكل تفاعل هذه المبادئ إطاراً للنشاط الاقتصادي، ويوجهها إلى الإتجاه المطلوب للنظام. وعلى هذا، فإنّ كلَّ نظام اقتصادي يشمل ثلاثة عناصر: الفلسفة الاقتصادية، ومجموعة من المبادئ، ومناهج العمل التي تطبق المبادئ الاقتصادية.

في هذا الإطار، هناك فرضيتان: الأولى تفترض أنّ الاقتصاد المقاوم هو اصطلاح مرادف للاقتصاد الإسلامي، وبعبارة أخرى، الاقتصاد المقاوم هو ذاته نظام الاقتصاد الإسلامي. ولكنّ الذي يراجع كلام السيّد القائد حفظه الله، يجد أنّ هذه الفرضيّة مردودة لأنّ السيّد في عشرات الموارد قام بالتأكيد على مفهوم الاقتصاد المقاوم في عرض الاقتصاد الإسلامي، بل هو يصرّح بأنّ الاقتصاد المقاوم هو شكلٌ خاصٌّ من

١- أبو المكارم، بناء الاقتصاد في الإسلام، دار الكتب المصرية، وكالة الصحافة العربية، الجزيرة، مصر، ط ١،

ص ٦٠.

٢- عبد المعطي، خالد، من صور الجهاد الاقتصادي للشعوب المسلمة، القاهرة، دار الكلمة، ١٩٧٩ م، ط ١،

ص ١٦.

النظام الاقتصادي الإسلامي الذي يتشكل في حال وجود تهديد وضغوطات اقتصادية من قبل العدو^(١).

ومن هنا لا بدّ من أن يستهدي نظام الاقتصاد المقاوم بنور القواعد والمباني الكلية للاقتصاد الإسلامية، والقيم والشريعة الإسلامية. ولا يصح انتقاد هذا الاتجاه في شرح مفهوم الاقتصاد المقاوم بإشكالات من قبيل أنّ الاقتصاد الإسلامي هو أصلاً نظاماً افتراضياً غير موجود، وأنّ المطبّق منه يجعله نظاماً لا يتصرّف من منطق القوة والحكومة على غيره من الاقتصاديات الكونية، فهو لا يزال اقتصاداً وليدًا بقدم عرجاء، إذ يرّد على هذه الإشكالات أنه مع التسليم بعدم وجود نظام اقتصاد إسلامي حاكم وواضح وذو آليات معيّنة ومحددة، إلا أنّ الاقتصاد المقاوم لا يمكن إلا أن ينطلق من أسس قرآنية، وشرعية إسلامية، وبالتالي فكلما اتّسعت وقويت أركان الاقتصاد الإسلامي كلما أثر ذلك في رسوخ أكثر في المرجعيات النصّية والدينية للاقتصاد المقاوم وتأمينه من الوقوع في المحاذير التي يرفضها الإسلام.

ولا يصحّ التذرّع أيضاً (كما فعل سيفلو في مقالته)^(٢) بأن الظرف الذي يتحرك فيه الاقتصاد المقاوم هو الظرف الإسلامي، وهذا لا يعني أنّه فرع من الاقتصاد الإسلامي، والدليل على ذلك أنّ الاقتصاد المقاوم مفهوم عالمي طبقته دول أخرى (كما يشير إلى ذلك السيّد القائد)^(٣)، إذ أن هذا لا يعني بتاتاً أن الظروف الموضوعية من كون

١- ماهنامة مبلغان، سال شانزدهم، شماره ١٧٩ عنوان: اقتصاد مقاومتي از دیدگاه مقام معظم رهبری، سید

حسین میر معزی، ١٣٩١، ص ١٠٢.

٢- سيفلو، سجاد؛ مجله معرفت اقتصادي، بهار و تابستان ١٣٩٣ - شماره ١٠ علمی پژوهشی (وزارت علوم،

ص ١٥١ تا ١٧٣).

٣- "النزعة إلى الاقتصاد المقاوم ليست خاصة بنا فقط. اليوم، في العديد من البلدان - خاصة في السنوات الأخيرة - مع التأثيرات الاقتصادية الشديدة التي ظهرت في العالم، سعت العديد من الدول إلى إعادة بناء اقتصاداتها بناء للاقتصاد المقاوم". (مقام معظم رهبری، ١٣٩٢).

الجمهورية الإسلامية لكونها إسلامية فإن ردات فعلها الاقتصادية المسماة بالاقتصاد المقاوم لا يعني أنها مرتبطة بنيوياً بالنظام الاقتصادي الإسلامي، بل العكس تماماً، إذ السيد القائد يعتقد بأن الاقتصاد المقاوم في جميع أدبياته ومبانيه التي سنستعرضها إنما هي مستمدة من روح وأصول ونصوص الدين الإسلامي خصوصاً الشق الاقتصادي منه، وإلا فإن الكثير من استدلالاته حفظه الله على الاقتصاد المقاوم تؤكد على هذه الحيثية الإسلامية الأصلية للاقتصاد المقاوم.

فما هو التعريف الذي يقدمه السيد القائد للاقتصاد المقاوم؟

يقول السيد القائد في سياق تعريفه لمفهوم الاقتصاد المقاوم أنه اقتصاد "يبنى في الداخل أساساً محكمة بحيث تصمد أمام الأزمات الدولية والعالمية والاقتصادية"^(١) وهو "اقتصاد ينبع من الداخل بحيث يقلل الحاجة إلى الخارج"^(٢) و"يسمح للأمة بالنمو والازدهار حتى تحت الضغط"^(٣) وهو اقتصاد ضروري ولازم في حالة وجود عقوبات اقتصادية وكذلك في حالة عدم وجودها" وهو كذلك "يستمد أسسه من ثقافة الثورة والإسلام وهو كذلك اقتصاد طويل الأمد".

وهناك جملة أخرى من القيود والتوضيحات التي وضعها السيد حفظه الله للاقتصاد المقاوم بحيث تشكل في مجموعها تعريفاً كلياً، وبالتالي ستكون الخطوة التالية هي شرح أهم هذه القيود والشروط في صورة الأصول والمباني التي يقوم عليها الاقتصاد المقاوم ويتخذ من خلالها شكله الواقعي كمنظومة اقتصادية حقيقية وفعالة.

١- بيانات در دیدار شرکت کنندگان در نهمین همایش ملی "نخبگان فردا" ۱۳۹۴/۰۷/۲۲.

٢- بيانات در دیدار مردم اصفهان ۱۳۹۵/۰۸/۲۶.

٣- بيانات در دیدار دانشجویان ۱۳۹۱/۰۵/۱۶.

٤- بيانات در دیدار مردم آذربایجان شرقی ۱۳۹۳/۱۱/۲۹.

٥- بيانات در جلسه تبیین سیاست های اقتصاد مقاومتی ۱۳۹۲/۱۲/۲۰.

ثانياً: أصول الاقتصاد المقاوم في فكر السيّد القائد (حفظه الله) أنه يقوم على اقتصاد المعرفة

تمثل المعرفة أحد أهم الأعمدة التي يعتمد عليها الاقتصاد المقاوم، حيث يعتمد على المنجزات المعرفية والعلمية التي يبنها البلد عبر طاقاته الشبابية ومراكزه العلمية، وهذا الاقتصاد المعرفي المصنّع ذاتياً يكفل استقلال البلد عن الاتكاء على الخارج. يقول السيد القائد في أكثر من خطبة له: "محرورية المعرفة، وهي معيار مهم جداً. فالوضع العلمي للبلد، لحسن الحظ، يقدم لنا فرصة عالية في تكوين اقتصادنا اقتصاداً معرفياً. إذ نملك العديد من العلماء والمتخصصين وشركات اقتصاد المعرفة وأفراداً مبتكرين، وهذه من البنى التحتية الاقتصادية الأساس في أي بلد؛ أي امتلاك الموارد البشرية المناسبة. وإنّ الانتباه إلى هذه الميزة يجعل الحركة من العلم إلى الثروة أمراً ميسوراً، وهذا ما ينبغي أن يتمّ إجراؤه في الاقتصاد المقاوم"^(١).

ويؤكد القائد على حقيقة أنّ النخب الشبابية عليها أن تلعب دوراً أساساً في اقتصاد المعرفة، عبر وضع خطط تعزّز من حضور الشّباب النخبوي في اقتصاد المعرفة الذي يخدم الاقتصاد المقاوم^(٢).

إذن، على اقتصاد المقاومة أن يتنفع من اقتصاد المعرفة عبر الاستفادة من المنجزات العلمية المتطورة، وجعل الاقتصاد يدور حول محور العلم، والاستفادة في ذلك ليس من النخب العلمية فقط، بل كذلك من أصحاب التجارب والمهارات والكفاءات، كالصناعيين والعَمّال المهرة وأهل الخبرة الذين يستطيعون أن يؤثروا في تطوير اقتصاد المعرفة كذلك^(٣).

١- بيانات در جلسه تبیین سیاست های اقتصاد مقاومتي ۱۳۹۲/۱۲/۲۰.

٢- بيانات در دیدار شرکت کنندگان در نهمین همایش ملی "نخبگان فردا" ۱۳۹۴/۰۷/۲۲.

٣- بيانات در حرم مطهر رضوی ۱۳۹۳/۰۱/۰۱.

الأمر الآخر الذي يشدد عليه السيّد حفظه الله، هو ضرورة الانتباه إلى نوعية شركات اقتصاد المعرفة التي يُستفاد منها في الاقتصاد المقاوم، وذلك عبر تعيين المعايير والأسس التي تعمل عليها هذه الشركات، فلا تكون هذه الشركات شركات إسمية فقط أو مجرد ناقلة لخبرات سطحية، فعليها أن تكون شركات عاملة في اقتصاد المعرفة بالمعنى الحقيقي للكلمة^(١).

الاقتصاد المقاوم اقتصاد دائم

الاقتصاد المقاوم اقتصاد غير مرحلي ولا مقيد بزمن ما، بل هو مطلق ودائمي. لا يتعلق الاقتصاد المقاوم بفترة محددة كمرحلة العقوبات الاقتصادية والتهديدات التي تطل النظام المالي والاقتصادي، بل هو اقتصاد يشتغل وفق آلياته إلى جانب الاقتصاد الوطني كي يقوم بدعمه وإيجاد مجالات حيوية متجددة له دوماً سواء في ظل العقوبات أو في الحالات العادية. فالأصل هنا، هو دعم الاقتصاد الوطني في كل وقت، بحيث يكون مستغنياً عن الخارج ويستطيع الوقوف على قدميه من دون معونة أحد^(٢). ولذلك، ينبغي على الجهات المسؤولة عن التخطيط لهذا الاقتصاد أن تضع في بالها أن تخطط وتضع سياسات اقتصادية طويلة الأمد، بحيث تكون نافعة حتى لمرحلة ما بعد العقوبات، فلا يُضطر إلى إعادة بناء الاقتصاد من جديد أو إحداث تغيير جذري في الاقتصاد^(٣).

كذلك، لا ينبغي أن يكون الاقتصاد المقاوم مبنياً في بعض أنحائه على ردّات فعل على أخطاء في برنامج اقتصادي ما، بحيث يسخر قدرات الدولة والشعب من أجل

١- بيانات در دیدار اساتید دانشگاهها ۱۳۹۳/۰۴/۱۱.

٢- بيانات در دیدار مردم آذربایجان شرقی ۱۳۹۳/۱۱/۲۹.

٣- بيانات در جلسه تبیین سیاست های اقتصاد مقاومتي ۱۳۹۲/۱۲/۲۰.

علاجات موضوعية لا يستفاد منها لأمدٍ طويل، فالأصل هو أن يتمتع الاقتصاد المقاوم
ببعد نظر في التخطيط^(١).

الاعتماد على الإنتاج الوطني

إنَّ أحدَ أهم الخصوصيات التي يؤكد السيد القائد بشكلٍ حثيثٍ على العمل عليها
في الاقتصاد المقاوم، هي مسألة الإنتاج الداخلي الوطني، والذي يقوم به الشعب بكافة
مؤسساته ومصانعه ومزارعه وطاقاته. لأنَّ الإنتاج الوطني، هو المعبر الإلزامي والقهري
للاستغناء بأكبر قدرٍ ممكنٍ عن الخارج، وتحقيق العزّة الوطنية وكذلك تأمين
الاحتياجات الداخلية بناءً للمقدّرات الداخلية^(٢). يقول السيّد حفظه الله: "أحد سياسات
الاقتصاد المقاوم وخصوصيات الاقتصاد المقاوم، هو الإنتاج الداخلي. الإنتاج الداخلي
يعني توليد الثروة عبر الأنشطة الداخلية التي تحصل في البلد". ورغم تأكيده المشدّد
على منع طلب المعونة من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ورفضه الطلّب من
الغرباء، والتشجيع على الإنتاج الداخلي، فإنَّ ذلك لا يعني الانغلاق عن الخارج، بل
الخطة هي في الإنتاج في الداخل، والتصدير للخارج، وهذا يتطلب سياسات اقتصادية
متوازنة ودقيقة^(٣).

ومن الأمور المهمة في هذه النقطة، هو ما يؤكد عليه السيّد حفظه الله، في أنَّ
المطلوب من المسؤولين، هو أخذ الأمور بجديّة في ما يختصُّ الإنتاج الداخلي، بحيث
تقوم الادارات الحكومية والرسمية برفع مستوى الإنتاج والمحصول الداخلي إلى
موازاة المحصولات الخارجية المشابهة له. كما أنَّه ينبغي للأسواق وكذلك الأجهزة

١ - بيانات در حرم مطهر رضوی ۱۳۹۳/۰۱/۰۱.

٢ - بيانات در دیدار جمعی از اساتید دانشگاه ۱۳۹۵/۰۳/۲۹.

٣ - بيانات در اجتماع زائران و مجاوران حرم مطهر رضوی ۱۳۹۷/۰۱/۰۱.

الحكومية أن تشتري المحصولات والمنتجات المصنعة في الداخل، وأن يقوموا كذلك بتشجيع الناس على اختيار المنتج الوطني^(١).

ينبغي كذلك وضع خطط واضحة وممنهجة للإنتاج الداخلي، من أجل زيادة فرص العمل خصوصاً بين الشباب، فهاتان النقطتان إذا تمّ التركيز عليهما فستكون الآثار الاقتصادية بيّنة ومحسوسة جداً وبشكل مباشر^(٢).
ومن هنا، لا بدّ من الالتفات إلى عدّة ضوابط^(٣):

تقديم المساعدة للجهات التي تقوم بالإنتاج المحلي والوطني.

رفع الموانع أمام هذه الجهات كي يتاح لها العمل.

رفع الموانع أمام المنتجات كي تصل إلى السوق.

ضبط عملية إدخال المنتجات الأجنبية المشابهة لها إلى السوق.

مراقبة الاتفاقيات التي تعقدها هذه الجهات مع الخارج.

الأمر الآخر المهم في ما يتعلق بالإنتاج الوطني وسياسات تطويره ودعمه، هو موضوع حماية المنتج الوطني. إذ يرى السيّد القائد حفظه الله، أنّ هناك عدداً من الخطوات في سبيل تحقيق هذا الأمر، ومنها^(٤):

• على المسؤولين أن يضعوا القوانين المناسبة، وأن يوفّروا الحماية القانونية والقضائية وكذلك الحماية التنفيذية، وفي الختام التشجيع على استهلاك المنتج الوطني.

١- بيانات در دیدار اعضای شورای هماهنگی تبلیغات اسلامی ۱۳۹۶/۱۰/۰۶.

٢- پیام نوروزی به مناسبت آغاز سال ۱۳۹۶ ۱۳۹۵/۱۲/۳۰.

٣- بيانات در دیدار کارگران در گروه صنعتی مینا ۱۳۹۳/۰۲/۱۰.

٤- بيانات در حرم مطهر رضوی ۱۳۹۳/۰۱/۰۱.

• على أصحاب الرأسمال والمقدّرات المادية، أن يعطوا اهتماماً أكبر للإنتاج الوطني. وذلك من خلال الاستفادة بأقصى قدرة من الإمكانيات التي يملكونها، والعمال الذين يعملون عندهم، في الإنتاج الداخلي.

• إنجاز الإنتاج الوطني والداخلي بأكبر قدر ممكن من الدقة على قاعدة "رحم الله امرأً عمل عملاً فأثقله"^(١).

• تجنب الإهدار والانتباه إلى مواطن سوء التدبير، بحيث ينبغي السعي إلى تقليل حجم الاستثمار في مقابل زيادة الإنتاج، كي تقلّ نسبة التكاليف المبذولة في قبال الإنتاج.

• ترجيح كل عملٍ انتاجي على بقية الأمور، بحيث ينصبُّ الرأسمال الموجود على الحركة الإنتاجية في الداخل. وهذا الأمر هو من الأعمال الصالحة والحسنة، بل هو بمثابة الصدقة وهو من أفضل الأعمال.

• أن يقوم الناس في جميع المستويات بالترويج للإنتاج الوطني، لأنّ لذلك آثاراً كبرى على الاقتصاد الوطني، وتشغيل اليد العاملة، وزيادة الابتكارات والاختراعات، والثروة الوطنية. وقد يصدق على شراء المنتجات الخارجية في حال وجود شبيه لها حكم "الإسراف".

الاقتصاد المقاوم وموقعية الشعب

تميل معظم الحكومات المركزية سواء كانت ديمقراطية أو ذات نظمٍ سياسية متنوعة، إلى مواجهة التحديات الاقتصادية ببرامج رسمية حكومية ذات صبغة إلزامية وقهرية، بحيث يتمُّ فرضها أحياناً بالقوة دون مراعاة لبعض الحثيات القيّمة أو الاجتماعية، لكن فيما يخصّ الاقتصاد المقاوم يطرح السيّد القائد مبدأ مغايراً لما نعرفه

١- وورد في الكافي الشريف بصيغة مشابهة: "إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا فَلْيَتَّقْهُ". الكافي، ثقة الاسلام الكليني،

في بعض البلدان التي طبقت سياسات اقتصادية مركزية كالصين وروسيا وبعض الدول في شرق آسيا وأوروبا، إذ يرى السيد أنّ التوجه نحو الاقتصاد المقاوم هو مطلبٌ شعبي، يطالب به الناس ويتحملون أعباءه ويضغطون على المسؤولين كي يتحملوا مسؤولياتهم عبر مراقبتهم ومحاسبتهم، فهذه هي روحية الثورة التي قام بها الناس منذ البدء.

إذن، موقع الشعب بالنسبة للاقتصاد المقاوم هو موقعٌ محوري، ولكن هذا لا يعني أنّ الدولة ليس لها حضورٌ فيه، بل لها دورٌ يحدّده السيد القائد بنـ "التخطيط، تهيئة الأرضية، بناء القدرات، الهداية والمساعدة"^(١). فالدولة ذات شخصية تتمتع بصفة "المسؤولية العامة"^(٢) عليها أن تقوم بكلّ الوظائف خصوصاً مواجهة الفساد وملاحقة الذين يسيؤون استخدام هذه الإمكانيات العامة في الدولة.

إنّ انطلاق جبهة الاقتصاد المقاوم من بين الشعب وإرادته في نظر السيد القائد مظنةٌ للتوفيق الإلهي وسببه، وهذا الأمر هو مقتضى النصوص القرآنية والرؤية والتجربة الطويلة التي خاضها خطّ الأنبياء ﷺ وأتباعهم مدى التاريخ، في أنّه كلّما اجتمعت إرادة الشعب على فعل الخير والإحسان وما فيه الرضا الإلهي، كلما جاء التوفيق الإلهي لهم مسدداً. يقول السيد القائد حفظه الله وبعد أن بيّن محورية الشعب في الاقتصاد المقاوم بأنّ "التجربة والمعارف الإسلامية تأكّد كذلك أنه كل مكان يجتمع فيه الناس تكون فيه يد الله كذلك. لأنّ يد الله مع الجماعة" فكل مكان يجتمع فيه الناس، فإنّ عناية الله والعون الإلهي والمدد الإلهي سيكون موجوداً كذلك"^(٣).

ومن باب التأكيد على هذا المفهوم يذهب السيد القائد إلى الاستدلال بالمصداق الذي يبرهن صحّة المفهوم وعدم كونه وهمًا، فصحيحٌ أنّ الاقتصاد المقاوم أمرٌ أعلنه

١- بيانات در حرم مطهر رضوى ١٣٩٣/٠١/٠١.

٢- ن. م.

٣- بيانات در جلسه تبیین سیاست‌های اقتصاد مقاومتي ١٣٩٢/١٢/٢٠.

السَّيِّدُ غَيْرَ أَنَّ تَلَقِّي النَّاسِ لَهُ بِالرُّضَا دَلِيلٌ عَلَى كَوْنِهِ مَطْلُباً وَإِرَادَةً شَعْبِيَّةً. إِذْ أَنَّ الْعَمْدَةَ فِي نَجَاحٍ وَمَوْفَاقِيَةِ الْاِقْتِصَادِ الْمَقَاوِمِ هُوَ اعْتِقَادُ النَّاسِ بِهِ، وَتَحْمُلُهُمُ الْهَمَّ وَالْمَسْئُولِيَّةَ مِنْ أَجْلِ التَّصَدِّيِّ لِمَشْكَلاتِهِ، وَإِطْلَاقِ حَرَكَةِ الْإِنْتِاجِ الدَّاخِلِيِّ وَالْإِثْرَامِ بِالْخَطِّطِ، وَوَضْعِ الرُّأْسِمَالِ وَالْقُدْرَاتِ الْمُنَاسِبَةِ، فَكُلُّ ذَلِكَ هُوَ بِيَدِ الشَّعْبِ^١. لِذَلِكَ فَإِنَّ الشَّعْبَ هُوَ الْمَحْوَرُ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ لِلْاِقْتِصَادِ الْمَقَاوِمِ. يَقُولُ السَّيِّدُ الْقَائِدُ حَفْظُهُ اللَّهُ: "عَنْوَانُ (اِقْتِصَادِ الْمَقَاوِمَةِ) يَتَكَرَّرُ، لِأَنَّهُ مَطْلَبٌ عَمُومِي، تَرَاهُ فِي الْقُلُوبِ، وَعَلَى الْأَلْسِنِ، وَيَبِينُ عَنْ نَفْسِهِ فِي الْعَمَلِ، وَالْجَمِيعِ يَمْضُونَ قَدَمًا بِاتِّجَاهِهِ. عِنْدَمَا يَحْصُلُ أَمْرٌ وَيَصْبِحُ كَخَطَابٍ عَامٍ وَإِرَادَةٍ عَامَةٍ، فَإِنَّهُ سَيَتَحَقَّقُ بِشَكْلِ طَبِيعِيٍّ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ عَلَى السُّلْطَاتِ أَنْ تَتَحَرَّكَ فِي نَفْسِ الْإِتِّجَاهِ"^(٢).

الأصول الحاكمة على العلاقة مع الخارج

لَقَدْ بَيَّنَّ سَمَاحَةُ السَّيِّدِ الْقَائِدِ مَكَرَرًا طَبِيعَةَ الْاِقْتِصَادِ الْمَقَاوِمِ عَلَى أَنَّهَا عَمَلِيَّةٌ تَغْلِي مِنَ الدَّاخِلِ، مِنْ حَيْثُ عَمَلِيَّةُ الْإِنْتِاجِ الدَّاخِلِيِّ، وَهَذَا أَصْلٌ بَنَى عَلَيْهِ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَصُولِ. وَقَدْ تَفَرَّعَ عَنْ ذَلِكَ أَنَّ يَحْدُدُ السَّيِّدُ طَبِيعَةَ الْعِلَاقَةِ مَعَ الدُّوَلِ الْخَارِجِيَّةِ وَالْمُنْظَمَاتِ الدُّوَلِيَّةِ وَالرُّأْسِمَالِ الْأَجْنَبِيِّ بَعْدَةَ نَقَاطٍ تَشَكَّلُ فِي مَجْمُوعِهَا أَصْلًا حَاكِمًا، وَهِيَ:

عَدَمُ الْاِعْتِمَادِ عَلَى التَّمْوِيلِ الْأَجْنَبِيِّ فِي تَغْذِيَةِ الْاِقْتِصَادِ الْوِطْنِيِّ، إِذْ يَتَخَوَّفُ أَنْ يَتَوَقَّفَ هَذَا التَّمْوِيلُ فِي أَيِّ ظَرْفٍ يَحْدُثُ. وَلَكِنْ هَذَا لَا يَمْنَعُ إِطْلَاقًا أَنْ يَأْتِيَ الرُّأْسِمَالُ الْأَجْنَبِيُّ بِشَرَطِ أَنْ لَا يَتَكَيَّ عَلَيْهِ اِقْتِصَادُ الْبِلَادِ^(٣).

١ - بَيَانَاتُ دَر دِيدَارِ مَرْدَمِ آذَرْبَايْجَانِ شَرْقِي ١٣٩٦/١١/٢٩.

٢ - بَيَانَاتُ دَر دِيدَارِ كَارْغَرَانِ ١٣٩٦/٠٢/١٠.

٣ - بَيَانَاتُ دَر دِيدَارِ نَخْبِگَانِ جَوَانِ عِلْمِي ١٣٩٦/٠٧/٢٦.

توسيع دائرة تصدير الإنتاج الوطني إلى العديد من الدول وعدم الاقتصار على عدد محدود من الدول، إذ أن هذا سيشكل محدودية للدولة ولقدرات الشعب الإنتاجية، وهو خلاف الاقتصاد المقاوم^(١).

ينبغي التشجيع على التصدير واعتبارها عملية مهمة جداً، بحيث تجذب الجهات المعنية بالتصدير، وهذا يستلزم الالتزام الدائم بالتشجيع والثبات في الحض على التصدير من قبل المسؤولين^(٢).

من الممكن الاستغناء عن التكنولوجيا الجديدة الأجنبية عبر تشجيع الشباب الذين أبدعوا في مجالات معقدة مثل تكنولوجيا النانو وغيرها، في تطوير التكنولوجيا التي يحتاج إليها البلد، ولذلك فإن الأصل هو الاستغناء عن التكنولوجيا الأجنبية وتطوير التكنولوجيا المحلية البديلة^(٣).

الاقتصاد المقاوم اقتصاداً حساساً للعلاقات الخارجية فلا يتسرع في إقامتها قبل التدقيق في الدوافع الكامنة خلف أي علاقة مع أي جهة خارجية ومعرفة الجانب الذي ستقام معه تلك العلاقة والسبب من وراءها وما هي القدرات التي يمتلكها في مقابل دوافعه، فلذلك ينبغي على الدوام التدقيق في هذه المسألة^(٤).

يجب عدم الإنصات للأصوات الداخلية التي تنادي بتطوير الاقتصاد الوطني من خلال تغيير السياسة الخارجية والاقتراب من الجهات الاستكبارية الدولية وقبول ضغوطاتهم المتنوعة إلى أن يتاح للاقتصاد الوطني أن يتقدم. إذ قد أثبتت التجربة أنه

١ - بيانات در اجتماع زائران و مجاوران حرم مطهر رضوی ۱۳۹۶/۰۱/۰۱.

٢ - م. ن.

٣ - بيانات در دیدار رئیس و نمایندگان مجلس شورای اسلامی ۱۳۹۵/۰۳/۱۶.

٤ - گزیده‌ای از بیانات در دیدار عیدانه جمعی از مسئولان کشور ۱۳۹۵/۰۱/۲۴.

لا يمكن الاعتماد على الوعود المتكررة للاستكبار العالمي، وأنه قد يتضرر الاقتصاد جرائها إذا ما ازدادت العقوبات^(١).

الاقتصاد المقاوم يتركب من مفهومين: إنه ذاتي النمو، وغير انطوائي، بل يمتلك اتجاهًا عالميًا في تعاملاته وتطلعاته، ويقيم علاقة ندية مع بقية الدول^(٢).

مع حقيقة امتلاكنا لمقدرات داخلية كبيرة جداً إلا أن هذا لا يعني التخلي عن المقدرات الخارجية، لذا يجب الاستفادة منها إلى أبعد مدى ولكن بشرط أن لا يكون الاعتماد عليها بل على الامكانيات والموجودات الداخلية للبلد^(٣).

دور التخصص في الاقتصاد المقاوم

إنَّ الهجمة الشديدة على الثورة واقتصادها وشعبها ونظامها، لا يمكن أن تُدفع عبر عمل يقوم به هواة أو أصحاب نيات طيبة، بل هو عملٌ ينبغي أن يحال إلى عهدة المتخصصين البارعين الذين لديهم الخلفية المعرفية الكافية والخبرة الوافية في كل تخصص من التخصصات التي يحتاجها الاقتصاد المقاوم في إدارته وفي قطاعاته المختلفة كالصناعة والزراعة وغير ذلك. فقد شَخَّصَ المتخصصون الاقتصاديون الثوريون الحاجة إلى الاقتصاد المقاوم^(٤) وكذلك شَخَّصوا المشكلات التي يواجهها الاقتصاد الوطني من قبيل الركود والبطالة^(٥).

١- بيانات در حرم مطهر رضوى ١٣٩٤/٠١/٠١.

٢- بيانات در حرم مطهر رضوى ١٣٩٣/٠١/٠١.

٣- بيانات در جلسه تبیین سیاست های اقتصاد مقاومتی ١٣٩٢/١٢/٢٠.

٤- بيانات در دیدار فرماندهان و کارکنان ارتش ١٣٩٦/٠١/٣٠.

٥- بيانات در اجتماع زائران و مجاوران حرم مطهر رضوى ١٣٩٦/٠١/٠١.

وبالتالي لا بد من الاستفادة من القدرات المحلية والمتخصصين في كافة المجالات، كقطاع الهندسة الزراعية مثلاً، الذي حقق فيه الشباب المهندسون المتخصصون إنجازات كبيرة على المستوى الوطني، مع وضع برامج ومناهج تخصصية قائمة على المعرفة، وتقسيم تخصصي لمراحل العمل^(١).

الاعتماد على التعبئة والشباب الجامعي

إنَّ إحدى مميّزات الثورة الإسلامية هي اعتمادها العظيم على المجموعات الشَّعبية غير الحكومية، تلك المجموعات التي تمتلك روح المبادرة والاعتقاد الكبير بمبادئ الثورة ويتولّد عندها في كلّ استحقاقٍ الدافعية للقيام بأداء الأدوار الحساسة والحاسمة. وفي مسألة الاقتصاد المقاوم، يشدد السيد القائد على أهمية دور الشباب التعبوي والجامعي في دفع هذا المشروع الاقتصادي الكبير إلى الأمام وإنجاحه.

إذا اشتركت المجموعات التعبوية في ميدان الاقتصاد المقاوم، فإن هذا الاقتصاد سيصبح فعلاً مطلباً شعبياً، يقول السيد القائد: "الاقتصاد المقاوم الذي تحدثنا عنه، إذا استطاع أن يستفيد من قوة وقدرة التعبئة، فإنه سيحقّق ديمقراطيةً دينيةً للاقتصاد المقاوم، وهكذا هو الحال في العلم والتقدم الاجتماعي المتنوع وفي السياسة كذلك، فإن مظهر الديمقراطية الدينية هي التعبئة"^(٢).

يمكن أن تساعد التعبئة الهيئات المسؤولة، في صناعة الاتجاه ووضع الأهداف في العمل، وأن تكون ضماناً لعدم انحراف القوة التنفيذية، بشكل تكون فيه ظهوراً لها فلا تعمل في طولها لأنّ القوة التنفيذية لها وظائف ومسؤوليات خاصة^(٣). فالمجموعات

١ - بيانات در دیدار رئیس جمهور و اعضای هیأت دولت ۱۳۹۴/۰۶/۰۴.

٢ - بانات در دیدار سیجیان ۱۳۹۵/۰۹/۰۳.

٣ - بيانات در دیدار سیجیان ۱۳۹۵/۰۹/۰۳.

التعبوية تمتلك قدراتٍ عظيمةً حيث أن بعضهم من الاقتصاديين، وبعضهم يملك الشركات والمصالح، ويجب أن يأتي جميعهم للاشتراك في البرنامج الكلي للاقتصاد المقاوم^(١).

إنَّ أساسَ تحرُّكِ الشَّبابِ الثَّوري والتَّعبوي والجامعي أساسٌ ثقافيٌّ قائمٌ على رفض التَّبعية للاستكبار العالمي بكافة أشكالها، ويسمى السيد القائد هذه الروحية الثَّورية بـ"الجَّهاد الكبير"^(٢)، الجَّهاد الثقافي الذي يدفع بالشَّباب الثَّوري للنَّزول إلى كلِّ الميادين والدَّفع باتجاه تحقيق أهداف الثَّورة والتي منها عدم التَّبعية الاقتصادية.

وكذلك، فإنَّ للجامعيين دوراً عظيماً في إبراز موقفهم من الاقتصاد المقاوم، تماماً كما أنهم يبرزونه في ملفات أخرى. فالاقتصاد المقاوم هو مبدأٌ وعقيدة ثَّورية، ويؤثر على مستقبل البلاد، وينبغي أنَّ يحدد الطلاب الجامعيون موقفهم من ذلك بطريقة تؤثر في نفسية وروحية العدو^(٣).

ومن اللافت للنظر في هذه النقطة، أنَّ السيّد القائد حفظه الله في سياق تحديده لمسؤوليات النخبة الشَّبابية يقوم باقتراح تحديد دور النخبة الشَّبابية في بناء الاقتصاد المعرفي المقاوم، عبر إيكال هذا الأمر إلى الشَّباب أنفسهم، بأن تقيم النخب الشَّبابية جلساتٍ لتحليل دورها الذي ينبغي أن تقوم به في الاقتصاد المقاوم^(٤).

١- بيانات در دیدار رئیس‌جمهور و اعضای هیأت دولت ۱۳۹۴/۰۶/۰۴.

٢- بيانات در دانشگاه افسری و تربیت پاسداری امام حسین علیه‌السلام ۱۳۹۵/۰۳/۰۳.

٣- بيانات در دیدار جمعی از دانشجویان ۱۳۹۵/۰۴/۱۲.

٤- بيانات در دیدار شرکت‌کنندگان در نهمین همایش ملی "نخبگان فردا" ۱۳۹۴/۰۷/۲۲.

أصل الدور الدفاعي للاقتصاد المقاوم

لم تألُ الإدارات الأميركية المتعاقبة جهداً في التخطيط لضرب الثورة الإسلامية بأيّ طريقة تستطيعها، وقد كانت العقوبات الاقتصادية أحدَ العناوين الكبرى التي خطط العدو إلى زلزلة أنموذج الثورة من خلالها عن طريق ضربِ تعلقِ الناس بها، بالإفقار والتجويع وتهديدهم بفقد الاحتياجات الأساس كالدواء والغذاء والعلم. لقد قامت الحكومة الأميركية بتشكيل غرفة هجومٍ على إيران ولكن في وزارة المال وليس في وزارة الحرب، لأنهم وجدوا أنَّ هذا السبيل هو الأكثر تهديداً وخطراً^(١).
فالحقيقة الكامنة خلف هذه الخطوات هو العمل على تضعيف الثورة^٢، فكل عنصر قوي من عناصر الثورة، هو هدف للعدو، كالقطاع العلمي والعسكري والاقتصادي.

وهنا عدة نقاط ينبغي الالتفات إليها:

الأصل في الاقتصاد المقاوم هو تشكيل جبهة اقتصادية دفاعية ضد التأثيرات الخارجية، بحيث يتم تحصين الاقتصاد الوطني ضد أي اهتزازات اقتصادية خارجية. ولكن هذا لا يمنع من أن يتمّ تطوير جانبٍ آخر في الاقتصاد المقاوم مبني على مفهومٍ هجوميٍّ، بمعنى أنه من الممكن أن يعطي الاقتصاد المقاوم فرصة للأمة بأن تمتلك هي أيضاً عناصرَ قوّة وضغط في مقابل العدو. ولا إشكال في ذلك. لكن الأصل هو ما تقدم^(٣).

هذا النموذج من الاقتصاد هو نموذجٌ عالميٌّ، أي أنَّ هناك تجارب عالمية في الاقتصاد الدفاعي والمقاوم، وقد قامت به بعض البلدان كأميركا التي استفادت منه طوال ١٥٠ عاماً، ولما استفادت أمورها استفادت من قوتها الاقتصادية بغرض التعالي والتجبر وفرض سيطرة الاتجاه المادي عالمياً. غير أنَّ ذلك على كلّ حالٍ يثبت أنَّ هذا

١ - بيانات در ديدار مسئولان نظام ١٣٩٧/٠٣/٠٢.

٢ - بيانات در ديدار نخبگان جوان علمی ١٣٩٦/٠٧/٢٦.

٣ - بيانات در ديدار دانشجویان ١٣٩١/٠٥/١٦.

الاتجاه الاقتصادي هو موردٌ قبولٍ عالمياً وليس بدءاً من الرسل، خصوصاً أن الاقتصاد العالمي يواجه انتكاسات متتالية بحيث تندفع كل دولة إلى الاقتصاد المقاوم، طبعاً كلٌّ منها بحسب شروطها الخاصة^(١).

من المنتظر أن يسبب هذا النموذج الاقتصادي في حال تطبيقه العزة للأمة ويؤمن لها احتياجاتها كذلك^(٢).

هذا النموذج المقاوم من الاقتصاد، سيساهم في صناعة هوية مستقلة للأمة، من خلال تعزيز مداخلها الاقتصادية وتبديل حالها من اقتصاد يعتمد على عناصر محدودة من المواد الخام مثلاً، إلى اقتصاد تعددي وذكي قادر على الوقوف لوحده دون الاعتماد على أية جهة خارجية تحت أي ظرفٍ من الظروف. فالاعتماد مثلاً على النفط وحده يقتل هوية البلاد الثقافية^(٣).

إنَّ شعورَ الغرب باحتياكك إليه اقتصادياً هو سببٌ يشجعهم على القيام بالضغوطات الاقتصادية، وإذلال الأمة من هذا الباب. ولا يكفيك في هذه الحالة أن تستند إلى الخطب والبيانات فقط، كأن تقول لهم أنا لا شغل لي معكم، فأنتم أيضاً ينبغي أن لا يكون لديكم شغل معي!^(٤) بل أنَّ الحل يكون باعتبار الأمور على مستوى التهديد الجدي والخطر والداهم مع وضع خطط فعالة وطويلة المدى، وإلا فإنهم سيتقدمون ويخترقون جيهاًتنا.

١- بيانات در جلسه تبیین سیاست‌های اقتصاد مقاومتی ۱۳۹۲/۱۲/۲۰

٢- بيانات در دیدار جمعی از اساتید دانشگاه‌ها ۱۳۹۵/۰۳/۲۹

٣- بيانات در دیدار معلمان و فرهنگیان ۱۳۹۵/۰۲/۱۳

٤- گزیده‌ای از بيانات در دیدار عیدانه جمعی از مسئولان کشور ۱۳۹۵/۰۱/۲۴.

الأصل العقلاني للاقتصاد المقاوم

يعتبر السيد القائد أن أحد أسباب ضرورة القيام بالاقتصاد المقاوم، هو كونه أمرًا عقلائيًا يندفع إلى إنشائه وتحقيقه العقلاء عند كلِّ البشر في جميع الدُّول من دون استثناء، كما مرَّت الإشارة إليه أنه حتى في أميركا كان نظامهم الاقتصادي مبنيًا على هذه الفكرة^(١). فعقلانية الاقتصاد المقاوم أمرٌ مفروغ عنه، وإن كان تطبيقه من قبل الثورة الإسلامية سبقيه تحت عمومات الاقتصاد الإسلامي وأحكامه الشرعية في الحلال والحرام، وكذلك في إطاره القيمي والأخلاقي ودوره الرسالي.

الاقتصاد المقاوم ليس إبداعاً شخصياً، إنه عملٌ عقلٍ جمعي، وعقدٌ اقتصاديٌّ تنظُر له جماعةٌ من الاقتصاديين، وهو نتاجٌ عملية عقلانية وتديرية، لا يصح معارضتها أو رفضها^(٢)، لأنَّ ذلك سيكون أمراً قبيحاً عقلاً فضلاً عن عواقبه الشرعيَّة.

حكومة "الاقتصاد المقاوم" على باقي السياسات الاقتصادية

يُوصِل السيد القائد حفظه الله لأصلٍ تديرِيٍّ مهمٍّ جداً في نظام الاقتصاد المقاوم، وهو عبارةٌ عن حكومة هذا الاقتصاد على باقي السياسات والإجراءات والخطط الاقتصادية التي يتم وضعها وتنفيذها في البلاد، بمعنى أنَّه لو تعارضت أي خطة اقتصادية أو إجراء أو قانون أو اتفاق اقتصادي مع بنية وسياسات الاقتصاد المقاوم فإنَّ المَقْدَم الذي يتمُّ تنفيذه هو ما يتعلَّق بالاقتصاد المقاوم. وهذا أصلٌ مهمٌّ وحاكِمٌ ومقدَّمٌ على غيره^(٣).

١- بيانات در حرم مطهر رضوی ۱۳۹۴/۰۱/۰۱.

٢- بيانات در دیدار رئیس جمهور و اعضای هیأت دولت ۱۳۹۴/۰۶/۰۴.

٣- بيانات در دیدار رئیس جمهور و اعضای هیأت دولت ۱۳۹۴/۰۶/۰۴.

تأسيس بُنية قانونية مناسبة للاقتصاد المقاوم

يرى السيد القائد أن الاقتصاد المقاوم يحتاج إلى مجموعة من الضوابط القانونية والحقوقية والقضائية، وبالتالي فإنّ المجلس التشريعي عليه مهمّة تعديل أو تبديل أي قانون لا يتناسب مع منظومة الاقتصاد المقاوم أو يتعارض معها أو يزاحمها^(١)، بل وإضافة أي قانون جديد يُحتاج إليه، إضافة لأي تحرُّك قضائي. وكذلك، أي تعديل في النظام المالي والبنكي والنقدي، كلها أمور ينبغي أن يتم تشريعها وتقنينها من أجل تسهيل عمل الاقتصاد المقاوم.

أصالة الاقتصاد المقاوم في ثقافة الثورة الإسلامية

إنّ مجموعة السياسات الاقتصادية لاقتصاد المقاومة مستمدّة من مبادئ الثورة الإسلامية ومن الثقافة والحضارة المحلية للشعب الإيراني وتجربته التاريخية، فلذلك هو نموذج خاص وأصيل وإن كان يشترك في خصائص عامة مع بقية نماذج الاقتصاد المقاوم في العالم. ويهدف هذا النظام الاقتصادي إلى تحقيق الأهداف الاقتصادية للثورة الإسلامية وحل المشكلات، بطريقة ديناميكية غير متحجرة ومتوائمة مع الظروف الحالية التي تعيشها البلاد^(٢).

الاقتصاد المقاوم هو نهج جهادي

إنّ التّحديات الاقتصادية الكبرى التي يأتي بها الهجوم الاقتصادي وخطورتها النبوية تحتاج إلى تلك الهمة الجهادية والروح المعنوية للمجاهدين المفعمة بالإيثار والمبادرة والتّضحية واليقظة والتوكّل على الله تعالى والإيمان بوعدته بالنّصر والعمل

١- بيانات در دیدار نمایندگان مجلس شورای اسلامی ۱۳۹۳/۰۳/۰۴.

٢- بيانات در جلسه تبیین سیاست های اقتصاد مقاومتي ۱۳۹۲/۱۲/۲۰.

على تحقيق ذلك دون كللٍ ومللٍ. فالاقتصاد المقاوم "حركة علمية ومقتدرة منظمة
وجهادية"^(١).

تشكيل "مقر إدارة الاقتصاد المقاوم"

صحيح أن أصل محورية الشعب في الاقتصاد المقاوم هو اتجاه أصيل، إلا أن ذلك لا يلغي عمل الدولة، بل أنه يؤكده ويجعله أمراً أكثر ضرورة ومشروعية لأنه يحقق مقاصد الإجماع الشعبي والوطني. فلذلك كان لا بد من إنشاء جهة رسمية تتولى مهمة تنفيذ سياسات الاقتصاد المقاوم وتشرف على خططه وتنظم العلاقة بين جميع الجهات المشتركة في تحقيق أهدافه، وتبقي الجمهور على اطلاع دائم بإنجازات الاقتصاد المقاوم وغير ذلك من الخطوات. لقد تم إنشاء "مقر الاقتصاد المقاوم" بقرار من السيد القائد حفظه الله من أجل متابعة جميع هذه الأمور^(٢).

ومع ذلك يبقى على القيادة العليا في الثورة أن تتابع عمل هذا المقر كذلك والنتائج التي يصل إليها، وهذه من السمات المهمة التي يتمتع بها الاقتصاد المقاوم، أي متابعة جميع المسؤولين لمجرباته بمن فيهم القائد الأعلى للثورة، بهدف التأكد من حسن جريانه وإطلاع الناس على ما يحصل^(٣).

الاقتصاد المقاوم ووظيفة الجميع

يعتبر السيد القائد حفظه الله أن القيام بمهمة إنجاح الاقتصاد المقاوم هي مهمة الجميع في كل طبقات الشعب. فلذلك على الجميع أن يبدأوا بإصلاح أنفسهم،

١- بيانات در جلسه تبیین سیاست های اقتصاد مقاومتی ۱۳۹۲/۱۲/۲۰.

٢- دیدار رئیس جمهور و اعضای هیأت دولت با رهبر انقلاب ۱۳۹۶/۰۶/۰۴.

٣- بيانات در اجتماع زائران و مجاوران حرم مطهر رضوی ۱۳۹۶/۰۱/۰۱.

وفحص نقاط الضعف على المستويين الفردي والجمعي حتّى لا يستفيد منها العدو^(١). وهذا الأمر "هو وظيفة الحكومة والمجلس والمسؤولين المختلفين المختلفين، ووظيفة آحاد الناس كذلك. كلنا لدينا تكليف، وعلينا القيام به"^(٢).

إنجاز العمل وإنهاؤه

من المهم وضع الخطط والمناهج التي تكفل الوصول إلى النتائج المرجوة، ولكن لا بدّ من العمل. لقد اعترض السيّد القائد أكثر من مرة على عدم القيام بالخطوات المطلوبة، رغم إشادته بالخطط الموضوعية، واعتراضه قائمٌ على أنه من دون العمل بهذه الخطط فإنّ الخطر والمصيبة واقعة لا محالة، وهذا أمرٌ بديهي. فلا بدّ إذن، من متابعة الخطط لحظة بلحظة، والتأكد القطعي من تحقيقها. "نحن نأخذ قراراً، ونبلّغه، ونصرّ عليه، ولكن إذا لم نصل إلى الخط النهائي ونجرّ هذا الماء الجاري من النبع إلى المزرعة، فإن العمل بحكم غير المنتهي"^(٣).

ومن هنا فإنّ على المسؤولين الالتفات إلى ضرورة أن تكون جميع مقدرات البلد منتظمةً في ميدان العمل، ولا تكون موضوعة على الرف أو جاريةً في غير ميدان الاقتصاد المقاوم. فمن الخطورة بمكان أن يتمّ الشروع في خطة من الخطط ثمّ يتوقّف في منتصفها، لأنّ بهذه الطريقة لا يمكن الوصول إلى أي مكان، وهذا أمرٌ أيضاً شديد الوضوح والبدهية. لذلك لا بد من وضع برنامج زمني يبدأ في نقطة زمنيّة وينتهي في نقطة زمنيّة محددة كذلك^(٤).

١- بيانات در دیدار اقشار مختلف مردم به مناسبت عيد غدیر ۱۳۹۵/۰۶/۳۰.

٢- م.ن.

٣- بيانات در دیدار رئیس جمهور و اعضای هیأت دولت ۱۳۹۵/۰۶/۰۳.

٤- بيانات در دیدار رئیس جمهور و اعضای هیأت دولت ۱۳۹۵/۰۶/۰۳.

إنَّ الدخول إلى ميدان العمل بهذه الخطط الكبيرة للنهوض بالاقتصاد المقاوم، هو من مصاديق قوله تعالى "وعملوا الصالحات"، فلذلك ينبغي تبديل هذه الخطط الكبرى إلى طرح عملي وإجرائي تنفيذي والتحول إلى ما يشبه الملحمة الاقتصادية دون تأخير وبجدية كاملة^(١).

وكذلك فإنَّ هذا البرنامج الكبير، لا بدَّ وأنَّ يتابعه رؤساء القوى الثلاثة في البلد، رئيس الجمهورية، ورئيس القوة القضائية، ورئيس القوة المقتننة، مع مجالسهم ومؤسساتهم ينبغي أن يكون في خدمة كلِّ قسمٍ من المخطط الاقتصادي في الاقتصاد المقاوم ويسهروا على تنفيذ ذلك ضمن مخطَّطٍ زمنيٍّ واضحٍ، مع مراقبةٍ ما تمَّ إنجازه وما بقي وما ينبغي أن يتمَّ^(٢).

إن دور العامل في الاقتصاد المقاوم مهمٌّ جداً، إذ ينبغي أن يشعر بالمسؤولية وينجز عمله بمسؤولية عالية وجودة ممتازة، تماماً كباقي المسؤولين، وهذا الأمر من شأنه أن ينشر البركة في أعماله وشؤونه، وكذلك الأعمال المرتبطة بإحياء الاقتصاد^(٣)، فقد قال رسول الله ﷺ: "رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا عَمِلَ عَمَلًا فَاحْكَمَهُ"^(٤)، ويجب كذلك على الدولة أن تخطَّطَ وتفكَّرَ وتعملَ على كلِّ سبيلٍ مناسبٍ يرفعُ من كفاءة وجودة ما يقوم به العمَّالُ، وكذلك العمَّالُ أنفسهم عليهم الانتباه إلى هذه النقطة، فهم مطالبون في نهاية الأمر سواء في الدنيا أو الآخرة.

الترويج الإعلامي للاقتصاد المقاوم لدينا في هذا الموضوع نقطتان:

١- بيانات در جلسه تبیین سیاست های اقتصاد مقاومتی ۱۳۹۲/۱۲/۲۰.

٢- بيانات در جلسه تبیین سیاست های اقتصاد مقاومتی ۱۳۹۲/۱۲/۲۰.

٣- بيانات در دیدار کارگران ۱۳۹۵/۰۲/۰۸.

٤- مر شبهه سابقاً.

١- الترويج المفهومي: هذا الأمر من الأمور المهمة التي أكّد عليها السيّد القائد حفظه الله، إذ يرى أنه من واجب الجميع لاسيما الطلاب والأساتذة في الجامعات أن يحولوا هذه القضايا والمفاهيم المرتبطة بالاقتصاد المقاوم إلى خطاب عام يتم الترويج له بين الجمهور من الناس كي يصبح في نهاية الأمر واقعاً يسعون إليه^(١). إذ أنه من الممكن أن تكون هناك ممارسات اقتصادية يظنّ الناس أنّها من باب الاقتصاد المقاوم بينما هي على خلاف ذلك تماماً، كذلك قد تكون الدوافع الكامنة خلف الدّعوة إلى الاقتصاد المقاوم غير واضحة، فلذلك يكفل هذا الخطاب المفهومي الواعي مهمّة تبين ذلك للناس^(٢).

على أن لا يقتصر ذلك على تكرار كلمة "الاقتصاد المقاوم"، بل لا بد من شرحه وتوضيحه وتبيينه بكل طريقة مناسبة حتى يصبح هذا المفهوم قابلاً للاستيعاب والقبول بين الناس^(٣).

يستند السيّد حفظه الله إلى آيات شريفة من قبيل ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾^(٤)، كي يقول أنه من الواجبات الدينية القيام بإبلاغ الناس المفاهيم والأفكار والمسائل التي تهّمهم، ومنها مسألة الاقتصاد المقاوم لأنه تنقّح لدينا أهميته وضرورته ومكانته العليا في الحفاظ على المجتمع المؤمن والثوري، إذ أنه من المحتمل جداً أن لا تكون مثل هذه المفاهيم واضحة لدى الكثير من الناس. وليبدأ المسؤولون بإيضاح هذه المسألة لأنفسهم، ثم ليقوموا بنقلها وشرحها للآخرين^(٥). إذ أنّ المنافقين والمغرضين سيسعون إلى إطلاق نار الفتنة على هذا المفهوم الصائب والضروري والحيوي للأمة، خدمة

١- بيانات در دیدار رئیس جمهور و اعضای هیأت دولت ۱۳۹۵/۰۶/۰۳.

٢- بيانات در دیدار جمعی از دانشجویان ۱۳۹۵/۰۴/۱۲.

٣- بيانات در دیدار رئیس جمهور و اعضای هیأت دولت ۱۳۹۵/۰۶/۰۳.

٤- سورة الرعد، آية ٤٠.

٥- بيانات در دیدار جمعی از دانشجویان ۱۳۹۵/۰۴/۱۲.

لأغراضهم الدنيئة ومصالح الاستعمار والاستكبار العالمي. إن دور وزارة الإعلام مهم جداً، ومؤسسة التلفاز والراديو وبقية الأجهزة الإعلامية في الترويج لمفهوم الاقتصاد المقاوم، رغم أنه دورٌ غيرٌ منحصر بهم كذلك^(١)، بل هو دور المسؤولين والمفكرين والمحبين أيضاً في ترويج هذا الخطاب النهضوي في الشق الاقتصادي.

٢- ترويج الإنجازات: من بعد ترويج المفهوم لا بد أن يتم الترويج لمصاديقه أيضاً، أي الإنجازات التي يتم القيام بها في المجتمع، عبر إيجاد منصة ترصد إنجازات الاقتصاد المقاوم، وكذلك عثراته وتوقعاته، بحيث تضع بين أيدي الشعب والجمهور تقارير مفصلة عن سير هذه العملية والمشروع الكبير لأجل أن يكون الناس على اطلاع فيمكنهم المساهمة أو التوجيه والمنع من وقوع انحراف^(٢).

الرفق بالموارد البشرية

يبتني نجاح مشروع الاقتصاد المقاوم في بعض جوانبه على الانتباه إلى فكرة أن الاقتصاد المقاوم هو مشروع كبير ابتداءً من التخطيط ووصولاً إلى التنفيذ، إذ يمر ذلك كله عبر سلسلة مراتب إنسانية تقوم هي بالعمل "كل بشر، لديهم عقل وقلب وإرادة وعزم هذه السلسلة من المراتب ذات خمس أو ست وسائط، إذ قرر أحدهم أن لا يقوم بالعمل فإن سير العمل سيتوقف. الأمر ليس كسلك كهربائي إذا ضغطت على زرٍ فإن مائة مصباح يضيء، لا، هذه الأسلاك يتوسطها جميعاً الإرادة والعزم والإنسان. لذلك ينبغي المراقبة والضبط والمتابعة والرصد والمطالبة الدائمة".

أصالة العدالة ورفع الظلم في الاقتصاد المقاوم

صحيح أن ظاهر الاقتصاد المقاوم هو الوقوف في وجه الاعتداء وومكافحة الهجوم الاقتصادي الاستكباري، إلا أنه يخفي أحد أعظم المبادئ والأهداف التي جاء من

١- بيانات در جلسه تبیین سیاست های اقتصاد مقاومتی ۱۳۹۲/۱۲/۲۰

٢- بيانات در جلسه تبیین سیاست های اقتصاد مقاومتی ۱۳۹۲/۱۲/۲۰

أجلها الإسلام، وهو تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس^(١). إن هدف الاستعمار وحملته الاقتصادية الظالمة هو أن يظهر الثورة عاجزة عن تحقيق العدالة، فينتشر الفساد والظلم، ولا يجد الناس من يلقون اللوم عليه إلا الثورة المباركة، وهذا هو التحدي الكبير والخطير الذي تعيشه الثورة الإسلامية. وهذا ما ينبغي أن يكافحه الاقتصاد المقاوم بشكل جدي ومسؤول^(٢).

يقول السيد حفظه الله: "النكته التاسعة (من عناصر سياسات الاقتصاد المقاوم) مكافحة الفساد، فإذا أردنا أن يحضر الناس في الميدان الاقتصادي، فينبغي أن يتمتع هذا الميدان الاقتصادي بالأمن، وإذا أردنا الأمن فعلياً الوقوف ضد المفسدين والذين يسيئون استخدام القانون ويسعون إلى إضعافه، فإن مواجهة الفساد تكون من خلال هذه الطرق، وينبغي أن يؤخذ هذا الأمر على محمل الجد"^(٣).

أصل إصلاح نموذج الاستهلاك

إن مسألة النمط الاستهلاكي السائد في العالم هو من الأسباب المدمرة لأي اقتصاد خصوصاً الذي يتعرض لحملات ضارية كالاقتصاد الإيراني، فلذلك ينبغي إصلاح نمط الاستهلاك وذلك عبر التشجيع على الاقتصاد والبعد عن الإسراف وصرف المال في الأمور الكمالية، ليس في الحياة الشخصية فقط، بل وفي الأمور الاجتماعية والرسمية كذلك^(٤).

١- نامه رهبر انقلاب به رئیس جمهور درباره الزامات اجرای برجام ۱۳۹۴/۰۷/۲۹.

٢- بیانات در دیدار رئیس جمهور و اعضای هیأت دولت ۱۳۹۴/۰۶/۰۴.

٣- بیانات در جلسه تبیین سیاست های اقتصاد مقاومتی ۱۳۹۲/۱۲/۲۰.

٤- بیانات در جلسه تبیین سیاست های اقتصاد مقاومتی ۱۳۹۲/۱۲/۲۰.

توجيهات مهمة لقطاعات مركزية في الاقتصاد

١- البنوك: يوصي القائد البنوك بضرورة تطبيق سياسات الاقتصاد المقاوم وخطط الدولة، ويمكن لهم بذلك أن يلعبوا دوراً إيجابياً، كما يمكنهم أن يلعبوا دوراً سلبياً^(١).

٢- قطاع الصناعة والمناجم: يوصي السيد حفظه الله هذا القطاع المهم بضرورة تسريع وتنشيط حركته، لأن هدف التصدير يقع بشكل أساسي على هذا القطاع، ولذلك ينبغي أن يبدأ هذا القطاع بمعرفة إمكاناته وموجوداته وتفعيلها بما يلائم سياسات الاقتصاد المقاوم^(٢).

٣- القطاع الزراعي: للزراعة أهمية حيائية في بناء الأوطان، فلذلك ينبغي للدولة أن تحمي الزراعة، وترفع المشكلات التي تواجهها الزراعة والمزارعون.

٤- النفط والغاز: إن إمكانات الجمهورية الإسلامية من النفط والغاز تعد في المرتبة الأولى في العالم، على مستوى الاحتياجات والموجودات، وكذلك من حيث الإنتاج فإن لإيران موقعاً متقدماً بين دول العالم، وهذه من النعم الكبيرة التي أنعم الله بها على الجمهورية. ولكن لدى السيد حفظه الله اهتماماً خاصاً بضرورة تقليل الاعتماد على الانتاج النفطي والغاز في الميزان الاقتصادي والتجاري للدولة، ويرى أن بقاء الصناعات النفطية وبيع الموارد البترولية على رأس قائمة النشاط الاقتصادي للجمهورية أمراً خطيراً ويسبب العديد من المشكلات الحقيقية كما أنه يضع استقرار الاقتصاد الوطني على كف الزلازل والهزات الاقتصادية المتأثرة إما بالسياسة أو بالأوضاع الاقتصادية القلقة في العالم.

لذلك ينبغي "تقليل الاعتماد على النفط، فإن أكبر المصائب الاقتصادية هو هذا الاعتماد على النفط. نحن لا نقول أنه لا ينبغي الاستفادة من النفط، لكن ينبغي أن يكون اتكاؤنا على تصدير القدر الأقل من النفط"^(٣).

١- بيانات در ديدار مسئولان نظام ١٦/٤/١٣٩٣.

٢- بيانات در ديدار مسئولان نظام ١٦/٤/١٣٩٣.

٣- بيانات در جلسه تبیین سیاست های اقتصاد مقاومتي ٢٠/١٢/١٣٩٢

دراسة مباني أصول الإقتصاد المقاوم من منظور قرآني

□ محمد رحمان بور
□ ترجمة: مصطفى داود

خلاصة

الخلفية والأهداف: غدا الإقتصاد المقاوم في أماننا هذه شكلاً من أشكال التدبير وآليات العلاج عند الحكومات لمواجهة ضغوطات الأعداء وعقوباتهم. حاز هذا الإقتصاد في بلدنا على مكانة خاصة بفعل المتبنيات الفكرية الإسلامية والخطابات التوضيحية للسيد القائد (حفظه الله). وتعدّ التعاليم الإسلامية الواردة في كتابنا السماوي نحن المسلمون لما فيها من قوة ونظم وتناسق متكاملاً يصلح الاعتماد عليه في توظيف وتطبيق أسس ومبادئ الإقتصاد المقاوم. الهدف من هذا البحث المهمّ بناء أسس ومبادئ الإقتصاد المقاوم واستخراجها من القرآن الكريم.

منهج البحث: يُعدّ هذا البحث بحثاً من النوع الكيفي وأنجز بالاستفادة من آليات تحليل المحتوى الإسنادي وطريقة البحث المكتبية. طبقاً لهذا، استخرجت في البداية أسس ومبادئ الإقتصاد المقاوم مع مضامينها بالرجوع إلى المقالات والكتابات المعبرة وخطابات السيد القائد (دام ظله) معتمدين في ذلك على تقنية تحليل المحتوى، ثمّ نظّمت ضمن جداول بعد تلخيصها. في تتمة البحث وبالإعتماد على التقنية المكتبية وبالرجوع إلى القرآن الكريم، استخرجت الآيات التي يشير مضمونها إلى أسس ومبادئ الإقتصاد المقاوم ونظّمت ضمن جداول وتمّ تحليلها.

النتائج: أشارت النتائج إلى بعض أهم أسس الاقتصاد المقاوم بنظر القرآن الكريم وهي عبارة عن: تجلي التوحيد في الاقتصاد، التفقه في الأحكام الاقتصادية، العمليات الاقتصادية مظهر للعبودية، ملازمة الجهاد الاقتصادي للعدالة، الرشد الاقتصادي، السعي والمجاهدة الاقتصادية، الأعمال الخاصة الاقتصادية لجهة إقتلاع جذور الفقر والإستضعاف المالي. ومن جملة المبادئ المهمة أيضاً بنظر القرآن الكريم: العمل الاقتصادي والقيمة المضافة، العدالة الخدمائية في التوزيع، التداول الحر للثروات، الإعتماد على الذات، القناعة والإستهلاك الأمثل.

الكلمات المفتاحية: الاقتصاد المقاوم، أسس، مبادئ، القرآن الكريم.

١- المقدمة

لطالما عدّ بناء المؤسسات والهيكلية بما يتناسب ومبادئ وأهداف النظام الإسلامي أحد الدغدغات الأساسية للمفكرين وأصحاب النظر الإسلاميين. إشتدّ الإهتمام بهذا الهدف بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران وبذلت جهود ومسااعي كثيرة في خدمة هذا الهدف. هذا التوجه العام ظهر أيضاً في كلام السيد القائد (حفظه الله) تحت عنوان بناء نموذج إسلامي إيراني متطور، وقد تحوّل هذا التوجه العام إلى مطلب عام في وقتنا الراهن^(١). والهدف من مثل هكذا نموذج هو مواجهة المحن وعداوة الحاقدين منذ زمن على الثورة والإسلام ونحن على ذلك بإذن الله. تعتبر العقوبات والضغوط الاقتصادية إحدى الأسلحة التي يستفيد منها بعض الدول لتوجيه الضربات لدول أخرى والسيطرة عليها.

يتعرّض بلدنا نظراً لما فيه من قابليات وقدرات فكرية، طبيعية وإقتصادية بشكل دائم لمثل هكذا هجمات ظالمة غير متكافئة، حتّى في زمن الحرب المفروضة تعرّضنا أيضاً

لمثل هكذا مشكلات. يظهر مؤشر الوضع الاقتصادي في السنة الأخيرة من الحرب المفروضة أنّ هذه المؤشرات انخفضت بشكل مأساوي في السنوات الأخيرة للحرب؛ فالعجز في ميزانية الدولة مثلاً تجاوز حينها نسبة ٥٤٪ وهو رقم قياسي لا سابق له في تاريخ إيران. ويمكن الإدّعاء بأنّ أحد أسباب قبول الإمام الخميني (رض) بقرار مجلس الأمن هو الوضع الاقتصادي المتردي والخطر في إيران حينها وذلك نظراً لعدم وجود نموذج اقتصادي مقاوم^(١). لحسن الحظ تملك إيران حالياً أرضية ملائمة لتدوين وتطبيق نموذج اقتصادي مقاوم لما فيها من ثروات هائلة، عدد كبير من السكان، سوق ضخم داخل البلاد وأخيراً علاقات جيّدة نسبياً مع المحيط. وتفرض التحوّلات العالمية على الجمهورية الإسلامية كذلك أن تظهر بعنوان النموذج الموفّق والمستقلّ الملهم للعالم الإسلامي في موضوع الإدارة الاقتصادية وتهيئة الأرضية الاقتصادية المناسبة للحفاظ على كرامات الناس وتأمين حاجاتهم^(٢)؛ وبناء عليه، الجمهورية الإسلامية مكلفة ببناء النظرية والابتكار ووضع النموذج في مختلف الميادين الاقتصادية الحديثة^(٣). يمكن القول بأنّ أفضل آلية يمكن إعتماؤها في هذا الميدان هي استخراج النموذج الإسلامي والبنية الأساسية بالإستناد إلى التعاليم الإسلامية. وكذا يمكن إعتماذ المبادئ الأساسية والتوجيهات الكلّية في الشريعة الإسلامية ككرامة الإنسان، مواجهة الإستكبار والإستضعاف، التسامي والنمو العام للبشرية و...أسساً تبنّي عليها القرارات والتوجيهات بشكل عام^(٤). أوّل ما يمكن الإعتماد

١- سيف.

٢- رحمان بور وزملائه ٢٠١٥.

٣- تراب زاده جهرمي وزملائه.

٤- نريمانى وعسكري.

عليه لبيان النموذج الإقتصادي الإسلامي المقاوم هو بحث أسس ومبادئ الإقتصاد المقاوم في القرآن الكريم والمتون الإسلامية وهو ما اعتمدناه هدفاً أساسياً لبحثنا هذا. وبناءً عليه، وضعنا في البداية مفهوم الإقتصاد المقاوم وأسس المستخرجة من خطابات السيد القائد (حفظه الله) تحت المجهر وموضع البحث، ثمّ جزأنا وحللنا هذه الأسس في المتون الإسلامية وبشكل خاص القرآن الكريم، كل هذا مع أملنا بأن يستطيع عملنا هذا أن يعرض طريقاً واضحاً وجديداً لفهم الإقتصاد المقاوم والعمل به.

٢- المباني النظرية

على المستوى الدولي عرّف مفهوم الإقتصاد المقاوم بعدة تعاريف مختلفة؛ من باب المثال استفاد برغوليو^(١) وزملائه (٢٠٠٨) من مصطلح "المرونة الإقتصادية"^(٢) للإشارة إلى القدرة السياسية لإقتصاد معين في مواجهة الصدمات الخارجية المعادية. هذا المصطلح بتعريفه الذي ذكرناه يعدّ المفهوم الأقرب لتعريف "الإقتصاد المقاوم" في أدبيات بلدنا الرائجة.

يبيّن برغوليو وستيفن^(٣) أنّ مصطلح "المرونة الإقتصادية" يستعمل في مفهومين: الأول، القدرة الإقتصادية على التعافي السريع من الصدمات الإقتصادية الخارجية المهدّمة؛ الثاني، القدرة الإقتصادية على النهوض في قبال آثار ومضاعفات هذه الصدمات. لا يتصور النهوض في مقابل الصدمات إلّا بعد امتصاص الصدمة أو حين كونها شبه معدومة. كذلك يمكن تصوّر هذا النوع من المرونة في حال وجود آليات إقتصادية معينة تخفف من آثار تلك الصدمات يطلق عليها مصطلح "امتصاص

١- Briguglio

٢ - Economic resilience

٣ - Briguglio and Stephen

الصدمة"؛ السوق المرن مثلاً يصلح أن يكون أداة نافعة في امتصاص الصدمات^(١). بشكل عام، يصطلح على قدرة نظام معيّن على مواجهة الصدمات المحكمة بـ "المرونة الاقتصادية" (رز، ٢٠٠٨)^(٢).

بنظر الكاتب، الاقتصاد المقاوم هو عبارة عن: قدرة بلد معيّن على مواجهة الضغوطات الاقتصادية المفروضة من قبل بلدان أخرى أو قدرة بلد ما على مواجهة الشرائط الموجودة على المستوى الدولي المانعة من النمو الاقتصادي. يجب التأكيد في مثل هكذا قدرة على القابليّات والإمكانات الداخليّة، وعلى الحفاظ على النمو الاقتصادي الموجود وضمان استمراريته خلال عملية تحصين هذا الاقتصاد. على الرغم من تسمية هذا المفهوم (الاقتصاد المقاوم) في بلدان مختلفة مثل اسبانيا، اليونان، البرتغال وإلى حد ما إيطاليا بـ "التقشّف الاقتصادي" إلا أنهم اختلفوا في تعريفه وتفسيره. في بعض البلدان يكون مصطلح "التقشّف الاقتصادي" كاشفاً عن التقليل من عرض الخدمات والإمّيازات العامّة أو حتّى حذفها وذلك لأجل تخفيض المصاريف وجبر كسر الموازنة. يؤدّي العمل بهكذا نوع من الطروحات في بعض البلدان أحياناً إلى زيادة في الضرائب وفي أخذ القروض والمساعدات المالية الخارجية. في مثل هكذا أوضاع يعيش الناس تحت ضغط شديد ولن يستطيعوا التحمّل لمدة طويلة. في المقابل يطرح مفهوم الاقتصاد المقاوم بالنظر إلى عناوين المقاومة، إدارة الأزمات، ترميم البنية الاقتصادية والمؤسسات المتهاكلة والبطالة المتفشّية وهو قطعاً لا يتحقّق إلاّ بمشاركة الجميع وإحساسهم بالمسؤولية وبتفعيل الإدارات العقلانيّة المدبّرة وهي شروط مقدّماتية إلزامية لتحقّق مثل هكذا موضوع.

١-برغوليو وستيفن، ٢٠١١: ٥.

الاقتصاد المقاوم هو الحدّ من التبعية والسعي نحو الإعتماد على النفس^(١). حاز هذا المفهوم في بلدنا وطبقاً لما أكّد عليه السيد القائد (حفظه الله) على معنى آخر أيضاً: هو الاستهلاك الصحيح وفق منظور الرفاه الاجتماعي، ويتحقّق بالإعتماد على القدرات الداخلية -لا الخارجية- وبالإستناد إلى القيم الإسلامية. وضع الإسلام للأفراد برنامجاً خاصاً مبتنٍ على القرآن وتعاليمه يهدف إلى وصولهم لكمالهم ولإعانتهم في الإعتماد على أنفسهم في المصائب والضغوطات ولحفظ الإئتران في أنفسهم كذلك. استخراج هذه التعاليم والمضامين القيمة يؤدي إلى إمكانيّة ترسيم وتوضيح مسار الأفراد والمؤسسات في جميع الميادين^(٢).

يملك الاقتصاد المقاوم الذي يعدّ مسنداً جيداً لنمو وارتقاء النظام الإسلامي على الصعيد الاقتصادي مباني قيمة يمكن تسليط الضوء عليها وتثبيت دعائمها بالإستنباط من القرآن الكريم وبالإستفادة من آياته. تقع الآية ٦٠ من سورة الأنفال ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ على رأس البرامج الإستراتيجية المعدة للإرتقاء بالاقتصاد المقاوم فيجب أن تعتمد ركيزة لأي عمل عند المسؤولين والشعب في مسارهم الاقتصادي المقاوم. هذه الآية تأكّد على ضرورة تعزيز القوّة والقدرة وتهيئة أرضية المقاومة والجهوزية للمجتمع الإسلامي. ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة الكثير من العبارات حول موضوع الجهاد الاقتصادي وتعدّ عزّة الإسلام والمسلمين محور البحث فيها. تعني العزّة بمنظور قرآني عدم الإنهزام والإنكسار، والأمة العزيزة هي الأمة المقاومة الصامدة التي تستطيع أن تتحمّل الضغوطات وأن تستمرّ في نفس الوقت في مسيرها مسير الشرف والعزّة.

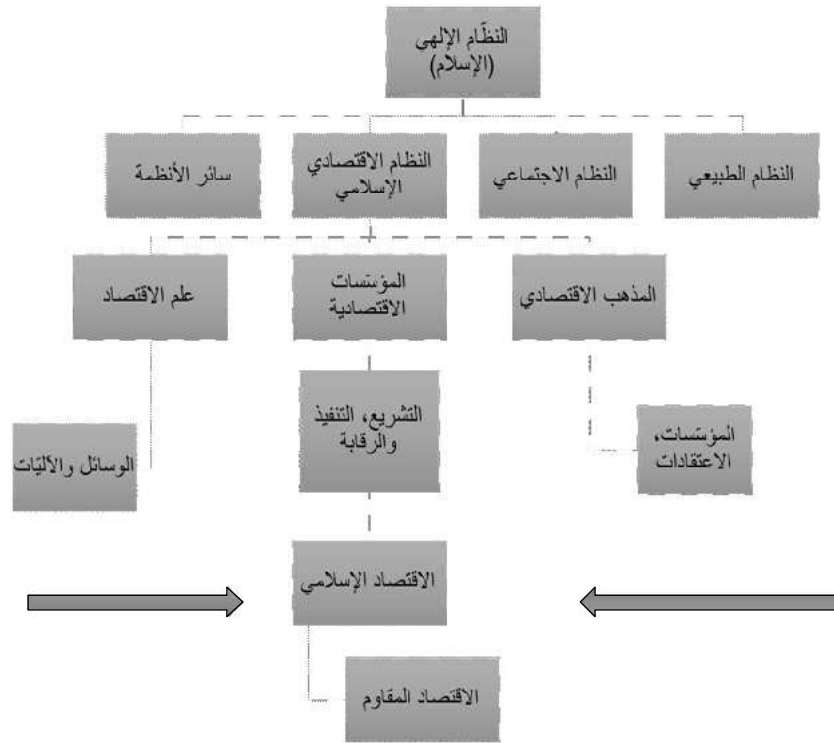
١- (فشاري وبورغفار، مقالة "بررسی الگوی اقتصاد مقاومتی در اقتصاد ایران" ٢٠١٤).

٢- (رحمان بور وزملاؤه، ٢٠١٦).

برؤية توحيدية، يملك العالم نظاماً واحداً متسقاً. هذا النظام الإلهي يملك أفرع عدة، من جملتها النظام الاجتماعي، النظام السياسي، النظام الطبيعي، النظام الاقتصادي و...، والتي ترتبط ببعضها وتؤثر في بعضها البعض. النظام الاقتصادي هو مجموعة عناصر مرتبطة ومنظمة تعمل بهدف التقييم والاختيار في مجال الإنتاج، التوزيع والاستهلاك وذلك لأجل كسب أعلى مقدار من النجاح^(١) يتحقق النظام الاقتصادي الإسلامي والمركّب من "علم الاقتصاد"، "المذهب الاقتصادي" و"المؤسسات الاقتصادية - الاجتماعية" ضمن إطار "الحكومة الإسلامية". في الواقع، يستفيد الاقتصاد الإسلامي من أدوات علم الاقتصاد ومؤسساته لخدمة المذهب الاقتصادي أي أهداف النظام الإسلامي. تؤثر الاكتشافات والاختراعات العلمية في نظريات المذاهب الديناميكية. من ناحية أخرى، تؤثر نظريات المذهب في الركائز الفكرية، وهذا الأمر بدوره يؤثر في النظريات العلمية، أما المؤسسات الاجتماعية فتتأثر بكليهما وتؤثر عليهما. يمكن القول بأن "علم الاقتصاد" يبين الأطر القانونية للسلوك البشري و"الدين" يبني السلوك البشري أو يغيّره. وإذا ما غيّر الدين السلوك البشري فإنه يغيّر كذلك مسار علم الاقتصاد واتجاهه، وخاصة إذا غيّر بتأثير من المذهب أو الثقافة فإنّ علم الاقتصاد بعيداً عن التعصّب سيشرّع ذلك السلوك. المذهب أو الثقافة المنظور لها في المجتمع الإسلامي هي الإسلام نفسه بتعاليمه المذكورة والمؤكّد عليها في القرآن الكريم وأحاديث المعصومين عليه السلام؛ وبناءً عليه، يمكن البحث عن أسس الاقتصاد الإسلامي المقاوم ومكوّناته في الإسلام ونظامه. وبالتالي، يكمن الفرق بين الاقتصاد الإسلامي في النظام الاقتصادي الإسلامي وفي بقية المذاهب الاقتصادية في هذه الأسس والثقافة

١- (نمازي، ٢٠٠٣).

نفسها. الهدف الأساسي للنظام الإقتصادي الإسلامي على المستوى الكلي هو زيادة ثروات المجتمع وثروات أفرادهِ و"الرفاه العام" ضمن الأطر الدينيّة، وتحديد التعاليم الدينيّة هذه الأطر وتعرضها في النصوص الدينيّة. تشير هذه الشجرة التوضيحية إلى الأطر المفهومية للنظام الإقتصادي الإسلامي والإقتصاد المقاوم في النظام الإسلامي:



رسم توضيحي (١) الهيكل المفهومي للنظام الإقتصادي الإسلامي والإقتصاد المقاوم (اسدي ٢٠١٤)
كما نلاحظ سوية فإنّ النظام الإسلامي - المبني على دعامة التوحيد والتعاليم الإلهيّة - وبخلاف بقية المذاهب والأيدولوجيات، إضافة لاستفادته من الوسائل العلمية لوضع البرامج الإقتصادية فهو يستفيد أيضاً من القدرات الإقتصادية والقيمية في

سبيل تحسين الظروف المعيشية، ويعبئ كذلك المؤسسات والإمكانات الموجودة، ويعتمد التعاليم الإسلامية والدينية كدليل عمل في مختلف المراحل والبيئات.

٣- المنهجية

يصنف هذا البحث بلحاظ النوع ضمن البحوث الكيفية وقد أنجز بالاستفادة من التقنية المكتبية وآليات تحليل المحتوى الإسنادي. وعلى هذا الأساس، استخرجت في البداية أسس ومبادئ الإقتصاد المقاوم مع مضامينها ودلالاتها بالإعتماد على تقنية تحليل المحتوى وذلك بالرجوع إلى المقالات والكتابات المعبرة وخطابات السيد القائد (دام ظله)، ثم نظمت ضمن جداول بعد تلخيصها. المقصود هنا بالأسس البنى التحتية والقيم الاعتقادية والركائز المتعلقة بالإقتصاد المقاوم والتي تمّ طرحها على المستوى الكلي والعام وتعدّ بدورها موجّهاً ومسهلاً للوصول إلى أهداف الإقتصاد المقاوم. أمّا المبادئ في بحثنا هذا فهي الإستراتيجيات والسياسات العملية والتنفيذية التي تحقّق المضامين والأهداف المستترة في الإقتصاد المقاوم. هذا المستوى غالباً ما يشير إلى الجنبه العملية الإستراتيجية للإقتصاد المقاوم ويشمل كلّ أفراد الحكومة والمجتمع. في تنمّة البحث وبالإعتماد على التقنية المكتبية عدنا إلى القرآن الكريم واستخرجنا الآيات التي يشير مضمونها إلى أسس ومبادئ الإقتصاد المقاوم ونظّمناها ضمن جداول متنوعة. وأخيراً رتّب التحليلات على شكل أسئلة بحثية بهدف التسهيل والتحليل أفضل.

٤- المعطيات

السؤال الأول: ما هي أسس ومبادئ الإقتصاد المقاوم؟ وما هي مضامينها؟
طرّحت عبارة "الإقتصاد المقاوم" للمرة الأولى من قبل السيد القائد (دام ظله)، ولها أربعة مكوّنات. يمكن تلخيص هذه المكوّنات ومضامينها بالجدول التالي:

المكوّنات	مفهوم الاقتصاد المقاوم	وظائف الاقتصاد المقاوم	شروط وضغوط الاقتصاد المقاوم	الإمكانات الموجودة للاقتصاد المقاوم
المضامين	الحفاظ على النمو الاقتصادي حتى تحت وطأة الضغوطات تقليل قابلية الاقتصاد للتعرض للضرر ضرب واختلال أقل في مقابل حيل العدو	إيجاد مقاومة إقتصادية في مواجهة الضغوطات ضمان النمو الاقتصادي تحت وطأة الحرب الاقتصادية للعدو منع إيجاد خلل في الرفاه العام الحد من بطالة عوامل الإنتاج وإيجاد الشرائط الكاملة للعمل معالجة مشكلات الناس إيجاد حالة من الطمأنينة عند الناس اتجاه النظام الإسلامي	الاستفادة من جميع الإمكانات الحكومية والشعبية شعبوية الاقتصاد التحول في الوضعية الاقتصادية عن طريق إجراء سياسات مبدأ رقم ٤٤ تقوية القطاع الخاص تقليل الاعتماد على النفط تبديل الإيرادات النفطية بغيرها تكريس الأعمال الاقتصادية المبنية على دعم الإنتاج الوطني تفعيل وحدات الإنتاج الصغيرة والمتوسطة التوازن بين الاستهلاك وإدارة الاستهلاك مواجهة الفساد الاقتصادي الإدارة الصحيحة للموارد المالية إدارة الاستهلاك وخلق ثقافة مانعة من الإسراف الاستفادة القصوى من الزمان والمصادر والإمكانات الحركة المبرمجة والإبتعاد عن التصميمات الآتية حفظ الوحدة والتعاون	وجود إمكانيات وثروات داخلية الناس الطيبين الموارد المالية الموجودة الموارد البشرية الموجودة والأمة الفتيّة عدم وجود ديون عالمية محورية الفكر الديني والإتجاه الديني الإسلامي لحركة البلد وجود مسؤولين معتقدين بمبادئ الإسلام والثورة الأمل بالتوفيق الإلهي للوصول إلى تطور محسوس وعدالة قوية

جدول (١): مكوّنات الاقتصاد المقاوم ومضامينها^(١)

تشير المعلومات الواردة في الجدول (١) إلى أن تحقق الاقتصاد المقاوم مستلزم لثلاث مكونات مهمة. مفتاح نجاح العمل في هذه المكونات الثلاثة هو إدراك مفهوم الاقتصاد المقاوم بما يطابق خطابات السيد القائد (حفظه الله). يشير مفهوم الاقتصاد المقاوم إلى مواجهة الضغوطات، التقليل من الأضرار وحفظ النمو الاقتصادي. وعلى هذا الأساس، يجب أن تستعمل وتنظم الوظائف الاقتصادية، الشروط والضرورات الاقتصادية والإمكانات الموجودة للاقتصاد المقاوم في سبيل تحقيق هذا الاقتصاد بمفهومه ومعناه الذي بيّناه. بتصنيف آخر، يمكن تقسيم مكونات الاقتصاد المقاوم إلى مكونين أساسيين يلعبان دوراً مهماً في تحقيق الاقتصاد المقاوم. مضامين هذه المكونات التي يمكن إدراجها تحت عنوان "أسس الاقتصاد المقاوم" تمت الإشارة إليها في الجدول (٢).

المكونات	المضامين
الإستراتيجيات الاقتصادية	الحرب الاقتصادية الغير متكافئة
	رصد ومراقبة سياسات، وسائل وتقنيات العدو
	هجوم العدو
	الدفاع في مقابل العدو
	التأمين النظري والعملي لذراع الاقتصاد المقاوم
	الاقتصاد الإبداعي
	حفظ قيمة القوى العاملة
	النظرة الصحيحة للعمل والعامل والإبداع
	حماية الأعمال ورؤوس الأموال الإيرانية
	تربية القوى الجهادية
الإستراتيجيات الاقتصادية	سياسة الاستغناء الداخلي
	حماية رؤوس الأموال وانتاج الثروات

الدور الهام للقطاع الخاص		شعبويّة الإقتصاد
ضرورة العمل المشترك بين الشعب والمسؤولين		
الإطلاع على وضع الإقتصاد الوطني ونقده		
الإنتاج	وضع المفاهيم المناسبة	تنمية الإنتاج الوطني
القيمة المضافة		
إستراتيجيات تنمية الإنتاج الوطني		
إدارة الإستهلاك والحدّ من الإسراف		
تحديد مفهوم الجهاد والروحيّة الجهاديّة		الجهاد الإقتصادي
وضع برامج الجهاد الإقتصادي		
أركان الحركة الجهادية		
التوزيع العادل، الذكي والهادف للخيرات والثروات		
وقف الإعتماد على النفط		
رؤية بعيدة المدى للصادرات وإدارة الواردات		
اقتصاد معرفي باعث على الإقتدار		
بناء ثقافة عامّة حول خصائص القوى الجهاديّة		البنية التحتية الثقافية
التوعية حول الأولويات الإقتصادية من قبل مؤسسات ثقافية-إعلامية		
إعلام شفاف وعادل		
بناء ثقافة الإستهلاك الصحيح		
وجود روحية صلبة وتدينّ محكم في المجتمع		
اعتماد المسؤولين على الشباب وتهيئة الأرضية لدخولهم مختلف ميادين العمل والتطور		البنية التحتية السياسية

للإقتصاد المقاوم	الاجتماعية	حفظ الاتحاد والانسجام الوطني
		إبتعاد الوطن والمواطنين عن القضايا الهامشية
	البنية التحتية للإنتاج الوطني	رفع موانع وجود انتاج وطني
		مواجهة الفساد الإقتصادي
		وضع القوانين الداعمة
		بناء ثقافة حول الإنتاج والإستهلاك الداخلي
		خلق شعور بالأمن

يحتاج الإقتصاد المقاوم بشكل خاص إلى مشاركة وتعاون جميع أطراف الدولة والشعب وكذا جميع المؤسسات الإقتصادية الصغيرة والكبيرة. هذا الأمر يصبح قابلاً للبحث بعد تأمين البنى التحتية المطلوبة على الصعيد الثقافي، السياسي-الاجتماعي والإنتاجي الوطني. تسعى الإستراتيجيات الإقتصادية في مواجهتها لعقوبات وسياسات باقي الدول إلى ترويج ونشر الإنتاج الوطني بالإتكاء على القدرات والإمكانات المحلية. في هذا الصدد، يجب على المتصدّين الإلتفات بشكل خاص إلى ضرورة وجود تنمية إبداعية وإقتصاد معرفي إضافة لإمتلاك برامج جهادية ثقافية . تعمل البنى التحتية للإقتصاد المقاوم مع البناء الثقافي والإعلام الشفاف والروحانية الإيمانية عند المسؤولين والشعب جنباً إلى جنب لرفع الموانع وإيجاد الشرائط اللازمة والمساعدة في تحقيق الإقتصاد المقاوم.

السؤال الثاني: ما هي أسس الإقتصاد المقاوم المستخرجة من القرآن الكريم؟ يظهر الجدول (٣) الآيات القرآنية المبتنية على أسس ومضامين الإقتصاد المقاوم والمؤكد عليها في خطابات السيد القائد (دام ظلّه). ابتدأنا في كل مورد من الموارد بذكر المفهوم الأساسي أو المبنى المعتمد ثم بعد توضيحه ذكرنا الآية المستند إليها في المقام.

جدول (٣) الآيات القرآنية المبتنية على مضامين الاقتصاد المقاوم

الآية	توضيح	الأسس
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ ^(١٠٩)	يمكن أن تكون الأنشطة الاقتصادية والمبادرة إلى الاستفادة من المواهب الطبيعية لتأمين المعاش عملاً عبادياً ومظهراً من مظاهر العبودية لله عز وجل	العمليات الاقتصادية؛ مظهر من مظاهر العبودية
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾ ^(١١٠)	العدالة في القرآن الكريم تعني القدرة الاقتصادية المتساوية بين الناس	الجهاد الاقتصادي مصاحب للعدالة
﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ ^(١١١) وآية أخرى: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ ^(١١٢)	تم التأكيد في القرآن على السعي والمثابرة للإرتقاء بالمجتمع	النمو الاقتصادي
﴿وَمَن رَّحِمْتَ جَعَلْ لَّكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ^(١١٣)	الاستفادة من الجهد والاجتهاد في القرآن الكريم بمعناها المادي والمعنوي	الجهد والاجتهاد في الجهاد الاقتصادي
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ ^(١١٤)	كل شخص يعمل بما يتناسب وقدرته والظروف المحيطة	الأعمال الخاصة الاقتصادية

١٠٩- سورة الملك، الآية ١٥.

١١٠- سورة التوبة، الآية ١٠٣.

١١١- سورة النور، الآية ٣٣.

١١٢- سورة الحديد، الآية ٧.

١١٣- سورة القصص، الآية ٧٣.

١١٤- سورة الملك، الآية ١٥.

دور الممتلكات في قوام الحياة الاجتماعية	الأموال والممتلكات هي أفضل دعامة للأفراد	وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿١١٥﴾
تأثير الجهاد الإقتصادي والعدالة في التوزيع على حركة رؤوس الأموال	حفظ العدالة في جميع شؤون الحياة الاجتماعية والفردية، يوجب حلول البركة في حياة الأفراد. يمنع الاحتكار في الحكم الإسلامي بأن تحتكر مجموعة خاصة الإنتاج والتوزيع والاستهلاك مع وجود مشرعين آخرين في هذه المجالات، فتمنعهم من المشاركة في الأنشطة الاقتصادية. لهذا وجدت الضرائب الإسلامية لتمنع انحصار الثروات وحركتها بين عدد محدود من الأغنياء	﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْقُرَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١٦﴾
استئصال الفقر والإستضعاف المالي	إزالة الفقر ورفع القدرة المالية للشعب من عوامل تقوية الاقتصاد	﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ، وَلَا يَخْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿١١٧﴾

١١٥- سورة النساء، الآية ٥.

١١٦- سورة الحشر، الآية ٧.

١١٧- سورة الماعون، الآية ١٠٣.

عدم إيكال الأنشطة الاقتصادية إلى الأشخاص فاقدى الأهلية	منع غير المتخصصين من التصرف بالأموال والتدخل في البرامج الاقتصادية	﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ^(١)
الإدارة المالية المتوازنة	الحد من الإسراف المالي والزهد الإفراسي	﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ^(٢)
التأثير السلبي للمفسدين الاقتصاديين	يلهث المفسدون وراء المال بالطرق الغير مشروعة ويسعون جاهدين للتنعم والتجمل والتلذذ الدنيوي حتى يغرقوا في هذا المستنقع فلا يمتنعوا بعدها عن أي جريمة أو وقاحة للوصول لأهدافهم	﴿قُلُوبًا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ۖ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ ^(٣)
تأثير الإقتصاد غير السليم على الأزمات الإجتماعية	الاقتصاد غير السليم بكافة أشكاله يؤدي إلى أزمات إجتماعية	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ^(٤)

بالتأمل في معطيات الجدول (٣) يمكن القول بأن الإسلام والقرآن الكريم أكدوا بشكل خاص على أسس الإقتصاد المقاوم. حدد القرآن الكريم الآليات الصحيحة للأنشطة الاقتصادية الكبيرة والصغيرة وذلك من خلال توضيح الكثير من الأصول والقواعد على المستويين الفردي والإجتماعي وكذا من خلال بيانه لآليات العلاقة

١- سورة النساء، الآية ٥.

٢- سورة الأنعام، الآية ١٤١.

٣- سورة هود، الآية ١١٦.

٤- سورة النساء، الآية ٢٩.

الصحيحة بسائر الدول ونهيه عن ايجاد عوامل تخلّ بمثل هكذا علاقات. يشير القرآن الكريم أيضاً إلى أهمية الأنشطة الاقتصادية وضرورة اعتماد آليات اقتصادية صحيحة للوصول إلى الاقتصاد المقاوم.

يعدّ "الاقتصاد" بنظر التعاليم الإسلامية "قوام المجتمع"، بما معناه أن المجتمع البشري يقف على قدمية بالاقتصاد؛ لأنّ ما يجمع الناس حتّى في المؤسسات الصغيرة كالعائلة هو تلبية الحاجات المهدّنة والمرفّهة أي الروحية والجسمية للأفراد؛ لأنّ الإنسان يرى السعادة تدور مدار هذين الأصلين. يوضّح الله لنا في الآية ٨٥ من سورة الأعراف والآيتين ٨٤-٨٦ من سورة هود بأنّ السعادة الحقيقيّة للإنسان تكون بعبادة الله الواحد، سلامة الأمور الاقتصادية والحدّ من الفساد، وفي الآيات ٣ و٤١ و٤٣ و٨٣ و١٧٧ و٢٧٧ من سورة البقرة والآية ٣٩ من سورة النساء والآيتين ٢ و٣ من سورة الأنفال يبيّن بأنّ أهميّة الأمور الاقتصاديّة والمعيشيّة للناس لا تقل أهميّة عن المسائل الاعتقاديّة والعباديّة. بنظر القرآن الكريم، للاقتصاد دور أعمّ من المجالات الماديّة للإنسان والمجتمع، فيشملها وغيرها من المجالات، ولهذا أكّد القرآن على الدور الاقتصادي في الأمور المعنوية والروحيّة^(١). إمتلاك اقتصاد مقاوم ضروري ومهمّ للمجتمع الإسلامي كضرورة الاقتصاد المستدام. من أهمّ الآيات الموضّحة لهذه الضرورة والأهميّة آية ٢٨ من سورة التوبة. يشجّع الله في هذه الآية على قطع التبعية الاقتصادية للأجانب وبنّيه الأشخاص القلقين من اختلال النظام الاقتصادي بعد قطع الارتباط بالأعداء والمشرّكين بأنّ هذا العمل إضافة لعدم إيجادهم للخلل في النظام الاقتصادي فإنّه يبعث أيضاً على الإزدهار، النمو والتطور الاقتصادي. يقول الله عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

١- سورة التوبة، الآية ٧٥ وسورة الصف، الآيات ١٠-١١-١٢.

٢- سورة التوبة، الآية ٢٨.

السؤال الثالث: ما هي مبادئ الاقتصاد المقاوم المستخرجة من آيات القرآن الكريم؟

جدول (٤) مبادئ الاقتصاد المقاوم في القرآن الكريم

المبادئ	توضيحات	الآية
التوزيع العادل للثروات	في دائرة الأنفال، يتساوى الجميع في الحقوق، ولا يستطيع أي أحد أن يحتكرها لمصلحته أو لمصلحة جناح معين أو حزب معين	﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ١﴾
العمل الإقتصادي والقيمة المضافة	لا يمكن للثروات أن تولد وحدها الثروات وإنما يجتبرافق والعمل الإقتصادي. بنظر القرآن، يعد العمل من أهم المسؤوليات والتكاليف التي حملها الله للإنسان	﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا كُلًّا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَنَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً نَلْبِسُوهَا وَتَرَىٰ الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ وَلَيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٢﴾

١- سورة الحشر، الآية ٧.

٢- سورة النحل، الآية ١٤.

العدالة الخدمائية في التوزيع	بعد أن تتبدل الثروات الإلهية مع العمل الإقتصادي إلى منتجات بقيمة مضافة، يجب رعاية العدالة أيضاً في مرحلة التوزيع وفي مرحلة الخدمات	﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۚ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۚ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝﴾ (١٢٦).
الحركة الحرة للثروات	يجب أن تكون الثروات في المجتمع متاحة لجميع أفراد المجتمع ودائماً في حالة حركة وجريان.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَا كُفْرُونَ ۚ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾ (١٢٧).
الإعتماد على النفس	يجب على المجتمع الإعتماد على إمكاناته. عندما يصل الإقتصاد إلى مرحلة الإكتفاء الذاتي، لن ينكسر بعدها تحت وطأة الضغوطات الإقتصادية وسيكمل مساره.	﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝﴾ (١٢٨).
القناعة	القناعة هي إحدى أهم المبادئ المشيرة إلى المقاومة والإدارة في الإستهلاك. القناعة تعني شبع العين والإكتفاء ما يملك الفرد.	﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝﴾ (١٢٩).

١٢٦- سورة الأنعام، الآية ١٥٢.

١٢٧- سورة التوبة، الآية ٣٤.

١٢٨- سورة النساء، الآية ٥.

١٢٩- سورة طه، الآية ١٣.

الاستهلاك الأمثل	يجب أن يسد الاستهلاك الحاجات بشكل صحيح متن، ويحفظ الثروات والبضائع	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَالزُّبُونُ وَالرَّهْمَانُ مُمْتَسِبَاتُهُ وَالزُّبُونُ كَلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتَوْا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٣٠).
------------------	--	---

تشير معطيات جدول (٤) إلى أن مبادئ الإقتصاد المقاوم بحثت بصورتها الأمثل في القرآن الكريم كما تم التأكيد عليها كذلك. رعاية هذه المبادئ المذكورة يوجب تطبيق وحفظ وتنمية أسس ومضامين الإقتصاد المقاوم بشكل جيد، وكذا يمنع التبذير واحتكار الثروات والمنايع. يعدّ العمل والكسب اليومي الحلال المتناسب وقدرات وقابليات الأفراد أحد ركائز البنى التحتية لإنتاج الثروة والإقتصاد القوي.

٥- البحث والاستنتاج

حاز مفهوم الإقتصاد المقاوم على مكانة خاصة في السياسات الإقتصادية للدول، وتدرجه أغلب الدول ضمن رؤاها ومرجعياتها الإقتصادية. أعتني بهذا المفهوم بشكل جدّي في إيران بعد ما أدركت أهميته بفعل خطابات السيد القائد (حفظه الله). كان هدفنا من هذا البحث دراسة مضامين الإقتصاد المقاوم في القرآن الكريم. تحكي نتائج السؤال الأوّل عن أن الإقتصاد المقاوم له أسس ومبادئ خاصة به وتتحقّق أهدافه بالالتزام بها. طبقاً للجدول (١) تشير الأسس إلى المتطلبات الأساسية لتحقيق رسالة الإقتصاد المقاوم والتي يغلب على أكثرها الطابع العام الكلّي. وفي هذا الصدد تشير المعطيات في جدول (٣) إلى أن الآيات القرآنية تولي اهتماماً خاصاً لمسألة تقوية

البنى الأخلاقية والإعتقادية في المجال الإقتصادي وتشير إلى الكثير من التوصيات في المقام. لهذه التوصيات جنة إيجابية وأخرى سلبية. بعبارة أخرى، في بعض الآيات كُلف الأفراد، المجتمعات والحكومات بالعمل والتحرك المفيد والسليم لأجل تحقيق الأهداف الإقتصادية، في المقابل نهت بعض الآيات الأخرى عن الأعمال الفاسدة المضرة بالأفراد والمجتمع. في قسم المبادئ أيضاً، أظهرت نتائج البحث أنه لأجل تحقيق أهداف الإقتصاد المقاوم يجب على الأفراد والحكومات الإلتزام بالإستراتيجيات والضوابط في المجالات العملية والعلاقات والمبادلات الإقتصادية لتنجز الأعمال الإقتصادية بشكل هادف وصحيح. وطبقاً لما ورد في جدول (٤) تأكد الآيات على ضرورة العدالة، الإعتماد على النفس، الإستهلاك الأمثل والحد من الإسراف. وبناء على التعاليم القرآنية، يجب أن يبتني إقتصاد المجتمع على عنصر الإقتصاد المقاوم لضمان استدامته داخلياً وليتمكن أيضاً من الوقوف في وجه الضغوطات المختلفة كالقحط والزلازل والحروب والعقوبات وغيرها.

إمتلاك اقتصاد مقاوم ضروري ومهم للمجتمع الإسلامي كضرورة الإقتصاد المستدام. كما يجب على المجتمع الإسلامي امتلاك اقتصاد سليم، مزدهر ومستدام يجب عليه أيضاً امتلاك اقتصاد مقاوم يحفظه من مؤامرات الأعداء ويمنع من خنوع أفرادهم أمامهم. يقول الله في محكم كتابه العزيز في الآية ٦٠ من سورة الأنفال ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...﴾؛ تأكد هذه الآية على ضرورة تعزيز القوة والقدرة وتهيئة أرضية المقاومة والجهوزية للمجتمع الإسلامي، يجب أن تجعل هذه الآية العنوان العريض والعبارة المفتاحية للإقتصاد المقاوم. ورد الكثير من العبارات في القرآن الكريم والأحاديث تتحدث عن الجهاد الإقتصادي بمحورية عزة الإسلام والمسلمين. العزة بمنظور قرآني تعني عدم الإنكسار، والأمة العزيزة هي الأمة المقاومة الصامدة التي تتحمل الضغوطات ليبقى رأسها مرفوعاً. مفاد هذه الآية وبالنظر إلى وصف أمة

الإسلام بجملة "... فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ..."^{١٣١} - بمعنى القدرة والقوّة - أن اقتدار المسلمين ووصولهم إلى درجة عالية من المجد والعظمة يؤدي إلى إغابة الأعداء وتلاشي قدرتهم على تحمّل المسلمين. بشكل حاسم وقطعي، في حال لم يعتمد المسلمون مثل هكذا هدف لعملياتهم الإقتصادية ولم يخرجوا من ثقافة التبعيّة والإتكالية، سيقفون يتلقّون الهزائم الواحدة تلو الأخرى، ليس فقط في الميادين الإقتصادية وإنما في ميادين الأخلاق والثقافة أيضاً التي هي منشأ كلّ انكسار مادي ومعنوي. يجب على المسلمين امتلاك اقتصاد مستقلّ غير تابع لأحد، ويجب أن يشمل الإقتدار الذي يسعون وراؤه جميع الميادين السياسية، العسكرية، الإقتصادية والثقافية.

بشكل عام، ومن خلال بحث أسس ومبادئ الإقتصاد المقاوم يمكن الإستنتاج بأنّ الإقتصاد المقاوم ليس طرْحاً أو برنامجاً معدّ من قبل الحكومة ليحتمل فيه النقص والتناقض بما يمنع من المشاركة الجديدة للحكومة والشعب في تطبيقه، وإنما يعدّ موضوع الإقتصاد وبشكل خاص المكوّنات أو الإقتصاد المقاوم من جملة الأمور التي أكّد عليها القرآن ووصّى بها في العديد من الآيات الكريمة. على الرغم من طرح عناوين الإقتصاد المقاوم في القرآن الكريم بشكل مختلف وبطريقة خاصة، يمكن من خلال مطالعة المضامين وجميع القرائن والمؤشّرات القول بأنّ الأمور الإقتصادية التي أكّد عليها القرآن الكريم هي نفسها تلك النقاط المهمة والدقيقة الموجودة في الإقتصاد المقاوم. من جملة التوصيات التي أكّد عليها مراراً وتكراراً في القرآن الكريم محاربة الفساد والاحتكار والربا والاستغلال والاختلاس، ضرورة العمل وعدم الإعتياد على البطالة، عدم الإسراف وضرورة رعاية العدالة في إنتاج وتوزيع الثروات وهي تعدّ كذلك من المؤشّرات المهمّة لتحقيق الإقتصاد المقاوم. برزت أهميّتها أيضاً بشكل ملفت من خلال العناوين والتسميات التي أطلقها السيد القائد (حفظه الله) على سنوات

١٣٩٥، ١٣٩٦ و ١٣٩٧ بدلائلها على تلك المؤشرات. يبقى من الواضح لدينا أن أماننا طريق صعب وطويل، ولكن من خلال إتباع التعاليم القرآنية ووضع البرامج الاقتصادية القوية من قبل المتخصصين والتنفيذ الملتزم والمسؤول لهذه البرامج يمكن لنا أن نخطو خطوات كبيرة اتجاه تحقيق الاقتصاد المقاوم. كما لا يخفى وجود قصور وتقصير بسبب ضعف الإنتاج أو عمل المسؤولين والشعب بما يخالف واقع الحال وليس بسبب عدم وجود عدد كافي من الآيات أو عدم صحّة الرؤى الاقتصادية؛ بعبارة أخرى، أو أنّ الدولة لم تتصرف بشكل صحيح مع المفاصد الموجودة أو أنّ سياسات الدولة الخاطئة هيئة أرضية الفساد للأشخاص الإنتهازيين. ولا يخفى أيضاً أن العقوبات الخارجية الظالمة وضعت الكثير من العقبات أمام تنفيذ الاقتصاد المقاوم؛ ولهذا تعدّ الاستفادة من القدرات الداخلية والمحلية هي الطريق الوحيد للوقوف أمام هذه التحديات. وهنا ندرك صحّة تسمية العام الحالي بـ "عام دعم المنتجات الإيرانية" من قبل السيد القائد (حفظه الله ورعاه).

المصادر:

القرآن المجيد، ترجمة حسين انصاريان (٢٠١٤). طهران: دار سازمان دار القرآن الكريم.

١ - أسدي، علي (٢٠١٤). كتاب "نظام اقتصاد اسلامي الكويي كامل براي اقتصاد مقاومتي". فصل "سياست های راهبردي وکلان، الطبعة الثانية، رقم ٥، ص: ٢٥ إلى ٣٩.

٢ - تراب زاده جهرمي، محمد صادق وسيد علي رضا سجادي ومصطفى سميعي نسب (٢٠١٣). كتاب "بررسي ابعاد ومؤلفه هاي اقتصاد مقاومتي جمهوري اسلامي ايران در اديشه حضرت آيت الله خامنه اي". فصل "مطالعات انقلاب اسلامي"، السنة العاشرة، رقم ٣٢، ص: ٣١ إلى ٤٦.

٣ - رحمان بور، محمد وعصمت حسن بور واحمد رضا نصر (٢٠١٦). كتاب "بررسي برنامه درسي ملي ايران در ارتباط با مؤلفه هاي اقتصاد مقاومتي از ديدگاه صاحب نظران". فصل "مطالعات ملي"، السنة ١٧، رقم ١، ص: ٣ إلى ١٢.

٤ - رحمان بور، محمد واحمد رضا نصر وسيد علي سيادت (٢٠١٥). كتاب "بررسي رابطه مباني واصول برنامه درسي ملي جمهوري اسلامي ايران با مضامين اقتصاد مقاومتی به منظور پیشنهاد برنامه درسي مطلوب". فصل "رهیافت انقلاب اسلامي"، السنة التاسعة، رقم ٣١، ص: ٤١ إلى ٦٠.

٥ - سيف، الله مراد (٢٠١٢). كتاب "الگوی پیشنهاد اقتصاد مقاومتی جمهوري اسلامي ايران (مبتي بر دیدگاه مقام معظم رهبري)". فصل "آفاق امنیت"، السنة الخامسة، رقم ١٦، ص: ٥ إلى ٢٢.

٦ - فشاري، مجيد وجواد بورغفار (٢٠١٤). مقالة "بررسي وتبيين الگوی اقتصاد مقاومتی در اقتصاد ايران". مجلة إقتصادية، رقم ٦٥، ص: ٢٩-٤٠.

٧ - نریماني، میثم وحسين عسکري (٢٠١٣). اقتصاد مقاومتی: مباني وراهبردها. طهران: سازمان بسیج دانشجویي.

٨ Briguglio, L. and Stephen, P. (٢٠١١). "Growth and Resilience in East Asia and The Impact of Global Recession", Available at: <http://www.um.edu.Mt>.

٩ Briguglio, L. and Gordon. C., and Nadia. F. and Stephanie. V. (٢٠٠٨). Profiling Economic Vulnerability and Resilience in Small States: Conceptual Underpinnings Economics Department, University of Malta., Available at: <http://www.um.edu.Mt>.

١٠ Rose, A. (٢٠٠٨). Defining and Measuring Economic Resilience to Disasters, Disasters Prevention and Management. ١٣, (٤): Available at: <http://inset.syr>.

تحصيل ظهور زمن الصدور بين أصالة عدم النقل واطراد الاستعمال

□ حسن فواز

خلاصة البحث

تعرضنا في هذه المقالة لأصالة عدم النقل وأهميتها في عالم الاستدلال وتحصيل ظهور زمن الصدور بجعله مطابقاً لما نستظهره زمن الوصول، مع بيان المهم من النكات المذكورة في كلمات الأعلام عند توجيه حجيتها تارةً بدعوى رجوعها للاستصحاب القهقري، وأخرى بدعوى رجوعها لأصالة الظهور، وثالثة بجعلها أصلاً عقلياً قائماً بنفسه، مع ما يمكن أن يورد به على تلك الاستدلالات. ثم تعرضنا لفكرة اطراد الاستعمال، وكيف أنّها تغني عن فكرة أصالة عدم النقل، وأنّه ولو قلنا بحجية أصالة عدم النقل، فإنّ هذه العلامة - أعني اطراد الاستعمال - أكثر موثوقية منها. ثم ختمنا المقالة بذكر تطبيق عملي لهذه القاعدة.

الكلمات المفتاحية: الظهور - التبادر - أصالة عدم النقل - أصالة الثبات في اللغة - أصالة اتحاد العرفين - أصالة تشابه الأزمان - استصحاب القهقري - اطراد الاستعمال.

المقدمة

اقتضت حكمة الله تعالى أن يبلغ الدين بما يوافق لسان القوم الذين بعث إليهم النبي، فقال الله تعالى^(١٣٢): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾، فكانت اللغة هي الوسيلة في بيان الشريعة، ومن هنا نشأ اهتمام علماء الأصول منذ القدم بجملة من المباحث اللغوية.

ثم إنه من المقرر في علم الأصول أن مناط الحجية على الظهور بدليل سيرة العقلاء، وجعلوا لتشخيص صغرى حجية الظواهر جملة من الأصول المسماة بالأصول المرادية، كأصالة الحقيقة والعموم والإطلاق وعدم القرينة، ويقصد من أصالة الحقيقة - مثلاً - أن ظاهر كل متكلم إرادة المعنى الحقيقي الموضوع له اللفظ بحسب أصل اللغة ما لم تقم قرينة على الخلاف، ومن هنا اهتم الأصوليون بالبحث عن علامات الحقيقية، أو قل: علامات الوضع؛ باعتبار أن تحديد المعنى الموضوع له اللفظ هو الذي يصحح التمسك بأصالة الحقيقة، وبالتالي تحديد الظاهر، فالأصولي إذا اهتم بعلامات الوضع، فإنما اهتم بها لتحديد الظهور موضوع الحجية.

هذا، وعند التعرّض لعلامات الحقيقة والوضع ذكر الأصوليون علامات متعددة، وأهمها بحسب ما جاء في الدراسات الأصولية من بعد الكفاية علامة التبادر. لكن في البين إشكال مشهور على هذه العلامة، وهو: أن جعل التبادر علامة على الوضع مستلزم للدور، وأجيب عنه بأن التبادر موقوف على العلم الارتكازي مع كون العلم التفصيلي هو الموقوف على التبادر، فتغاير الموقوف والموقوف عليه. ويقصد من العلم الارتكازي ذلك العلم الذي يكتسبه الإنسان عند معاشرته لأبناء اللغة.

١٣٢ - سورة إبراهيم ، الآية ٤.

وهذا الجواب وإن حلَّ إشكالية الدور، إلا أنه يلفت النظر لإشكالية أعمق، وحاصلها: أن التبادر المتكئ على العلم الارتكازي هو تبادر بلحاظ الواقع الذي نعيشه الآن، وهذا العلم الارتكازي إنما ينشأ مع الإنسان بحسب ما يكتسبه من البيئة التي يعيش فيها، فلازم جميع ما ذكر أن التبادر سوف يكون للمعنى المكتسب والمستعمل بلحاظ عصر الفرد، وبلحاظ ما يتلقاه من أبناء أُمته، مع أن الغرض الأساس للمستنبط من هذه العلامة انسباق معاني الألفاظ المرتكزة في أذهان المعاصرين للنص.

مثلاً: الآن يتبادر إلى أذهاننا من كلمة الوجوب الإلزام، ومن كلمة الكراهة النهي التنزيهي، ومن المال خصوص ما كان متمحّضاً في المائيّة كالأوراق النقدية، مع أن كلمة الوجوب في عصر النصّ إنّما تستعمل في معنى الثبوت الأعمّ من الوجوب والاستحباب، ومن هنا وردت أخبار تدلّ على وجوب غسل الجمعة^(١٣٣)، والصلاة على محمد ﷺ وآله في كلّ موطن وعند العطاس والذباح^(١٣٤).

وورد التعبير بكراهة سؤر الناصب والكافر والمشرّك^(١٣٥) مع وضوح نجاسة سؤرهم أو سؤر بعضهم، وورد أن الله تعالى كره المن بعد الصدقة^(١٣٦) مع أنه مبطل لها كما في نصّ الآية^(١٣٧)، وكذا ورد أنه تعالى كره الرفث في الصوم^(١٣٨).

١٣٣ - ينظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ط ٦، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٥ هـ ش، ج ٣ / ص ٤١.

١٣٤ - ينظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، ط ٢، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٢٤ هـ ق، ج ٧ / ص ٢٠٣ و ٢٠٤، باب ٤٢ من أبواب الذكر ح ٨.

١٣٥ - الكافي، مصدر سابق، ج ٣ / ص ١١.

١٣٦ - م ن، ج ٤ / ص ٢٢.

١٣٧ - سورة البقرة، الآية ٢٦٤.

١٣٨ - الكافي، مصدر سابق، ج ٤ / ص ٨٩.

وفي الآية^(١٣٩): ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ يراد من المال مطلق ما يتموّل به جزءاً، ولذا ورد^(١٤٠) أنّ رسول الله ﷺ وضع الزكاة في التسع المعروفة وفيها لأنعام الثلاثة والغلات الأربعة، وعفا عمّا سوى ذلك.

والحاصل: أنّ التبادر في هذا الزمان قد لا يفيد في كثير من الأحيان نقل الذهن إلى المعنى الحقيقي المستعمل فيه اللفظ في تلك الأزمان. ولذا لم تكن علامة التبادر كافية لوحدها، فاحتيج إلى ضمّ شيء زائد معها لتصحيح الاعتماد على ما يتبادر في ذهن العرف في هذه الأزمان، فكان ما يسمّى بـ"أصالة عدم النقل"، ويقصد منها: أنّه في كلّ مورد يشكّ في كون المعنى المتبادر الآن هو عين ما يتبادر في زمن النصّ أم غيره، فمن تبادره الآن نستكشف كونه كذلك في الزمن السابق؛ لأنّ الأصل في المعاني أنّ لا تكون منقولة إلى هذه المعاني المتبادرة الآن، بل هي معانيها الأصلية.

وبعبارة واضحة: موضوع الحجية عند الأعلام قديماً وحديثاً الظهور في عصر صدور النصّ لا في عصر الوصول، وجعل الظهور في عصر الوصول كاشفاً عن الظهور في عصر الصدور بحاجة في كثير من الأحيان إلى ضمّ أصالة عدم القرينة، ولذا جعل الشهيد الصدر ﷺ استناد الأعلام على أصالة عدم النقل دليلاً على كون موضوع الحجية عندهم ظهور عصر الصدور كما في تقارير بحثه^(١٤١).

ومما تقدّم تعرف أهمية البحث عن أصالة القرينة وحجيتها وموارد تطبيقها، والمقصود من هذه المقالة جمع المهم من النكات المذكورة في كلمات الأعلام - بحسب ما وصل إليه نظري - في تقريبهم لأصالة عدم النقل، وإبداء إمكانية الاستعاضة

١٣٩ - سورة التوبة، الآية ١٠٣.

١٤٠ - وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج ٩ / ص ٥٣، باب ٨ من أبواب ما تجب فيه الزكاة ح ١.

١٤١ - الحائري، السيد كاظم، مباحث الأصول (القسم الثاني)، ط ١، قم المشرقة، ١٤٠٨هـ، ج ٢ / ص ١٨٨.

عنها بما قد يسمّى بـ«اطراد الاستعمال»، ولا نخوض فيما يذكر من استثناءات لعدم إجراء تلك الأصلة.

هذا، وسوف نبحت هذه المسألة في فصول ثلاثة:

الفصل الأول: في بيان ما ذكر من أدلة على حجية أصالة عدم النقل، فنذكر فيه المهم من النكات المذكورة في كلمات الأعلام، مع ما يمكن أن يكون محلاً للإشكال على تلك الوجوه.

الفصل الثاني: اقتراح بديل عن أصالة عدم وهو ما يسمّى بـ«اطراد الاستعمال».

الفصل الثالث: في بيان بعض التطبيقات التي تظهر أرجحية الاعتماد على اطراد الاستعمال.

الفصل الأول: أصالة عدم النقل في كلمات الأعلام

تعرّض الأعلام لمسألة أصالة عدم النقل عَرَضاً في ضمن جملة من أبحاث علم الأصول أولها ما يذكر عند الحديث عن علامية التبادر على الوضع؛ لما عرفت أنّ هذه العلامة لا تفيد كون المعنى الموضوع له زمن النصّ هو عين المعنى الموضوع له زمن حصول التبادر، إلّا بضمّ أصالة عدم القرينة. وأيضاً يذكرونها عند الحديث عن تعارض الأحوال، أو عند الحديث عن الأصول المرادية، أو عند الحديث عن الاستصحاب واشتراط تقدّم اليقين على الشكّ، وعبائر الأعلام عند بيان الدليل على حجية أصالة عدم النقل وإن كان فيها شيء من التشتت، إلّا أنّه يمكن إرجاعها بنظرة فاحصة إلى تخريجات ثلاثة:

١- إرجاع أصالة عدم النقل إلى الاستصحاب القهقري

ولعلّ هذا المعنى هو الأكثر تردداً في كلمات الأصوليين، حيث يجعلون أصالة عدم النقل من قبيل الأصول التعبّدية الراجعة للاستصحاب القهقري أو الاستصحاب

المعكوس، والدليل على حجية هذا الأصل يمكن أن يقرب بوجوه بعد وضوح عدم شمول أدلة الاستصحاب الروائية؛ فإن قوامها تقدم اليقين وتأخر الشك^(١٤٢)؛

الوجه الأول^(١٤٣): أن حجته من باب حجية مطلق الظن، بدعوى أن الحجة من الأصل والاستصحاب في المقام هو ما أفاد الظن بالوضع، ومعه فالوجه في الحجية ظاهر؛ لبناء الأمر في مباحث الأوضاع على الظنون؛ لانسداد طريق العلم فيها غالباً.

الوجه الثاني: أن حجية الاستصحاب القهقري في موارد احتمال النقل دليله سيرة العقلاء.

قال السيد الخوئي رحمته الله كما في تقارير بحثه عند بيانه لعدم حجية الاستصحاب القهقري^(١٤٤): «فهذا الاستصحاب لا يكون حجة إلا في موضع واحد، وهو ما إذا كان معنى اللفظ متيقناً في العرف فعلاً وشك في أنه هل كان في اللغة أو عرف الأئمة عليهم السلام»

١٤٢ - ينظر: الكاظمي الخراساني، محمد علي، فوائد الأصول، ط ٨، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٤٢٤هـ، ج ٤ / ص ٣١٦ و ٣١٧. حيث قال المحقق النائيني رحمته الله على ما في تقارير بحثه: «إن الظاهر من قوله عليه السلام: «لا تنقض اليقين بالشك» هو عدم نقض المتيقن بما له من الآثار بالشك في بقاءه، وهذا المعنى يتوقف على سبق زمان المتيقن؛ إذ مع سبق زمان الشك لا يرتبط الشك في مبدأ حدوثه باليقين الحاصل في الزمان الحاضر؛ فإن عدم البناء على حدوث المتيقن في الزمان السابق على زمان اليقين بوجوده لا يعد نقضاً لليقين بالشك، بل الأمر في الاستصحاب القهقري بالعكس يكون من نقض الشك باليقين لا نقض اليقين بالشك. وبالجمله: لا إشكال في أن مفاد الأخبار الواردة في الباب يقتضي سبق زمان المتيقن والشك في بقاءه؛ وهذا المعنى أجني عن استصحاب القهقري، فالقائل بحجته لا بد له من أن يلتمس دليلاً آخر غير روايات الباب».

١٤٣ - ينظر: الأصفهاني النجفي، محمد تقي بن عبد الرحيم، هداية المسترشدين، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٤٢٩هـ.

١٤٤ - البهسودي، السيد محمد سرور الواعظ الحسيني، مصباح الأصول (المطبوع ضمن الموسوعة)، لا ط، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، ١٤٢٢هـ، قم المشرفة، ج ٤٨ / ص ٩.

كذلك أم لا، فيحكم بكون اللفظ حقيقةً في اللغة وعرف الأئمة عليهم السلام أيضاً بأصالة عدم النقل. وحجية هذا الاستصحاب في خصوص هذا المورد ثابتة ببناء العقلاء، ولولا حجتيه لانسد علينا باب الاستنباط؛ لاحتمال كون ألفاظ الأخبار في عرفهم عليهم السلام ظاهرة في غير ما هي ظاهرة فيه في عرفنا الحاضر، وكذا ألفاظ التسجيلات المذكورة في كتب القدماء».

هذا، ولا يخفى أنّ ما ذكر أخيراً من عند قوله: «ولولا حجتيه...» مجرد شاهد على قيام سيرة العقلاء، وإلا فمن غير الواضح أنّه في مقام بيان أنّ السيرة قائمة على حجة الاستصحاب القهقري من باب الانسداد، ولو كان هو المقصود لرجع إلى الوجه السابق.

هذا، قد أكد السيد الخوئي قدس سرّه قيام هذه السيرة العقلانية على العمل بالاستصحاب بما نجده من سيرة الأعلام في الفقه، فقال على ما في بعض تقارير بحثه الفقهية ^(١٤٥): «هي [يعني أصالة عدم النقل] أصل عقلائي يعول عليه في تشخيص مفاد الكلمات المحرّرة في السجلات منذ قرون متمادية، ولا يُعتنى باحتمال إرادة معنى آخر ما لم يثبت خلافه، استناداً إلى الأصل المزبور؛ فإنّه لو لم يجر في المقام لم يجر في بقية الموارد بمناط واحد، فيختلّ باب استنباط الأحكام، وقد بنى فقهاؤنا العظام على كشف مقاصد الأئمة عليهم السلام مما يفهمونه من الألفاظ في عصرهم، ولا يبالون باحتمال النقل المدفوع بالأصل».

أقول: أمّا بالنسبة لما ذكر أولاً من تخريج حجة الأصل في المقام من باب حجة مطلق الظن على الانسداد، فهو فرع الاعتراف بانسداد الباب وعدم وجود أصل عقلائي

١٤٥ - البروجردي، الشيخ مرتضى، المستند في شرح العروة الوثقى (المطبوع ضمن الموسوعة) ط ٢، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، ١٤٢٦ هـ ق، قم المشرفة، ج ١٢ / ص ١٨٨.

في المقام، وهو أول الكلام، وسوف تعرف - إن شاء الله تعالى - أن الباب غير منسند ولو لم نقل بحجية أصالة عدم النقل.

وأما ما استدلل به السيّد الخوئي رحمته من السيرة العقلائية، فإن كان المقصود من ذلك أن العقلاء يعملون في المقام بأصالة عدم النقل كأصل تعبدي فجوابه عدم علمنا بوجود أصول تعبدية عن العقلاء بهذا المعنى، وإن كان المقصود أن السيرة العقلائية على العمل بأصالة عدم النقل من جهة الكاشفية، فلا بد أن يكون تقريبها بأحد الأمور التي نقلها - إن شاء الله تعالى - في ضمن التخريج الثالث، الراجعة عادة لنكتة الغلبة كما هو الطبع العقلاني في كواشفهم، ومن غير الواضح أن تكون النكتة في ذلك ما يسمّى بالاستصحاب القهقري، وسوف يأتي - إن شاء الله تعالى - نقل عبارة عن المحقق العراقي رحمته تدفع هذا البيان.

٢- إرجاع أصالة عدم النقل لأصالة الظهور

وهو ما يمكن استظهاره من عبارة الشيخ المظفر رحمته في أصوله ^(١٤٦) من إرجاعه أصالة عدم النقل إلى أصالة الظهور، وهو غير واضح البتة؛ إذ لم نفهم كيفية إرجاع أصالة عدم النقل إلى أصالة الظهور، فلا يُقال: إنّ ظاهر المتكلم عدم النقل؛ لأن النقل من شؤون عالم الوضع دون المراد؛ فإنّ أصالة عدم النقل تحدد كون المعنى المستظهر هو عين الموضوع له اللفظ سابقاً، يعني يلحظ فيها عالم الدلالة التصورية، وأصالة الظهور تحدّد المراد في عالم الدلالة التصديقية.

١٤٦ - ينظر: المظفر، محمد رضا، أصول الفقه، ط ٥، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم
المشرقة، ١٤٣٠ هـ، مج ١ / ص ٧٥ و ٧٦، تحت عنوان «الأصول اللفظية».

٣- أن أصالة عدم النقل أصل عقلائي مستقل

وقد يعبر عنها بأصالة الثبات في اللغة أو تشابه الأزمان أو اتحاد العرفين، وكلها معانٍ تشير إلى شيء واحدٍ مع الالتفات إلى بعض هذه الإطلاقات لا سيما التعبير بـ«أصالة تشابه الأزمان» قد تطلق على الاستصحاب القهقري^(١٤٧).

ولعلّ أفضل من يبين استقلال هذا الأصل هو المحقق العراقي رحمته الله؛ فإنه قد ذكر على ما في موضع من تقارير بحثه^(١٤٨)، وعند الحديث عن تصحيح علامة التبادر أن علامة التبادر لا تكاد تجدى في مقام الاستنباط إلا إذا انضم إليها أمر آخر، وهو أصالة عدم النقل المعبر عنها بـ«أصالة تشابه الأزمان» كي يثبت بها كون المعنى المتبادر في سابق الزمان أيضاً هو المعنى المتبادر عندنا. ولا مانع من إجراء الأصل المزبور بعد كونه من الأصول العقلائية المتداولة بينهم في محاوراتهم.

وفي موضع آخر من تقارير بحثه وعند الحديث عن دعوى وقوع التسالم على حجية الاستصحاب في الأمور العدمية قال^(١٤٩): «لعلّ منشأ ذلك ملاحظة تسالمهم على بعض الأصول العدمية، كأصالة عدم القرينة وأصالة عدم النقل وأصالة عدم المعارض والمزاحم ونحوها مما جرت السيرة على الأخذ بها، فتخيّل أنّ ذلك من جهة وفاقهم على حجية الاستصحاب في مطلق الأمور العدمية، وأنّ المذكورات من موارد الاستصحابات العدمية وصغرياتها. ولكنّه كما ترى، لا ترتبط تلك الأصول العدمية بالاستصحاب المصطلح، وإنّما هي أصول عقلائية برأسها جارية في الموارد الخاصّة».

١٤٧ - ينظر: كلانتری، أبو القاسم، مطارح الأنظار، ط ٢، مجمع الفكر الإسلامي، قم المشرقة، ١٤٢٥ هـ، ج ٤ / ص ١٣.

١٤٨ - البروجردی النجفی، محمد تقی، نهاية الأفكار، ط ٣، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرقة، ١٤١٧ هـ، ج ١ / ص ٦٧.

١٤٩ - م ن، ج ٤ (القسم الأول) / ص ٢٧.

وما عبّر عنه المحقق العراقي رحمته بأصالة تشابه الأزمان، عبّر عنه الشهيد الصدر رحمته على ما في تقارير بحثه بـ «أصالة ثبات اللغة أو الظهورات»، والثاني أعمّ من الأول؛ فإنّه رحمته يدّعي أنّ أصالة الثبات لا تقتصر على الأوضاع اللغوية، بل تشمل الظهورات السياقية التركيبية غير الوضعية أيضاً^(١٥٠).

قال رحمته على ما في تقارير بحثه^(١٥١): «لا ينبغي الإشكال في انعقاد السيرة على هذا الأصل، ولها مظهران أحدهما عقلائي، والآخر متشعري، والمظهر العقلاني يمكن تحصيله في مثل ترتيب العقلاء آثار الوقف والوصية ونحوهما على النصوص والوثائق القديمة في الأوقاف والوصايا طبق ما يفهمه المتولي في عصره، ولو كان بعيداً عن عصر الوقف.

والمظهر المتشعري يمكن تحصيله من ملاحظة أنّ أصحاب الأئمة عليهم السلام كانوا يعملون بالنصوص الأولية من القرآن والسنة النبوية الشريفة وفق ما يستظهرون منه في عرفهم وزمانهم كما كان يصنع أسلافهم، مع أنّه كان يفصلهم عنهم زمان يقارب ثلاثة قرون وقد كانت فترة مليئة بالحوادث والمتغيرات.

ونكتة هذه السيرة وملاكمها بحسب الحقيقة ندرة وقوع النقل والتغيير وبطئه، بحيث إنّ كلّ إنسان عرفي بحسب خبرته غالباً لا يرى تغييراً محسوساً في اللغة؛ لأنّ عمر اللغة أطول من عمر كلّ فرد، فأدّى ذلك إلى أنّ كلّ فرد يرى أنّ التغير حادثة على خلاف الطبع والعادة. وحينئذٍ إمّا أنّ يفترض أنّ الأصحاب قد التفتوا إلى احتمال النقل والتغيير في الظهورات السابقة على زمانهم صدوراً ومع ذلك أجروا أصالة الظهور أو

١٥٠ - ينظر: الهاشمي، السيّد محمود، بحوث في علم الأصول، ط ٣، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي،

قم المشرقة، ١٤١٧هـ، ج ٤ / ص ٢٩٣.

١٥١ - م ن، ص ٢٩٤.

أنهم غفلوا عن هذا الاحتمال بالمرّة وعملوا بما يفهمونه من الظهورات، فعلى الأوّل يكون بنفسه دليلاً على حجية أصالة الثبات شرعاً، وعلى الثاني فنفس الغفلة في مثل هذا الموضوع تعرضهم لتفويت أغراض الشارع لو لم تكن أصالة الثبات حجة فسكوت المعصوم عليه السلام، وعدم تصديه لإلفاتهم دليل على إمضاء هذه الطريقة وكفاية الظهور الذي يفهمه الإنسان في زمانه في تشخيص الظهور الموضوعي المعاصر لصدور الكلام».

نعم، وبما أنّ أصالة عدم النقل صارت من الأصول العقلائية، فالعقلاء في ديدنهم العام لا يعملون بالأصول في صورة قيام احتمال معتدّ به على الخلاف، ولذا قال الشهيد الصدر قدس سرّه بأنّ أصالة عدم النقل العقلائية لا يحرز ثبوتها في موارد يكون مقتضي النقل مؤكداً في نفسه ^(١٥٢). هذا مضافاً إلى عدم جريانها في صورة العلم بالنقل والشك في التقدّم والتأخر، ولا نريد في هذه المقالة الخوض في تطبيقات تلك الأصالة؛ فإنّ له مقاماً آخر.

أقول: هذا المعنى المذكور في كلمات هذين العلمين وجدته في ضمن عبارات المحقق النراقي (م ١٢٤٥ هـ) في عائدته السادسة وخمسين، تحت عنوان: «عائدة في بيان أصالة اتّحاد العرفين أو أصالة عدم النقل والاشتراك» ^(١٥٣)، فقال في مقدّماتها: «قد دارت على ألسنتهم أصالة اتّحاد العرفين، وموضع استعمالهم ذلك الأصل إنّما هو فيما إذا لم يعلم لللفظ معنى آخر غير ما يعلم له مشتركاً بينهما، أو منقولاً عن أحدهما

١٥٢- م ن، ج ١ / ص ٢٠٦.

١٥٣- النراقي، المولى أحمد بن محمد مهدي، عوائد الأيام في بيان قواعد الأحكام، ط ١، دفتر تبليغات الإسلامي، قم، المشرقة، ١٤١٧ هـ، ص ٥٨٩.

إلى الآخر». لكنّه ذكر أنّ دليله حينئذٍ أصالة عدم الاشتراك، وعدم النقل، وعدم تعدد المعنى.

وعلى كلّ، فالملفت للنظر أنّه وفي ضمن هذه العائدة قال ^(١٥٤): □ وربما يستدل له تارةً ببعد تغيّر العرفين في ذلك الزمان القليل. وأخرى بالغلبة، أي: الغالب في الألفاظ الجارية على السنة المتشعبة اتحاد معناها المتبادر حينئذٍ مع معناها المتبادر في زمان الشارع. وثالثةً بكون ذلك طريقة العلماء وسيرة الفقهاء، بل كلّ أحد، فإنّا نراهم يحملون ألفاظ الكتب المصنّفة في أزمنة قبل هذا الزمان إلى زمان الشارع، على ما يفهمون منها في هذا الزمان»، ثم شرع بمناقشة هذه الوجوه. والتعبير بـ«بعد تغيّر العرفين والغلبة» هو عين النكتة المذكورة في كلمات الشهيد الصدر قدس سرّه.

وكيف كان، فهذا الوجه إنّما يمكن قبوله على تقدير إثبات سيرة عقلائية أو متشرعية متصلة بزمان المعصومين عليه السلام، وهو موقوف على إثبات تحقق نقل في الألفاظ التي هي موضع ابتلائهم، مع كون السبب في اعتمادهم على ما يفهمونه في عصر الوصول ليس إلاّ إجراء أصالة عدم النقل التي توجيها ظاهرة الثبات في اللغة.

وفيه: أنّ الكلام في اللغة العربية، وقد كانت موضع ابتلاء عامّ لأبناء اللغة من العقلاء والمتشرعة في عصر الأئمة عليهم السلام، وللغة العربية ميزة عامّة لا سيّما في الأزمان القديمة؛ باعتبار أنّ الطبع العربي كان محافظاً على تراثه الأدبي إن كان النظر إلى سيرة العقلاء، وكان محافظاً على إرثه القرآني إن نظرنا إلى سيرة المتشرعة، وهذا التحفظ على التراث يفتح الباب على نكتة أشار إليها المحقق التراقي قدس سرّه وهي أنّ الحمل على الألفاظ لم يكن بلحاظ ما يفهم في عصر الوصول، بل باعتبار اطلاعهم على الاصطلاح والمعنى في عصر الصدور.

قال النراقي رحمته عند ردّه لدعوى وجود سيرة للعلماء والفقهاء تناظر ما يدعى من أصالة عدم النقل^(١٥٥): «إنّا نمنع كون ما ذكره طريقة العلماء وسيرة الفقهاء. وأمّا ما ترى من حملهم ألفاظ الكتب المؤلفة في سوابق الأزمان على ما يحملون، فهو ليس من باب حملهم على عرف أنفسهم وعهدهم وزمانهم، وعلى متفاهمهم والمتبادر عندهم، بل نسبتهم إلى ما في هذه الكتب من الألفاظ واستعمالاتها كنسبة أهل علم النحو من هذا الزمان إلى مصطلحات النحاة، ونسبة أهل علم الحساب إلى مصطلحات الحسابيين، وهكذا، فإنّ لهم بالنسبة إلى ألفاظ تلك الكتب اصطلاحاً وراء اصطلاح أهل زمانهم وعهدهم.

بيان ذلك: أنّ العلماء والفقهاء، بل أهل كلّ علم بالنسبة إلى ألفاظ الكتب لهم اصطلاح وراء اصطلاح أهل زمانهم، بل هم من بدو أمرهم ومبدأ تعلّمهم دخلوا تلك الكتب، وتعلّموا اصطلاحاتها ومعاني ألفاظها من معلّميهم وأساتيدهم، الذين هم أيضاً أخذوها من أساتيدهم، وهكذا، وحصل لهم اصطلاح وراء اصطلاح أهل عصرهم، بل هو حقيقة اصطلاح أهل زمان التأليف الواصل إليهم يدّاً بيد، فهم بعينهم أهل زمان المؤلفين».

هذا، ويكفي في الإشكال الشكّ في المقام، وإلّا فالسيرة دليل صامت، وكما يمكن أن تكون ناشئة مما يذكر توهم الثبات يمكن أن تكون ناشئة من جهة الاطلاع على أوضاع اللغة زمن صدور النصوص الشرعية أو الأدبية.

ومن جميع ما تقدّم تعرف الإشكال في دعوى ما يسمّى بأصالة عدم النقل، وسوف نحاول في الفصل اللاحق الاستعاضة عنها باطراد الاستعمال.

الفصل الثاني: اطراد الاستعمال

الاطراد لغة بمعنى التتابع والجري، يُقال اطرَد الأمر إذا تبع بعضه بعضاً وجري، يقال ^(١٥٦): اطرَد الشيء اطراداً إذا تابع بعضه بعضاً. وأمّا اصطلاحاً فالاطراد على عدّة أنواع يجمعها قولنا: «كلّما وجد اللفظ وجد المعنى». ونحن نقصد في هذه المقالة ما يطلق عليه اسم «اطراد الاستعمال» أي صحة استعمال اللفظ في المعنى ضمن استعمالات عديدة وموارد مختلفة مع إلغاء ما يحتمل أن يكون قرينة على المجاز. وعادةً ما يشكل على جعل اطراد الاستعمال من علامات الحقيقة بأنّ الاستعمال أعمّ من الحقيقة والمجاز، وكما يجوز أن يكون الاطراد اطراداً للمعنى الحقيقي يمكن أن يكون اطراداً للمعنى المجازي.

أقول: قد جاء في كلمات السيّد المرتضى قدس سرده لعلامات الحقيقة قوله ^(١٥٧): «ويتلوه [أي يتلو نصّ أهل اللغة] في القوّة أن يستعملوا [يعني أهل اللغة] اللفظ في بعض الفوائد، ولا يدلّونا على أنّهم متجوّزون بها مستعيرون لها، فيعلم أنّها حقيقة، ولهذا نقول: إنّ ظاهر استعمال أهل اللغة للفظ في شيء دلالة على أنّه حقيقة فيه، إلّا أن يتقلّدنا ناقل عن هذا الظاهر».

وهذه العبارة قد يفهم منها كون المقصود جعل الاستعمال - مطلق الاستعمال - علامة على الحقيقة، والصحيح أنّه لا يريد - بحسب الظاهر - استفادة المعنى الحقيقي من مجرد رؤية استعمال واحد لكي يشكل عليه بأنّ الاستعمال أعمّ من الحقيقة والمجاز، بل يريد أنّ شيوخ الاستعمال واطراده من دون نصب

١٥٦ - ينظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، ط ١، انتشارات دفتر تبليغات، قم، المشرقة، ١٤٠٤هـ ق، ج ٣، ص ٤٥٥.

١٥٧ - المرتضى، السيّد علي بن الحسين، الذريعة إلى أصول الشريعة، ط ١، مؤسسة النشر والطباعة في جامعة طهران، طهران، ١٤١٨هـ ق، ج ١ / ص ١٣.

القرائن دليل على تحديد المعنى الموضوع له اللفظ بعد أن كان الإبهام على خلاف الأصل.

وبيانه: أننا نريد استنباط معاني النصوص التي صدرت منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، فنقول: نريد من أطراد الاستعمال شيوعه، فنستدلّ من شيوع الاستعمال من دون قرينة في معنى من المعاني على كون اللفظ موضوعاً للمعنى الشائع حقيقة، وما يذكر من أنّ صحة الاستعمال في المعنى المجازي غير موقوفة على وجود قرينة وإن كان صحيحاً، إلاّ أنّه لا إشكال في اعتبار القرينة في مقام التفهيم، وغالب الاستعمالات تكون في هذا المقام، وإلاّ فلا يعقل كثرة الاستعمال في المعنى المجازي من دون قرينة؛ فإنّ تعلّق الغرض بالإبهام نادر الوجود وخلاف ما عليه بناء العقلاء؛ فإنّ الغاية الأولى للكلام ليست إلاّ الكشف عمّا في الضمير.

وهذه الطريقة قد اتبعها الفقهاء في استنباطاتهم كما هو الحال عند بحثهم عن تحديد معنى «السُّور»^(١٥٨) وأنّه مطلق ما بشاره جسم حيوان أم خصوص البقية المأخوذ منها للشرب أو الأكل أو الوضوء.

وأيضاً ففي بحث الاستنجاء^(١٥٩) حيث ورد الحكم باستثنائه من الحكم بنجاسة ماء الغسالة مع نصّ أهل اللغة باختصاص الاستنجاء بما لو كان التطهير لموضع الغائط بحيث لا يشمل البول، فيحكم بالتعميم للاستنجاء من البول عبر تتبع بعض استعمالات الأخبار بحيث يستفاد تعارف إطلاق الاستنجاء على تطهير موضع البول.

١٥٨ - ينظر: الهمداني، رضا بن محمد هادي، مصباح الفقيه، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، ١٤١٦هـ، ج ١ / ص ٣٥٣.

(١٥٩) ينظر: الخميني، السيد مصطفى، كتاب الطهارة، لا ط، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، لا ت، ج ٢ / ص ١٢٨.

وقد سلك بعض الفقهاء^(١٦٠) هذا الطريق لتحقيق المراد من الآية الواقعة موضوعاً لأحكام خاصة كآنية الذهب والفضة ولزوم غسلها ثلاثاً عند إرادة تطهيرها. وقد سلك هذا الطريق أيضاً في بحث الزكاة^(١٦١) حيث يراد إثبات اختصاص كلمة المال الواردة في أخبار الصادقين عليه السلام في خصوص ما كان متمحضاً بالمالية، بحيث لا يشمل مطلق ما يتموّل به، فيستفاد ذلك عبر تتبع الأخبار وانصراف خصوص النقيدين عند إطلاق هذه اللفظة في كلمات الأئمة عليهم السلام وأصحابهم.

وقد ذكر الشيخ المظفر رحمته^(١٦٢) في حجية الظواهر عند الحديث عن طرق إثبات الظواهر أنّ أحد الطرق تتبع الباحث استعمالات العرب، فيعمل رأيه واجتهاده إذا كان من أهل الخبرة باللسان والمعرفة بالنكات البياتية، ونحن نريد أن الطريق الأفضل في معرفة معاني الكلمات وما ينصرف إليها تتبع استعمالات نفس الأخبار؛ فإنّها تبين بنحو من الأنحاء الواقع اللغوي في تلك الأزمان.

نعم، اطراد الاستعمال قد لا يثبت بنفسه الوضع، لكنّه بلا إشكال يحقق المعنى الظاهر مباشرة، وكنا قد أشرنا في أوّل هذه المقالة أنّ المقصود الأساس من إجراء علامات الحقيقة تحصيل الظهور زمن النصّ، فإذا أمكن تحصيل ذلك الظهور مباشرة فلا حاجة لتحديد المعنى الحقيقي للفظ.

والمتحصّل: أنّ اطراد الاستعمال أو قل: تتبع استعمالات عصر النصّ - ومنها ما يذكر في كتب اللغة القديمة - في مفردة من المفردات يعطي المستنبط فهماً واضحاً للمعنى

١٦٠ - ينظر: الحكيم، السيد محسن، مستمسك العروة الوثقى، ط ١، مؤسسة دار التفسير، قم المشرفة، ١٤١٦هـ ق، ج ٢ / ص ١٧٣ و ١٧٤.

١٦١ - ينظر: الهاشمي، السيد محمود، بحوث في الفقه - كتاب الزكاة، ط ١، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، قم المشرفة، ١٤٣٢هـ ق، ج ١ / ص ٢٠ - ٢٣.

١٦٢ - أصول الفقه، مصدر سابق، مج ٢ / ص ١٤٦، تحت عنوان «طرق إثبات الظواهر».

المنصرف إليه اللفظ زمن النص، وهذا كافٍ في مقام الاستظهار وإن لم نحزر كون المعنى المنصرف إليه اللفظ هو المعنى الحقيقي. وهذه العلامة هي الأولى بالانباع ولو قبلنا بأصالة عدم النقل؛ لأنها المورثة للوثوق، بخلاف أصالة عدم النقل التبعية إن أرجعناها إلى الاستصحاب الفهقري أو المبتنية على عدم الشعور بالتغير الذي هو عبارة أخرى عن الغفلة على ما عرفت.

الفصل الثالث: في بعض التطبيقات

نريد في هذا الفصل أن نشير لبعض التطبيقات التي يظهر فيها الفرق بين الاعتماد على التبادر وأصالة عدم النقل والاعتماد على اطراد الاستعمال مع عدم قصدنا إلى الإشكال على الأعلام، بل ما نذكره إنما هو من باب المثال لا أكثر.

وسوف نبدأ في هذا التطبيق بذكر «الجهل» كمثال، ثم نطلق منه إلى بيان معنى «العقل» حيث يكثر في الأحاديث المقابلة بينهما، وتوضيحه: أنه لا إشكال في أن المتبادر في هذه الأيام من كلمة «الجهل» عدم العلم، وهو ما نعثر عليه في جملة من كتب اللغة، فالجهل هو ما يقابل العلم مع وقوع الاختلاف في التعبير عن طبيعة هذا التقابل بينهما، فعبر بعضهم بالتناقض وأن الجهل نقيض العلم^(١٦٣)، وآخر عبر بالتضاد وأن الجهل ضد العلم^(١٦٤)، ولا بأس بهذه التعابير بعد أن كانت في مقام بيان أصل التقابل بين المعنيين، ولذا عبر في الصحاح^(١٦٥) بـ«الجهل خلاف العلم»، وإلا فلو أريد التعبير المنطقي لكان ينبغي أن يقال بأن التقابل بينهما تقابل الملكة والعدم.

١٦٣ - ينظر: الفراهيدي، خليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، ط ٢، دار الهجرة، قم المشرقة، ١٤١٠هـ، ج ٣ / ص ٣٩٠.

١٦٤ - ينظر: الزبيدي، محب الدين، تاج العروس من جواهر القاموس، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ، ج ١٤ / ص ١٢٦.

١٦٥ - ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤١٠هـ، ج ٤ / ص ١٦٦٣.

هذا بحسب التبادر وكلمات بعض اللغويين، لكن من تتبع استعمال الكتاب والسنة بل والشعر العربي قد يجد شيئاً آخر، وأنّ الجهل ولو في أحد استعمالاته المعروفة بمعنى السفاهة وعدم التروي:

أمّا بلحاظ الاستعمال القرآني، فإنّ هذه المادة أعني «ج - هـ - ل» قد استعملت في القرآن في أربعة وعشرين مورداً على ما هو موجود في بعض المعاجم المفهرسة للكتاب الكريم، ولولا خوف الإطالة لنقلناها بأجمعها لترى أنّ الجهل في القرآن لا يقابل فيها بالعلم، لكن لا بأس بذكر بعضها ويقاس ما لم نذكره عليها. فمن هذه الآيات قوله تعالى^(١٦٦): ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي من السفهاء الذين يتخذون الناس هزواً وينسبون إلى الله تعالى ما لا يليق.

ونظيره قوله تعالى حكاية عن لسان يوسف^(١٦٧): ﴿قَالَ رَبُّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾. ومنها الآيات التي ورد فيها عنوان الجاهلية^(١٦٨)، فإنّ أحكام الجاهلية هي أحكام السفه المقابلة للحكمة والتعقل، لا ما يقابل العلم.

ومنها قوله تعالى^(١٦٩): ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

١٦٦ - سورة البقرة، الآية ٦٧.

١٦٧ - سورة يوسف، الآية ٣٣، ولاحظ: سورة الأنعام، الآية ٣٥، وسورة هود، الآية ٤٦.

١٦٨ - سورة المائدة، الآية ٥٠، ولاحظ: سورة آل عمران، الآية ١٥٤، وسورة الأحزاب، الآية ٣٣، وسورة الفتح، الآية ٢٦.

١٦٩ - سور الأعراف، الآية ١٣٨.

ومنها قوله تعالى ^(١٧٠): ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، فالجاهل لا بد من الإعراض عنه، وأنت خير أن لا تعلم لا يعرض عنه، بل ينبغي أن يعلم. ومنها الآيات التي ذكرت ارتكاب الذنوب بجهالة كقوله تعالى ^(١٧١): ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

نعم، قوله تعالى ^(١٧٢): ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، يحتمل فيه إرادة عدم العلم، لكنه غير متعين، فإنه يحتمل قوياً أن يكون المراد من الجاهل من يتسرع في حكمه حيث يتقل من الظاهر وهو التعفف إلى الباطن وهو الغنى مع أنه لازم أعم.

وقد التفت ابن فارس (م ٣٩٥ هـ ق) إلى هذا الأمر، فقال في معجمه ^(١٧٣): «الجبم والهاء واللام أصلان: أحدهما خلاف العلم، والآخر الخفة وخلاف الطمأنينة. فالأول الجهل نقيض العلم. ويقال للمفازة التي لا علم بها مجهل. والثاني قولهم للخشبة التي يحرك بها الجمر مجهل، ويقال استجهلت الريح الغصن، إذا حرّكته فاضطرب. ومنه قول النابغة:

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل وكيف تصابى المرء والشيب شامل

١٧٠ - سورة الأعراف، الآية ١٩٩.

١٧١ - سورة النساء، الآية ١٧. ولاحظ: سورة الأنعام، الآية ٥٤، وسورة النحل، الآية ١١٩.

١٧٢ - سورة البقرة، الآية ٢٧٣.

١٧٣ - ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ١، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم المشرفة، ١٤٠٤ هـ ق، ج ١ / ص ٤٨٩ و ٤٩٠.

وهو من الباب؛ لأنَّ معناه استخفَّتْكَ واستفزَّتْكَ».

أقول: ومن المأثور عن عمرو بن كلثوم (م ٣٩ ق هـ) قوله في معلقته:

ألا لا يجهلنَّ أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وعلى كلٍّ، فالجهل في اللغة على أدنى تقدير غير مختصُّ بعدم العلم، بل كثيراً ما يطلق ويراد منه ما يرادف السفه والحمق وعدم الاتزان في السيطرة على الأفعال.

وإذا عرفت هذا انفتح لك الباب لمعرفة الوجه في مقابلة الجهل بالعقل في الأخبار، والكتاب الأول من كتاب الكافي معنون بـ«كتاب العقل والجهل» لا العلم والجهل. وبيانه: أنَّ المتبادر من معنى العقل في هذه الأيام تلك القوة المدركة وبعض أهل الاصطلاح قد يفسرها بالصادر الأول، لكن في لغة العرب العقل يقابل الجهل أي الحمق والسفاهة وعدم التروي في الفعل، لا عدم العلم. ففي كلمات الفراهيدي (م ١٧٥ هـق) ^(١٧٤) أنَّ العقل نقيض الجهل، وقد نقل الزبيدي (م ١٢٠٥ هـق) ^(١٧٥) عن المحكم - أي المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (م ٤٥٨ هـق) - أنَّ العقل ضدَّ الحمق. فالعقل المقابل للجهل بمعنى القوة التي تقتضي الاتزان عن الوقوع في الخطأ اعتقاداً وعملاً، وهذا المعنى هو المناسب لاشتقاقات العقل، ولعلَّه يظهر بوضوح من قوله تعالى ^(١٧٦):

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فَإِنَّهُمْ بَلَا إِشْكَالٍ يَعْلَمُونَ مِنْ خَالِقِهِمْ، لَكِنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ.

١٧٤ - كتاب العين، مصدر سابق، ج ١ / ص ١٥٩.

١٧٥ - تاج العروس، مصدر سابق، ج ١٥ / ص ٥٠٤.

١٧٦ - سورة العنكبوت، الآية ٦٣.

ومنه عقل الدابة بمعنى ربطها، وسميت العاقلة - المذكورة في كتاب الديات - عاقلة؛ لأنَّ أهل القاتل كانوا يعقلون الإبل في فناء دار أولياء المقتول. ومن هنا قال ابن فارس (م ٣٩٥ هـ ق) ^(١٧٧): «العين والقاف واللام أصلٌ واحد متقاس مطرد، يدلُّ عظمه على حُبسة في الشيء أو ما يقارب الحُبسة. من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميمة القول والفعل» فالعقل حابس ومانع، لا مجرد مدرك.

وقد جاء في تحف العقول قول رسول الله ﷺ ^(١٧٨): «إنَّ العقل عقال من الجهل، والنفس مثل أحيث الدواب؛ فإن لم تعقل حارت، فالعقل عقال من الجهل».

نعم قد تستعمل هذه المادة لا سيما عند اشتقاق الفعل منها بمعنى الفهم والإدراك كما هو الظاهر من قوله تعالى ^(١٧٩): ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، فليتأمل.

وكيف كان، فلا ينبغي الشك في إطلاق هذه المادة «ع - ق - ل» على القوة التي تقتضي الاتزان، فهي قوة عاملة لا أنها مدركة كما هو مشهور بين المناطقة والفلاسفة ومن تابعهم من الأصوليين، وهو ما كان يؤكد عليه مهدي النراقي رحمته الله في جامع السعادات ^(١٨٠).

١٧٧ - معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج ٤ ص ٦٩.

١٧٨ - الحُراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط ٢، قم، المشرقة، ١٤٠٤ هـ ق، ص ١٥.

١٧٩ - سورة الحج، الآية ٤٦.

(١٨٠) النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، تحقيق السيد محمد كلاوتر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ج ١/ ص ٧٥.

وهو الظاهر من قوله عَلَيْهِ السَّلَام ^(١٨١): «العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان»،
وقوله عَلَيْهِ السَّلَام ^(١٨٢): «قاتل هواك بعقلك».

وعلى كلٍّ، فما نريد التأكيد عليه أنّ العقل ليس بالضرورة بمعنى الإدراك، بل يطلق
على قوّة تقتضي الاتزان.

هذا حاصل ما أردنا ذكره في هذه العجالة، وقد اتضح من خلال هذا التطبيق مدى
أهمية تتبع استعمالات الكتاب والسنة والعرف زمن النصّ، وعلاقته بتشخيص الظهور
زمن النصّ، وكيف أنّه صالح كبديل عمّا يسمّى بأصالة عدم النقل.

وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١٨١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، ط ٦، طهران، ١٣٧٥ هـ ش، ج ١ / ص ١١،

كتاب العقل والجهل ح ٣.

(١٨٢) م ن، ص ٢٠، ح ١٣.

يميل حيثما مال الدليل؛ من الإلحاد إلى الاعتقاد

(قراءة تحليلية في الأسباب التي دفعت الفيلسوف البريطاني أنتوني فلو^(١٨٣) إلى الإلحاد ومنه إلى الاعتقاد)^(١٨٤) □ الشيخ هاشم الضيقة

١٨٣- أنتوني جيرارد نيوتن فلو (١٩٢٣-٢٠١٠ / Antony Flew): هو ابن للاهوتي مسيحي، وفيلسوف بريطاني ينتمي إلى تيار الفلسفة التحليلية التي تهتم بإرجاع الفلسفة إلى اللغة وتحليل التراكيب اللغوية لاستكشاف عالم الواقع بوصفها حاكية عنه، اشتهر بمؤلفاته في فلسفة الأديان، ألحد في سن المراهقة، وانتقد الفكر الديني بعد نموه العلمي وقد ألف أكثر من ثلاثين كتاباً أغلبها يحاول دحض فكرة الدين، ولكنه عدل عن إلحاده في أواخر عمره. (راجع: هناك إله: كيف غير أشهر ملحد رأيه؟، أنتوني فلو، ترجمة: صلاح الفضيلي، ص ٣ و ٥١-٥٢).

١٨٤- ورد في العنوان جملة من المصطلحات التي لا بد من تحديدها قبل خوض غمار البحث؛ ذلك ليُتضح للقارئ العزيز محل الكلام تصوّرًا، باعتبار أن التصديق والإذعان في النتائج متفرّع على التّصور الصّحيح للمفردات الأساسيّة:

- ١ - الإلحاد: نريد بالإلحاد في هذه المقالة (القول بعدم وجود إله) أو (الموقف اللا أدري تجاه وجود إله)، سواء أكان مستنداً كل من هذين الموقفين إلى سبب فلسفي أو طبيعي، وليس البحث عن الإلحاد الناتج عن أسباب نفسية انفعالية، أو عن اللادينية وإنكار النبوات والرسالات. نعم، قد تتعرض في طيات البحث بالإشارة إلى بعض المسائل المرتبطة بالقضايا والمعطيات الدنيئة بشكل عام وبالمقدار الذي يخدم النتائج المتوخاة.
- ٢ - الاعتقاد: المراد من الاعتقاد هنا هو التصديق المنطقي - المستند إلى دليل - بوجود قوة غيبية موجدة، وليس الحديث عن الإيمان القلبي أو الاعتقاد بدين من الأديان السماوية.
- ٣ - الدليل: المراد من الدليل هنا ما يعمّ الدليل البرهاني والأسباب والدوافع.
- ٤ - الأسباب: المراد من الأسباب هو الدوافع التي تتخذ كمبرر للتصديق بمطلوب ما مطلقاً؛ سواء كانت مما يصح الاستناد إليها في مقام اتخاذ موقف فكري (كاليقينيات) أم مما لا يصح الاستناد إليها (كالمضنونيات).

=

خلاصة

تعتبر هذه الدراسة أنّ الأطروحات الإلحادية بشكل عام تستند إلى أسباب غير كافية بل ضعيفة، وغالبًا ما تدعو المنصفين من العلماء إلى العزوف عنها بمجرد أن يبينَ لهم ضعفها، وينظروا بعين واعية إلى أدلة الطرف الآخر. هذا، ويُعدُّ أنتوني فلو الفيلسوف الملحد الأول في العالم الناطق بالإنجليزية، من أولئك العلماء الذين أرادوا الوصول إلى الحقيقة، فمشى في هدى الدليل حتّى تخطى ظلمة الإلحاد، متمسكًا بمنهج قيادة الدليل لا سوقه وتلفيقه. بيّنت هذه الدراسة أهمّ الأسباب التي دفعت فلو إلى الإلحاد ومن ثمّ الأسباب التي دعت إلى الاعتقاد، ثمّ تناولت كلا المرحلتين - بما شملته من أسباب ونتائج - بنظرة تحليلية.

الكلمات المفتاحية: الاعتقاد، الإلحاد، الدليل، الأسباب، أنتوني فلو.

=

٥ = الفرضية: مصطلح يعبر عن الفكرة التي لم يبرهن عليها أو لم يقدّم عليها الدليل الكافي، وكذلك يُعبر عن ذلك بـ "النموذج"، و"القضية"، و"المسألة".

٦ = الإله: المقصود من الإله هنا هو المبدأ، سواء أكان المبدأ الذي بشرت به الأديان وأطلقت عليه اسم "الله"، أم المبدأ الذي يعبر عنه بعض الطيّعين بـ "المصنّم الذكي" و"العقل الذكي".

المقدمة

يقتضي العقلُ الفطري^(١٨٥) لدى الإنسان بل وما بُني عليه العقل البشري^(١٨٦) أن لا يدعن لأيّ دعوى أو مسألة^(١٨٧) دون وجود دليل محكم يقوده^(١٨٨) إلى صحتها ويكون مُنقحاً لذلك الاعتقاد، ومن هنا يمكن القول إن من أخطر الآفات الفكرية والأمراض العلمية التي يمكن أن يُمنى بها الباحث في هذا المضمار هو انصياعه نحو دعوى نظرية معينة، فعقيدة محدّدة ثمّ عكوفه على سوق^(١٨٩) الأدلة وحشدها لما اعتقده م_____ سبّقاً.

ولو تدبرنا في الفرق بين (قيادة الدليل) و(سوقه) لأتضح فرق جوهريّ على صعيد المنهج، وبتبعه يبيّن لنا أيّ المنهجين يخدم في بناء الفكرة وتطويرها وتخليص العقيدة وتهذيبها، وأيّ منهما محكوم على أتباعه بالجمود والركود. هذا، وإن الشخصية مورد البحث متمسكة بالمنهج الأول، لذا حقّ تناول تجربتها العلمية في قراءة تحليلية الفيلسوف البريطاني المعروف أنتوني فلو (Antony Flew) شخصية نادرة لما اكتشفته من تحوّل جذريّ على الصعيد الفكريّ والعقديّ، وقد اخترنا تسليط الضوء على هذه التجربة العلمية من واقعنا المعاصر لإبراز تحولاتها وتحليلها، ولسنا في المقام بصدد تعويم هذه الشخصية والتهويل من شأنها. نعم، قد تتفق معه في جهة

١٨٥ - أي قانون العلّية، القاضي بأنّه متى ما وُجد شيء بعد الانتفاء فإنّ وجوده ليس بذاته بل بغيره.

١٨٦ - أي قانون التناقض، القاضي بامتناع اجتماع التقيضين من طرف واحد وفي ظرف فارد.

١٨٧ - يستثنى من ذلك الأوليات من أقسام القضايا بحسب تصنيف المنطق الأرسطيّ، حيث إنّ تصوّر الطرفين والتوجّه إلى النسبة بينهما يكفي في الإدعان بثبوت المحمول للموضوع فيها (راجع: الإشارات والتنبيهات "المنطق"، ابن سينا، ص ٤٥٤-٤٥٥).

١٨٨ - قيادة الدليل بمعنى الاعتقاد على وفق ما أدى إليه الدليل، فيكون الاعتقاد متأخراً عنه.

١٨٩ - سوق الدليل بمعنى الاعتقاد بعقيدة معينة ثمّ الاتيان بدليل على ذلك، فيكون الاعتقاد مقدّماً على الاستدلال، بخلاف قيادة الدليل.

ونخالفه في جهات أساسية أخرى^(١)، كما لا يظنُّ القارئ أننا نتصر لفكرة معينة برأي هذا العالم، وإنما نجعله على طاولة البحث بما يشكّل من مسيرة علمية انتهت إلى بعض النتائج النظرية والاعتقادية المتسقة مع ما تُفضي إليه الفطرة والمنطق البرهاني. لقد كان أنتوني فلو مدافعاً بشدة عن الأفكار الإلحادية وناقداً شرساً للدين إلى حدّ قال عنه الدكتور رمسيس عوض^(٢): "إذا كان برتراند راسل (Bertrand Russell)^(٣) وصديقه ألفريد آير (Alfred Ayer)^(٤) من أبرز من هاجموا الدين قبل الحرب العالمية الثانية فإن أنتوني فلو يعد واحداً من أهم منتقدي الدين في الفترة التي أعقبت هذه الحرب"^(٥). حيثُ إنّه لم يألُ جهداً في الدِّفاع عن عقيدته تلك بكتاباتهِ^(٦) ومحاضراته ومناظراتهِ^(٧) التي كانت تصبّ في اتجاه "ليس هناك إله"، متّبعاً المنهج

١- من قبيل عدم اعتقاده أو توقّفه في مسألة "التواصل بين الإله والبشر عن طريق الوحي". (راجع: رحلة عقل: هكذا يقود العلم أشرس الملاحدة إلى الإيمان، عمرو شريف، ص ٢٧٢).

٢- رمسيس عوض (١٩٢٩-): أديب وناقد ومؤرّخ مصري، له العديد من المؤلفات، عمل أستاذاً للأدب الإنجليزي في كلية الألسن في جامعة عين شمس.

٣- برتراند راسل (١٨٧٠-١٨٧٢ / Bertrand Russell): فيلسوف ورياضي وكاتب بريطاني، حاز على جائزة نوبل عام ١٩٦٠.

٤- ألفريد آير (١٩٨٩-١٩١٠ / Alfred Ayer): فيلسوف بريطاني.

٥- ملحدون محدثون ومعاصرون، رمسيس عوض، ص ٨٦.

٦- من قبيل بياناته المنشورة في كتاب "منطق الفناء" والورقة البحثية "اللاهوت والتكذيب" وكتاب "فرضية الإلحاد" فإنّها تمثّل الذروة في إنكار وجود الإله ووجود حياة بعد الموت. هذا، ولم نعثر على شيء مترجم إلى اللغة العربية من هذه المؤلفات.

٧- له مناظرات كثيرة وحاشدة، كان أبرزها ما أجراه في عامي ١٩٧٦ مع توماس وارن (- ١٩٤٤ / Thomas Warren) حيث كان الحضور يتراوح بين خمسة وسبعة آلاف متابع، و ١٩٩٨ مع وليام كريج (- ١٩٤٩ / William Lane Craig). هذا، وقد أحصى الكثير من مناظراته في القسم الأول من كتاب (هناك إله)، إلّا أنّه لم يتطرق إلى مضامينها تفصيلاً، بل اقتصر على ذكر بعض المسائل الأساسية.

متَّبِعًا المنهج الفلسفي، منطلقًا من قيادة الدليل لا سوقه وتلفيقه^(١) كما اتَّضح الفرق بين الأمرين في صدر الكلام. فبعد رحلة في الإلحاد دامت أكثر من نصف قرن عدل أشرسُ الملحدين عن إلحاده على أساس ذلك المنهج والمنطلق^(٢) وأبرز كتاب له يعبر عن المرحلة الأخيرة "هناك إله"^(٣).

وهكذا، مرَّ مركبُ أنتوني فلو الفكريِّ في الإلحاد لينتهي بالاعتقاد، وقد كان "الدليل" في رحلته تلك إمامَ العقل وربَّان السفينة على الرِّغم من الطَّعون التي وجَّهت إليه والهجمات التَّسقيطية من قبل الخصوم الفكريين في كلِّ من المرحلتين على حدِّ سواء.

- فما هي الأسباب والدوافع^(٤) وراء إلحاده وإنكاره المبدأ؟
- وما هي الأسباب التي دفعته إلى ترك الإلحاد والاعتقاد؟
- بماذا اعتقد أنتوني فلو في نهاية المطاف؟ وهل أصبح مؤمنًا متدينًا؟ أم أنه التحق بركب الرُّبوبيين^(٥)؟

١ سيَّضح للقارئ الكريم في ما يلي من الفصول أن الخلل الذي أدى به إلى الإلحاد - في المقطع الزماني الأول من حياته - لم يكن من جهة المنهج وقيادة الدليل، بل من جهات أخرى، من قبيل أخذ ما ليس بدليل دليلًا، ويمكن أن تعدَّ هذه جنبه تطبيقية لا منهجية، وكما هو واضح هناك فرق بين الخطأ التطبيقي والخطأ المنهجي، ففي الوقت الذي نشي على المنهج في بعض جوانبه ننتقد التطبيق.

٢ - أي قيادة الدليل.

٣ - وقعت تحت يدي الطَّبعة الثَّانية من كتاب "هناك إله: كيف غيَّر أشهر ملحد رأيه؟" تأليف: أنتوني فلو، ترجمة: صلاح الفضيلي، راجعه وعلَّق عليه: الشيخ مرتضى فرج، وقد صدرت هذه الطَّبعة عام ١٤٣٨هـ عن العتبة العبَّاسية المقدَّسة. وكذلك الطَّبعة الانجليزية التَّالية من الكتاب المذكور:

There Is A God: How the world's most notorious atheist changed his mind, Antony Flew (HarperCollins e-books).

٤ - تعمَّدنا أن نصلِّح عليها الأسباب والدوافع دون الأدلة لما سيوافيك في الفصل الثَّالث. فانتظر.

٥ - الرُّبوبيون: لفظ يطلق على أتباع الاتجاه الرُّبوبي، وهو مذهب فكري يقضي بـ "الاعتقاد بضرورة وجود إله خلق العالم بكلِّ قوانينه (...). ولكنه [أي المذهب الرُّبوبي] مع ذلك يؤكِّد على عدم وجود تبرير عقلي

- ما هي القيمة المعرفية للأدلة التي تمسك بها في رحلتي الإلحاد والاعتقاد؟
نحاول في هذه القراءة أن نجيب عن تلك الأسئلة متمسكين بمنهجين: أحدهما المنهج الاستقرائي، حيث نحصي الأدلة الأساسية ونقدمها بأسلوب جزل وسهل، وثانيهما المنهج التحليلي، حيث نسلط الضوء في النهاية بنظرة تحليلية على الأدلة، مبيّنين قيمتها المعرفية وصلاحيّتها في الدلالة على ما ذهب إليه الفيلسوف البريطاني المذكور.

نعرض ذلك كله من خلال الفصول التالية:

الفصل الأول: أسباب الإلحاد لدى أنتوني فلو

الفصل الثاني: أسباب اعتقاده بوجود الإله

الفصل الثالث: نظرة تحليلية في دليّة الأدلة

الفصل الأول: أسباب الإلحاد لدى أنتوني فلو

«أنا أعرف أنّه ليس هناك إله»^(١).

بالرغم من عشرات المناظرات والمناقشات التي أجراها أنتوني فلو مع كبار العلماء حول موضوع "الإله"^(١) بقي متمسكًا بأسباب كان يعتبرها أدلة على الإلحاد - أو على

=
للاعتقاد بأنّ الله يولي اهتمامًا خاصًا بالإنسان والعدالة والإنسانية". (الذين من منظور فلسفي: دراسة نصوص، روبرت سولمون، ترجمة: حسون السراي، ص ١٨٥-١٨٦). فقوام هذا المذهب هو الاعتقاد بالدين الطبيعيّ (natural religion) الذي لا يعتمد على الوحي. (انظر: عالم دون أنبياء! دراسة نقدية في الفكر الربوبي، حسين الخشن، ص ١١).

١. "I know there is no God".

هناك إله، م.س، ص ٩٦؛ ٦٨، P. There Is A God

الموقف اللاأدري بأحسن التقادير - . وبعد ذلك لن تستغرب إذا رأيتـه خارجاً من بعض مناظراته قائلاً: " (نظام الاعتقاد المتعلق بالإله) يتضمّن (التناقض)" (٢)، و"أنا أعرف أنّه ليس هناك إله"، ولأنّه من أصحاب الدليل كما عرفنا عنه في المقدمة صَحّ أن تسأل أيّها القارئ عن الأسباب والدوافع التي قادت فلور إلى هذه النتيجة. فما هي تلك الأسباب والدوافع؟

يمكن تلخيص جميع ما تمسّك به للدفاع عن موقفه الإلحاديّ^٣ في تلك الفترة بأسباب ثلاثة، هي: خلو القضايا والمعطيات الدينيّة من القيمة المعرفية، ومعضلة الشرّ، وعدم نهوض دليل على مدّعى "وجود الإله". وهذا ما سنتناوله بشيء من التفصيل:

١. التحليل الفلسفي - اللغوي لنموذج "الإله موجود":

«إنّ الفرضيّة الرائعة يمكن أن يُقضى عليها بواسطة كثرة القيود» (٤).

=

١- "لقد أمضيت مسيرتي الفلسفيّة كلّها حوارات مع مفكرين يختلفون معي في العديد من الموضوعات [ومنها] ما يتعلّق بوجود الإله. لقد استغرق النقاش في هذه الموضوعات أكثر من نصف قرن من حياتي الفكرية". هناك إله، م.س، ص ٩٣.

٢- هناك إله، م.س، ص ٩٦؛ ٦٨، There Is A God.

٣- سواء أكان إلحاديّاً أم لا أدريّاً كما تقدّمت الإشارة. وسيوافيك الفرق بين الموقفين عند السبب الثالث من هذا الفصل.

٤- "a fine, brash hypothesis may thus be killed by inches, the death by a thousand qualifications".

=

يذهب فلو في بعض بياناته إلى أنَّ المعتقد بوجود الإله، دائماً ما ينتهي به الحال إلى نفي وجوده من خلال الاعتراف بسلسلة لا تنتهي من التَّحفظات عن حقيقة الإله، ويقدم فلو مثلاً^(١) على ذلك من خلال قصة سائحين يصلان إلى بقعة مليئة بالأشجار والزهور المرتبة، فيقول أحدهما للآخر لا بدَّ أن البستاني يعتني بهذا المكان ويهتم به، بينما ينكر الآخر أصل وجوده. ويصرُّ الأوَّل على رأيه وأنَّ البستاني ذاك غير محسوس، لا مرئي ولا ملموس، فيحتج عليه المنكر قائلاً: ماذا تبقى من زعمك؟ وما الفرق بين هذا البستاني الذي تدَّعي وبين بستاني تتوهمه وهو في الواقع غير موجود أصلاً؟ ومغزى هذا المثال أنَّ الإنسان يتصور وجود الإله ثمَّ يحيط ذلك التَّصور بسور لا ينتهي من التَّحفظات كالقول بأنَّه غير محسوس وإلخ. ومآل ذلك إلى نفي القيمة المعرفية للنموذج القائل "الله موجود"، فإنَّه لا فرق بين تلك الدَّعوى مع قيودها وبين إله غير موجود.

وقد نُقل^(٢) عن أنتوني فلو القول بأنَّ العبارات التي يمكن التَّحقُّق منها باستخدام مناهج العلوم الطَّبيعية، هي وحدها التي لها معنى. و من الواضح أنَّه بذلك منجذبٌ إلى

=

؛ وتجد المعنى نفسه في ورقة بحثية لأنتوني فلو There Is A God, P. ٤٤ هناك إله، م.س، ص ٦١؛

THEOLOGY AND FALSIFICATION (From the University

Discussion) ANTONY FLEW, P. ١

١ - نقل أنتوني فلو هذا المشال عن جون ويزدام (١٩٩٣ - ١٩٠٨ / John Wisdom) في صدر مقالته:

THEOLOGY AND FALSIFICATION التي تناول فيها مسألة "مفهوم الإله ومدى تماسكه".

٢ - سخن گفتن از خدا، امير عباس عليزamani، ص ٤٤٣-٤٤٤ (فارسي).

مبدأ التَّحَقُّقِ^(١) في الوضعية المنطقية^٢، من هنا يتضح موقفه من القضايا الدينيّة واللاهوتية. فتدبره!

من جهة أخرى، يدّعي فلو أنّ على المتكلّمين ومن هم ضد المتكلّمين أن يبدؤوا بتحليل مفهوم الإله قبل كلّ شيء، لذا يناقش ويسأل عن تعريف الإله؟^٣ لا يخفى أنّ التعريف والتّحديد أمر ضروريّ في موضوع يراد الحكم عليه، فما لم نتصوّر معنى الكتاب لا يمكن أن نحكم عليه بأنّه موجود^(٤)، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الإله ما لم يكن لدينا تصوّر متماسك وقابل للتطبيق^(٥) عنه، لا يمكن طرح السؤال عن وجوده أو عدمه. وقد عرفت أنّ الإله الذي تدّعيه الديانات السّماوية مجرد عن صفات عالمنا، وبالتالي كيف يمكن أن نتصوّر شيئاً لا هو بجسم ولا في زمان أو مكان؟ إنّ فكرة الإله هذه لا معنى لها ولا تصوّر عنها^(٦)، فكيف يمكن تطبيق التّعبيرات

١- مبدأ قائم على أنّ الفرضيات ذات القيمة المعرفيّة هي تلك التي يمكن التّحقق منها من خلال إخضاعها للتّجربة.

٢- لكن فلو أنكّر تبني ذلك في كتاب هناك إله، وادّعى أنّه توسّل هذا الأسلوب بغية إقامة الحوار بين (الوضعية المنطقية) و(الذين المسيحي). انظر: هناك إله، مصدر سابق، ص ٦٢؛ P. ٤٥, There Is A God, وسوفيك تفصيل ذلك في الفصل الثّاني.

والوضعية المنطقية هي اسم أطلق عام ١٩٣١ على جملة من الأطروحات الفلسفيّة الناتجة عن ما عرف بحلقة فيينا (Vienna Circle)، اشتهر هذا الاتجاه بالمنهج النّقديّ، ورفض الأسئلة الفلسفيّة المتعلّقة بالميثافيزيقا، انطلاقاً من أنّ كلّ ما لا يخضع للتّجربة غير معترف به. انظر: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، كميل الحاج، ص ٦٧٠.

٣- قال: "لا يمكننا البدء بنقاش الأسباب التي تجعلنا نقول: إنّ هناك إلهاً على نحو ما موجود، قبل أن نقرر كيف يمكن تعريف الإله الذي نتحدّث عنه؟". هناك إله، م.س، ص ٧٠؛ P. ٥٠, There Is A God

٤- هذا ما يعرف في عبارات المناطق والفلاسفة "التّصوّر متقدّم على التّصديق".

٥- أي له قابليّة أن تحمل عليه التّعبيرات الإيجابية أو السّلبية.

٦- راجع مقدّمة مقالة: THEOLOGY AND FALSIFICATION.

الإيجابية^(١) والسلبية على اسم لا معنى له! إن ذلك أشبه ما يكون بالحكم على المجهول التصوري^(٢).

إذن، السبب الأول في إلحاده كان يتمثل بأن المعطيات الدينية لا قيمة معرفية لها، بل غير قابلة للتصديق، وأن مفهوم الإله هو بمثابة اسم فارغ من المعنى، بالتالي لا يمكن الحكم عليه بأنه موجود.

٢. معضلة الشر:

"مشكلة الشر كانت بالنسبة لي دحضا حاسماً لوجود إله كامل القدرة"^(٣). تعدّ "مشكلة الشر" من أبرز الأسباب الفلسفية القديمة^(٤) التي شكّلت الأرضية المناسبة للأسئلة والشبهات حول "الإله وأصل وجوده وتديره للكون" إلى حدّ دفعت البعض لإنكار وجود الإله وصفاته المطلقة كالعلم والقدرة، من هنا شمر الفلاسفة والمتكلمون المسلمون عن ساعد البحث وأشبعوا هذه المسألة تفنيدياً وتحقيقاً^(٥). وروح هذه الفكرة أننا نجد في الواقع الخارجي جميع أنواع الشرور والكوارث

١ - كقولنا: الإله موجود.

٢ - قال: "أن تقول بأنّ هناك (شخصاً بلا جسد) يشبه كثيراً قولك: (هناك شخص ما ليس موجوداً هناك)". هناك إله، م.س، ص ٢٠٣؛ ١٤٨. There Is A God.

٣ - "The problem of evil was a disproof of an all-good, all-powerful God".
هناك إله، م.س، ص ٥٩. ٤٢. There Is A God.

٤ - يُراجع بهذا الصدد كتاب: مشكلة الشرّ ووجود الله: الرد على أبرز شبهة من شبهات الملاحدة، سامي عامري، ص ١٨.

٥ - طرحت العديد من النظريات في الفلسفة لحل معضلة الشرّ وفصلها عن فكرة وجود الإله. يراجع بهذا الصدد: الشفاء (الإلهيات)، ابن سينا، ج ١، ص ٣٥٥؛ مجموعة رسائل فلسفية، صدر الدين الشيرازي، رسالة خلق الأعمال، ص ٣١٧؛ الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، صدر الدين الشيرازي، ج ٧، ص ٧٠؛ شرح المنظومة، هادي السيزواري، ج ١، ص ٣٦٥ و ج ٢، ص ٥٢٩.

الإنسانية من قبيل القتل والنهب والجرائم، وكذلك الكوارث الطبيعية من قبيل الزلازل والبراكين وغيرها، ولو كان هذا الكون من صنع إله مطلق من ناحية الصفات الكمالية كما يدعي الإلهيون، للزم أن يكون العالم منزهاً عن تلك الشرور وخالياً من تلك النقائص، وهذا خلف ما نجده، فاللازم - أي أن يكون الكون منزهاً عن الشرور - باطل، فالملزوم - أي أن يكون هذا الكون من صنع إله مطلق الصفات الكمالية - مثله في البطلان.

لقد بنى أنتوني فلو قناعته الإلحادية بادئ الأمر على مشكلة الشر، حيث كانت بالنسبة له دحضاً حاسماً لإثبات وجود إله كامل الخير والقدرة، قال: "إذا كنّا ندّعي بأنّ الإله يحبنا، فإنّ علينا أن نساأل عن الظواهر التي يستبعدنا هذا الادعاء. ومن الواضح أنّ الألم والمعاناة تمثّل تحدّيًا لهذا الادعاء"^(١).

مع الالتفات إلى هذه العبارة، تجدر الإشارة إلى أنّ فلو لم يقدم معضلة الشرّ بطرزاها القديم، بل حاول أن يشيدها وفق مبناه في "التحليل اللغوي"^(٢). حيث يذهب إلى أنّ النموذج^(٣) يكتسب قيمته المعرفية عندما يكون متسقاً مع القضايا الأخرى الثابتة، ففي مقالته "اللاهوت والتكذيب" يقول: إن قبول ادعاء ما مرهون باستبعاد قضايا

١ - هناك إله، م.س، ص ٦١؛ ٤٣. There Is A God.

٢ - منهج التحليل اللغوي: تُعد الفلسفة وفقاً لهذا المنهج عبارة عن تحليل للغة، ويرى أتباعه أنّ معظم المشكلات الفلسفية تنشأ عن عدم فهم منطق لغتنا، من خلال طرح أسئلة لا يعتبرها خاطئة فحسب، بل لا معنى لها من الأصل. ويعد الفيلسوف النمساوي لودفيج فيتغنشتاين (١٨٨٩ - ١٩٥١) (Ludwig Wittgenstein) من رواد هذا الاتجاه، ويمكن القول إنّ أنتوني فلو كان قد تأثر به في بعض بياناته المرتبطة بالتحليل اللغوي. (راجع: مقالة اللغة والمعنى عند فيتغنشتاين، مها أحمد السمهوري، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد ٩، العدد ٣، ٢٠١٦؛ هر كجا كه دليل ما را برآورد: از اصل "خدا نیست" تا "خدا هست"، حسن حسيني، ص ١٦ فارسي).

٣ - القضية أو الفرضية على الأصح.

أخرى؛ فدعوى كروية الأرض تستبعد إمكانية أن تكون مسطحةً، وكذلك ادّعاؤنا بوجود إله يحبنا، فإنه يستدعي استبعاد بعض الظواهر كالكوارث الإنسانية والطبيعية، ومن الواضح أنّ الكوارث تمثّل تحدياً لهذا الادّعاء، من هنا إنّ القول بوجود إله بتلك الصفات لا يمكن أن يكون متسقاً مع وجود الشرور. وهكذا يصبح هذا الادّعاء فارغاً لا قيمة معرفية له.

إذن، يتضح ممّا تقدّم أنّ السبب الثاني في إلحاد أنتوني فلو هو التمسك بمعضلة الشرّ وتقديمها بقلب التحليل اللغوي.

٣. نحو اللادرية: عبء الإثبات على عاتق المؤمنين؛ ولا دليل على الإثبات!

«تقديم الدليل هي مسؤولية المدعي وليس المنكر»^(١).

كانت هذه المقولة نتيجة مناظرة فلو ورفاقه الملحدين مع عدد من اللاهوتيين في تكساس، حيث أصرّ الطرف المقابل على أنّ الاعتقاد بالإله أمر أساسي لا حاجة لتقديم الدليل عليه^(٢)، وهذا ما يعني أنّ الموحّدين لا يقع على عاتقهم تقديم الحجّة على صحّة دعواهم، في المقابل ذهب الطرف الملحد إلى أنّه على المعتقدين بالإله أن يقدّموا الدليل والحجّة انطلاقاً من المبدأ القانوني القائل: الحجّة على المدعي دون المنكر.

١- "the onus of proof lies on the one who affirm, not on the one who denies".

٢. P. ٦٩ There Is A God، هناك إله، م.س، ص ٩٧؛

٢- الاعتقادات الأساسية هي القضايا التي لا تحتاج في ثبوتها واعتقادنا بها إلى دليل، من قبيل: الاعتقاد بوجود العالم الخارجي.

بعد تلك المناظرة بمدّة طوّر فلو وجهة نظره فيما يرتبط بـ "مفهوم الإله"^(١) حيث ذهب إلى أنّه من الممكن أن يكون الإنسان تصوّرًا معيّنًا عن الإله دون أن يؤمن به^(٢)، ذلك لعدم نهوض الدليل الكافي على وجوده.

من هنا نسأل: ما هي الأدلة على "وجود الإله" التي تطرّق لها أنتوني فلو وما هي وجهة نظره تجاهها؟

الدليل (١): الحجّة الكونيّة

أجرى فلو مناظرة مع تيري ميثي (Terry Miethe)^(٣) قدّم الأخير فيها صياغة لـ (الحجّة الكونيّة) المبنيّة على المقدمات التالية:

بعض الكائنات المتغيرة بنحو محدود، موجودة والوجود الحاضر لكل كائن متغير بنحو محدود، ناتج عن آخر لا يمكن أن يكون هناك تسلسل لا نهائي لأسباب الكائنات، لأنّه لن يكون سببًا لوجود أيّ شيء. والنتيجة هي ضرورة وجود سبب أوّل. وقد رفض أنتوني فلو هذه الحجّة انطلاقًا من أنّ الأسباب الفاعلة في الكون قد تكون فاعلة بذاتها دون حاجة لفاعل أوّل، خصوصًا أنّه في هذه الفترة لم يكن معتقدًا بـ "الانفجار الكبير"، بل كان يعتقد بالوجود المستمر لهذا الكون^(٤).

الدليل (٢): التصميم الذكيّ

تقوم حجّة التصميم^(٥) - التي نقلها وليام لين كريج (William Lane Craig) في مناظراته مع فلو عام ١٩٩٨ - على أساس مقدّمتين:

١ - ما تقدّم الحديث عنه في ذيل هذا العنوان: "أنتوني فلو والتحليل الفلسفي - اللغوي لفرضيّة (الله موجود)".

٢ - هناك إله، م.س، ص ٩٨ ؛ P.٧٠, There Is A God.

٣ - تيري ميثي (Terry Miethe): فيلسوف مسيحي إنجليزي، عمل في مركز دراسات أكسفورد.

٤ - هناك إله، م.س، ص ٩٩-١٠٠ ؛ P.٧٠-٧١, There Is A God.

٥ - حجّة التصميم تناظر برهان النظم في الفلسفة.

الأولى حسية مفادها أننا نعيش في عالم بديع فيه نظام معقد منسجم، سواء أكان في الإنسان نفسه أم في عالم الطبيعة.

والثانية عقلية مغزاها أن هكذا نظام معقد لا يعقل أن يكون اتفاقاً ناشئاً من صدفة عمياء.

والنتيجة التي يُنتهى إليها أن أصل الكون المعقد يمكن تفسيره بأفضل نحو من خلال وجود عقل ذكي يطلقون عليه في الطبيعيات اسم "المصمم الذكي" وفي الأديان "الإله".

إلا أن فلو رفض هذه الحجة معلقاً: "إن معرفتنا عن الكون يجب أن تتوقف عند الانفجار الكبير، والذي ينبغي رؤيته على أنه الحقيقة النهائية (Ultimate fact)^(١)." أما ما يتعلق بحجة التصميم، فأشرت إلى أنه حتى أعظم الكائنات المعقدة في الكون = البشر = هي نتاج قوى فيزيائية وميكانيكية^(٢).

انطلاقاً من السبب الثالث^(٣) نخرج بنتيجة أنه لم ينهض عند السيد فلو أي من الحجج المذكورة، ففضل أن يكون ملحداً سليماً^(٤) أو لا أدرياً^(٥): "قلت بأن حجة

١ - في هذه العبارة يظهر عدول فلو عن رأيه الأول فيما يتعلق بـ "الانفجار الكبير"، فإنه في الفترة الأولى لم يعتقد به، ولكن بعد ذلك مال إليه بحجج الفيزيائيين، أو لا أقل أخذه كفضيحة راجحة.

٢ - هناك إله، م.س، ص ١٠٢؛ There Is A God, P. ٧٣.

٣ - السبب الثالث هو "عدم نهوض دليل على وجود الإله" كما عرفت.

٤ - الإلحاد السلبي (Negative atheism): مصطلح يطلق على موقف الاعتقاد بعدم وجود الإله دون وجود دليل مباشر على ذلك، بل يُكتفى بعدم قيام الدليل على الوجود انطلاقاً من مبدأ "أصالة البراءة" و"الحجة على من ادعى"، ويطلق على صاحب هذا الموقف (الملحد السلبي). ونعتقد أن التعريف المذكور للإلحاد السلبي أدق مما ذكره بعض الباحثين في حاشية كتاب هناك إله، م.س، ص ٧٥، الهامش رقم (١).

٥ - اللادورية (Agnosticism): مصطلح يطلق على موقف "عدم الاعتقاد بوجود الإله" وليس "الاعتقاد بالعدم"، ويرى صاحبه أن الدلائل المتوفرة تجعل موقفه صحيحاً، وموقف كل من المؤمن بوجود الإله

التصميم، والحجة الكونية والحجة الأخلاقية^(١) التي تستخدم لتأكيد وجود الإله حجج غير صحيحة^(٢) و"حتى نؤمن بأن هناك إلهًا، لابد أن تكون لدينا مبررات جيدة للاعتقاد. لكن إن لم تكن لدينا مثل هذه المبررات، فإنه لا يوجد هناك سبب كافٍ للإيمان بوجود الإله، والموقف المعقول الوحيد هو أن تكون ملحدًا سلبيًا أو لا أدريًا"^(٣).

وفي خاتمة هذا الفصل نستطيع القول إن أنتوني فلو ناور في رحلته الإلحادية في جهتين؛ الأولى: إقامة الدليل على الموقف الإلحادي، والثانية: عدم قيام الدليل على الموقف الاعتقادي، ونرجئ تحليل هذه الأسباب وتقييمها إلى الفصل الثالث، وأمّا في الفصل الثاني فنقف على تنمّة رحلة فلو العقلية تلك وكيف استكملها باتجاه الاعتقاد أو الميل نحوه. من خلال المناورة على الجهتين المذكورتين، ولكن بشكل معكوس هذه المرة، بحيث يردّ أسباب الإلحاد، ويعزّز أدلة الاعتقاد.

والملحد موقفًا خاطئًا، هذا اللا أدري الإيجابي، ويوجد قسيم له هو "اللا أدري السلبي". (راجع: ملحدون محدثون ومعاصرون، م.س، ص ٩٣-٩٤).

١- هذه حجة ثلاثة أنكرها فلو وطوينا ذكرها في هذه المقالة اختصارًا. وللإطلاع عليها بإمكان القارئ الرجوع إلى مقالة: نقد العقل المحض، إمانويل كنت، ص ٢١٧؛ THE EXISTENCE OF GOD, RICHARD SWINBURNE, P. ٢١٢؛ مفهوم الألوهية في فلسفة ريتشارد سوين بيرون، عماد الدين إبراهيم عبد الرزاق، نشر: مؤمنون بلا حدود، ص ٥.

٢- هناك إله، م.س، ص ٦٩؛ ٤٩. There Is A God,

٣- هناك إله، م.س، ص ٧٤-٧٥؛ ٥٣. There Is A God,

الفصل الثاني: أسباب اعتقاده بوجود الإله

"الآن بتُّ أقبل بوجود إله"^(١).

١. هدمُ أسباب الإلحاد:

أ. معضلة الشر:

عرفنا في الفصل السابق أنَّ مشكلة الشر كانت واحدًا من الأسباب التي تمسك بها أنتوني فلو في موقفه الإلحادي، ولكنَّه بعد هذا الشوط عاد ليهدم هذا السبب وأطلق على التمسك به (عناد صغار السن). فمن وجهة نظر فلسفية لا يوجد علاقة أو ملازمة بين القول بوجود إله، ووجود التناقض والشرور في العالم. ولذا، إنَّ الاعتقاد بوجود إله غير مرهون بحل هذه الإشكالية. نعم، لابدَّ من تفسيرها وتقديم فدلّة منطقية لها، وقد أشرنا في طيّات البحث أنَّ لهذه المشكلة حلولًا كثيرة في الفلسفة والكلام. وكيف كان، ذكر فلو تفسيرين: الأول أن نعتقد بإله أرسطو الذي لا يتدخل في العالم إلا في بعض القضايا المبدئية كإقامة العدل، والثاني: يقوم على أساس أن الشر ممكن مادام الإنسان حرَّ التصرف والإرادة^(٢).

إذن، يقضي فلو على هذا السبب من خلال نفي الملازمة العقلية بين "وجود الشر" و"عدم وجود إله".

ب. قيمة المعطيات الدينية ومفهوم الإله:

عرفت في الفصل السابق أنَّ من الأسباب الدافعة نحو الإلحاد هو خلو القضايا الدينية - التي منها نموذج "الإله موجود" - من المعنى وبالتالي عدم اتصافها بالصدق والكذب، ولكن فلو أنكر تبنيّه موقفًا تجاه اللّغة الدينية والنماذج التي يقدمها الكلام المسيحيّ أو غيره بصورة عامّة، وهذا لا يعني أنَّه أصبح معتقدًا بقيمة معرفية للقضايا

١- "I now accepted the existence of a God"

هناك إله، م.س، ص ١٠٥-١٠٦ ؛ P. ٧٤. There Is A God.

٢- انظر: هناك إله، م.س، ص ٢١٦ ؛ P. ١٥٦. There Is A God.

الدينيّة^١. قال: "ولكن في الحقيقة لم أكون قطّ أطروحة شاملة عن وجود أو عدم وجود اللّغة الدينيّة ككلّ. لقد كان هدفي الأساس في بحث (اللاهوت والتّكذيب) وضع بعض (البهارات) على الحوار الدائر بين الوضعيّة المنطقيّة والدين المسيحيّ، وإقامة حوار بين الإيمان بالإله وعدم الإيمان به على أساس مختلف أكثر فائدة"^٢. وأمّا فيما يتعلّق بوجهة نظره تجاه "مفهوم الإله"، وتكوين معنى متماسك عنه، فقد صرّح بأنّه طور موقفه هذا من خلال بحثه العلمي، ولكنّه في تلك الفترة واجه مشكلة أخرى وهي عدم قيام الدليل على وجوده؛ قال: "أعدت تأكيد مجموعة من موافقي التي طورتها خلال سنوات عن انسجام تصور الإله وفرضيّة الإلحاد"^{(٣) (٤)}. وقد صرّح في خواتيم كتاب (هناك إله): "على أقلّ تقدير، بيّنت دراسات تريسي^(٥) وليفتو^(٦) أنّ فكرة الرّوح الحاضرة في كلّ زمان ومكان ليست غير متماسكة في جوهرها، إذا ما نظرنا إلى هذه الرّوح على أنّها فاعل خارج الزمان والمكان (...). والسؤال عمّا إذا

١- لما سيوافيك من أنّه لم يعتمد على الأديان ومعطياتها في اعتقاده بالإله، بل لم يعتمد على معطيات فلسفيّة محضّة بحسب ما سيتبيّن.

٢- هناك إله، م.س، ص ٦٢؛ ٤٥-٤٤. There Is A God.

٣- بمعنى أنّه من الممكن أن يحمل الإنسان تصوّرًا عن الإله ومع ذلك لا يعتقد بوجوده، ذلك لعدم قيام الدليل الكافي.

٤- هناك إله، م.س، ص ٩٨؛ ٧٠. There Is A God.

٥- توماس تريسي (- ١٩٣٦ Thomas Tracy): صاحب كتاب (الإله والفعل والتّجسد) و(الإله الفاعل)، أجاب عن سؤال فلو "كيف يمكن أن يكون هناك شخص بلا جسد؟ وكيف يمكن تعريف هذا الشخص؟". وخلاصة الجواب أنّه لا ينبغي أن يكون كلّ فاعل متجسّد، إذ ليس التّجسد معياراً في كون الشيء متحقّقاً أم غير متحقّق. (انظر: هناك إله، م.س، ص ٢٠٥-٢٠٦؛ ١٤٩. There Is A God).

٦- برايان ليفتو (- ١٩٥٦ Brian Leftow): بروفسور وأستاذ كرسي نولوث (Chair Nolloth) في جامعة أكسفورد، وهو كرسي خاصّ متعلّق بالدراسات المسيحيّة. وقد اعترف فلو في مقدّمة كتابه "هناك إله" أنّه استفاد كثيراً من النقاش مع ليفتو، كما أنّصح لك من خلال ما تقدّم.

كانت مثل هذه الرُّوح موجودة (...) يقع في صلب حجج وجود الإله^(١). وهكذا، يكون فلو قد وضَّح وجهة نظره الجديدة من "القيمة المعرفية للمعطيات الدينيَّة"، و"تماسك مفهوم الإله" تبعًا لما فسَّره (تريسي) و(ليفتو).

وبناء على ما تقدَّم بالإضافة إلى الرَّد على معضلة الشرِّ، بات من الممكن وبكلِّ وضوح أن يتَّصف الإله بالرحمة، دون أن يرد محذور الاتِّساق المعرفيِّ مع باقي القضايا الثَّابتة^(٢)، فالإله يحبُّنا، ولكن - كما قال تريسي - حبُّه يظهر بطريقة تكوينية في أفعاله. من هنا خرج فلو من هذا البحث قائلاً: "هذا الفهم للأفعال الإلهية يمكن أن يساعدنا في إعطاء محتوى لوصفنا للإله بأنَّه محب"^(٣).

حتَّى هذه النِّقطة من البحث تراجع فلو عن الأسباب التي دفعته إلى الإلحاد بمعنى "الاعتقاد بعدم وجود إله"، ورسَّت سفينة عقله على موقفٍ "لا أدري"، فهل عثر على دليل يقوده من حالة الشُّكِّ تلك إلى الاعتقاد، أم لا؟

٢. فلو ينقاد إلى الاعتقاد؛ والقائد هو الدليل:

بيَّننا فيما تقدَّم اعتقاد فلو بأنَّ عبء إقامة الدليل يقع على عاتق مدَّعي الوجود دون المنكر، وانطلاقاً من هذا الأصل، تعرَّض لبعض الأدلَّة التي كانت بنظره آنذاك قاصرة عن الوفاء بالمطلوب، ولكن مع مرور العقود وانهدام أسباب الإلحاد، ومع الأخذ بعين الاعتبار منهج قيادة الدليل، حريُّ بك أيُّها القارئ أن تسأل صاحبنا مجدداً: هل من دليل إلى الاعتقاد؟

تناول السيد فلو أدلَّة أو أسباباً ثلاثة، فلننظر إلى أين ستؤول به:

١- هناك إله، م.س، ص ٢١١؛ P. ١٥٣. There Is A God.

٢- كان يعاني فلو من فكرة: "الإله يحبُّنا" ولا يقبلها، باعتبار أنَّه لدينا قضايا ثابتة كوجود الشرِّ، لا تنسجم مع هذا النموذج، ولكن بعد تفسير معضلة الشرِّ، انتفى التعارض بين النموذج المذكور ووجود الشرِّ.

٣- هناك إله، م.س، ص ٢٠٦؛ ١٥١-١٥٠. There Is A God.

أ. قوانين الطبيعة:

لقد تعرّفنا في الفصل السابق^(١) على "حجّة التصميم الذكي"، وعرفنا أيضاً أنّ فلو كان من المنتقدين بحدة لها، ولكنّه تراجع عن ذلك بعد حين، بل عدّ التصميم أكثر الحجج دعماً لوجود الإله، فإنّنا ننطلق من العالم المحسوس بما فيه من عظمة وإتقان وإحكام، فنستكشف وجود التصميم العظيم، الذي يحتاج طرّاً إلى مصمّم أعظم. هذا، وإنّ العلوم الطبيعيّة الحديثة في الأحياء والفيزياء والكيمياء قد كشفت عن الكثير من تلك القوانين المتّسقة والمطرّدة^(٢)، ويمكن أن نسأل أنفسنا سؤالاً طفولياً: من نفخ روح الحياة في هذه القوانين البديعة؟

يستعرض فلو في بعض دراساته الأخيرة آراء العديد من علماء الفيزياء^(٣) فيما يرتبط بـ "وجود الإله" ويتطرّق إلى بعض اكتشافاتهم العلميّة فيما يتعلّق بالقوانين الفيزيائيّة المطّردة والمترابطة فيما بينها والمحبوكة بشكل معقّد من الناحية الرّياضيّة^(٤). وبعد أن نقل العديد من وجهات نظر علماء الفيزياء انتهى إلى أنّ آينشتين (Albert Einstein)^(٥) اتّفق مع سبينوزا (Baruch Spinoza)^(٦) في أنّ من يعرف الطبيعة

١- الفصل الثّاني، العنوان الثّالث: نحو اللاأدرية... الدّليل الثّاني: التصميم الذكيّ.

٢- أي القوانين التي نضمّ الكون على أساسها، دون أن يحصل تراحم أو خلل فيها، فإنّ وظيفة العالم هي اكتشاف تلك القوانين وليس إيجادها، فإذا كان اكتشاف تلك القوانين يتطلّب عقلاً عظيماً كعقل الإنسان، أفلا يحتاج إيجادها إلى عقل أعظم؟!

٣- من قبيل: نيوتن، وآينشتين، وهيزنبرغ، وبول ديفيز، وجون بولكينج هورن وغيرهم (راجع: هناك إله، م.س، ص ١٤٤).

٤- من قبيل: قانون الجاذبيّة، ونظرية الكوانتم.

٥- ألبرت آينشتين (١٨٧٩ - ١٩٥٥): عالم فيزيائيّ مشهور، وضع النّظرية النسبيّة الخاصّة والعامة، كان يعتقد بمصدر متعال يسميه (العقل الفائق) أو (الروح الفارقة).

٦- باروخ سبينوزا (١٦٧٧ - ١٦٣١): فيلسوف شهير من فلاسفة الغرب في القرن السابع عشر.

يعرف الإله، لكن ليس لأن الطبيعة هي الإله، بل لأن مواصلة العلم في دراسة الطبيعة تقود إلى الدين^(١).

هذا، ولم يُغفل الحديث عن بعض الفلاسفة الذين كتبوا حول المصدر الإلهي لقوانين الطبيعة أمثال فوستر (John Foster)^(٢) وسوينبرن (Richard Swinburne)^(٣)، وقد نقل عن الأخير قوله: "لعله أكثر سهولة أن تفترض أن هذا التناغم نشأ من فعل كيان واحد تسبب في جعل الأجسام تسلك بهذه الطريقة، بدلاً من افتراض أن كل الأجسام تسلك بطريقة معينة بحكم حقيقة عمياء نهائية"^(٤).

انتهى بحثه حول كاتب قوانين الطبيعة والتصميم، وقد لاحظ - أخيراً - الربط بين القوانين ووجود عقل الإله؛ قال: "هؤلاء العلماء الذين يشيرون إلى عقل الإله لا يقدمون مجرد سلسلة من الحجج أو عملية استدلال منطقية، بل بالأحرى هم يقدمون رؤية للواقع تنبثق من قلب تصورات العلم الحديث وتفرض نفسها على العقل الرشيد. وهي الرؤية التي أجدها شخصياً أنها مقنعة وغير قابلة للدحض"^(٥).

الآن باتت حجة التصميم، تشكل السبب الأول للاعتقاد.

ب. التنظيم الغائي للحياة:

الفكرة المحورية التي يدور حولها هذا السبب هو أن هذه القوانين المحكمة التي تقدم الحديث عنها قد صُممت بنحو توحى بأنّ العالم كان عالمًا يقودنا إليه، وبكلمة

١ - هناك إله، م.س، ص ١٣٧-١٣٨.

٢ - جون فوستر (John Foster): فيلسوف، عمل في جامعة أكسفورد.

٣ - ريتشارد سوينبرن (Richard Swinburne / ١٩٣٤ -): أستاذ الفلسفة في جامعة أكسفورد، وله مؤلفات عديدة.

٤ - هناك إله، م.س، ص ١٤٩؛ P. ١١٠. There Is A God.

٥ - هناك إله، م.س، ص ١٥٠؛ P. ١١٢. There Is A God.

واحدة: إن هذه القوانين قد حُبكت بهيئة تؤدي إلى نشأة الحياة على هذا الكوكب، وقد ذهب علماء الطبيعيات في تفسير ذلك مذهبين:

الأول: وجود الإله المصمم.

الثاني: تعدد الأكوان^(١).

انطلاقاً من المقدمات التالية يميل فلو إلى المذهب الأول:

١. ثمة حقيقة تؤكد بأننا نعيش في كون فيه قوانين محددة وثابتة فيزيائية.

٢. إن القوانين تفسر بقاء الحياة، ولكنها لا تجيب عن السؤال حول السبب الكامن وراء نشأتها.

٣. إن فرضية الأكوان المتعددة هي فرضية تخمينية، وعلى فرض صحتها، فإنه لا بد أن تتبع قوانين قبلية كما يقرر بعض علماء الفيزياء^(٢). من هنا نرجع إلى المربع الأول في السؤال: من أين جاءت هذه القوانين القبلية؟

لذلك، يبقى التفسير الوحيد هنا هو "العقل الإلهي" على حدّ تعبير فلو.

ج. وجود الكون:

عندما نتحدث عن وجود الكون ستواجهنا مقولات من نوعين مختلفين: مقولات طبيعية، وأخرى فلسفية. وأول ما يمكن أن يطالعك به بعضُ الطبيعيين هو اكتشافهم نظرية التطور في علم الأحياء البكتيرية التي تفسر نشأة المادة الأولى، ولكن الواضح أنهم يتعاملون مع التفاعل الداخلي للمواد الكيميائية، في حين أن ما يسأل عنه الحكيم هو: كيف يمكن لكون ذي مادة عمياء لا عقل لها أن تُنتج كائنات لها غايات؟ فكيف

١- الأكوان المتعددة أو الكون المتعدد: فرضية تطرح في الفيزياء، مفادها أن الانفجار الكبير الذي ولد كوننا هو واحد من عدد ربما لا نهائي من الانفجارات التي ولدت أكواناً متعددة. انظر: الجائزة الكونية الكبرى، بول ديفيز، ص ٣٥٢.

٢- كما نقل ذلك عن عالم الكونيات والفيزياء الفلكية مارتين ريس (Martin Rees). انظر: هناك إله، م. س، ص ١٦٣؛ ١٢١. P. There Is A God.

يكون شيء ما مسوقاً نحو غاية نهائية؟ وكيف يمكن للمادة أن تدار بواسطة آلية رمزية؟

وبعد نظرة في آراء علماء الأحياء يخرج فلو بنتيجة أقر بها بعضهم^(١): مازالوا بعيدين جداً عن الظفر بجواب محدد عن هذه الأسئلة.

وهكذا، فإنّ مرجوحية ما نظر له علماء الأحياء في التطور واستيعاده في التفسير وعده إجابة في واد آخر عن السؤال المركزي، يفسح المجال لرجحان الفرضية الثانية وتقبلها برحابة عقل، عنيت فرضية المصمم الذكي أو الإله اللامتناهي.

قال: "إنّ التفسير المرضي الوحيد لأصل حياة كهذه، (موجهة الغاية، قابلة للتكاثر) كما نرى على الأرض، هو العقل الذكي اللامتناهي"^(٢). وبهذا يتم السبب الثالث نحو الاعتقاد.

هذا، وقبل أن نتقل إلى النظرة التحليلية نحصد أهم النتائج التي انتهى إليها فلو وأقرّ بها:

الأولى: العلوم الطبيعية بما هي علوم طبيعية لا تستطيع تقديم حجة على وجود الإله^(٣)، إلّا أنّ الأدلة الثلاثة المذكورة -قوانين الطبيعة، والتنظيم الغائي للحياة، ووجود

١ - منهم أستاذ علم الأحياء في جامعة هارفارد أندي نول (Andy knell): "أعتقد أنّ علينا الاعتراف بأننا ننظر هنا من خلال زجاج معتم. نحن لا نعرف كيف بدأت الحياة على هذا الكوكب، ولا نعرف متى بدأت الحياة على وجه الدقة ولا نعرف ما هي الظروف التي بدأت فيها". انتهى اقتباس فلو عن نول، كما ويقتبس ما يوازي هذا المعنى عن الفيزيائي والعالم النووي جيرالد شرويدر (Gerald Schroeder) وكذلك عن رئيس الجمعية الدولية لدراسة أصل الحياة أنتونيو لازكانو (Antonio Lazcano). فراجع هذه الاقتباسات ومصادرها الأصلية في كتاب: هناك إله، م.س، ص ١٧٨ ؛ ١٣٠. There Is A God.

٢ - هناك إله، م.س، ص ١٧٩ ؛ ١٣٢. There Is A God.

٣ - يرجع سبب ذلك إلى ما نُقِّح في مباحث "نظرية المعرفة" من التباير النطاقي بين المنهج المتبع في الطبيعيات ونوع المقولات التي تتعامل معها، والمنهج المتبع في الميتافيزيقيا ونوع المقولات التي تناولها.

الكون = لا يمكن تفسيرها إلّا على ضوء ذكاء يفسّر في وقت واحد وجوده ووجود العالم^(١).

الثانية: يؤكّد فلو أنّ رحلته في اكتشافه للمقدّس، لم تكن رحلة إيمان، بل رحلة عقل. قال: "لقد اتّبع الحجّة إلى حيث قادتني. وقد قادتني إلى القبول بوجود إله ذاتي الوجود، لا يتغيّر، غير ماديّ، على كلّ شيء قدير، وبكلّ شيء عليم"^(٢).

تراجع عن أسباب الإلحاد، وانساق وراء أدلّة الاعتقاد، وبهذه النتائج، يختم أنتوني فلو غوصه في الأدلّة ويُنهي رحلته العقلية، ويطوي سفرًا دام قرابة السبعين عامًا، ويُسدّل الستار عن أسطورة عنوانها: "يميل حينما مال الدليل؛ من الإلحاد إلى الاعتقاد".

- فما هي القيمة المنطقية والمعرفية لأسباب الإلحاد والاعتقاد عنده؟ هل يمكن الاستناد إليها في مقام اتّخاذ موقف فكريّ عقديّ أم لا؟

- وهل الاستناد إلى أسباب مستقاة من العلوم الطّبيعية - كما عرفنا - يخدش في علمية البحث؟ وهل يؤثر ذلك على النتائج التي انتهى إليها؟

- هل يوجد انسجام بين الأدلّة والنتائج التي خلص إليها في كلا المرحلتين؟ بحيث كانت النتيجة مساوية للدليل أم أنّ أحدهما أعم من الآخر؟

- هل صار أنتوني فلو متدينًا أم ربوبيًا فحسب؟
- ما علاقة ما وصل إليه فلو بـ "اللاهوت الطّبيعي" وهل يمكن تصنيف أدلّته وعقيدته بهذا الاتجاه؟

هذا ما نتعرّف إليه بشكل موجز في الفصل الأخير.

١ - انظر: هناك إله، م.س، ص ٢١٥ ؛ P. ١٥٥, There Is A God.

٢ - هناك إله، م.س، ص ٢١٥ ؛ P. ١٥٥, There Is A God.

الفصل الثالث: نظرة تحليلية في دلالة الأدلة

ذكرنا في صدر هذه القراءة أمراً أُسس على قضية معيارية بُني عليها الفكر البشري، أعني ضرورة وجود دليل للتصديق في أيّ دعوى ترد عقولنا، فكيف بك إذا كانت تلك الدّعوى أو ذلك الموقف يشكّل إجابة عن سؤال^(١) محوري يمسّ عمق العقل الإنساني وتضرب جذوره في تاريخ الفكر البشري، وما انفكّ الحكماء يتحرّون عنه منذ تلك العصور القديمة، ولسنا نبالغ لو قلنا إنّه لأجل تقديم إجابة عن مثل هذا السؤال بُعث الأنبياء، وكانت المعجزات والرسالات!

ولكن، أترقى ممّا ذكرت^(٢) للقول، إنّ مجرد وجود سبب أو دافع لا يكفي في اتّخاذ موقف كوني أو تبني رؤية عن الكون، بل لا بدّ أن يُنظر في قيمة ذلك السبب ويُتقصّى عن كفايته وقيّمته، وآته هل ينهض بذلك الموقف وتلك الرؤية؟ أم أنّه قاصر عن ذلك؟

وهذا التّرقّي في المقام ليس الغرض منه مجرد تطويل الكلام، بل هو مقتضى الموازين المذكورة في علم المنطق، وخصوصاً في المباحث المرتبطة بصناعة البرهان والمغالطة.

وهنا لا بدّ من التّنبية على أمر مهمّ، هو التّفريق بين السبب في واقعه، والسبب كما يراه الباحث، فقد يكون السبب كافياً في واقعه، ويراه الباحث قاصراً لشبهة معينة، وقد يحصل العكس، بأن يكون السبب ناقصاً في واقعه ويراه الباحث كاملاً لمانع ما. من هنا، وضعت ضوابط وقوانين عامّة في علم المنطق لتمييز الأسباب الكافية في واقعها من غيرها، لا كما يراها الباحث فحسب. وسنحاول أن نحاكم تلك الأسباب والدوافع

١- نعني الأسئلة المرتبطة بمحاور الرؤية الكونية: الإله، الرسالات، الجزاء.

٢- لقد قيّدنا في السّطر الثّاني من المقدّمة كلمة الدّليل بـ "المُحكّم"، ونكتة هذا التّقيد هو ما سنترقى إلى بيانه هنا.

المذكورة في الفصلين المتقدمين مراعين في ذلك القوانين المنطقية، والموازن المعرفية.

١. نظرة تحليلية في أسباب الإلحاد:

أ. القيمة المعرفية للاستناد إلى خلو المسائل الدينية من المعنى:

لا يرجع إثبات وجود الإله وباقي محاور الرؤية الكونية إلى اللغة الدينية بما هي لغة دينية وإلا لزمّت شائبة الدور المحال كما هو واضح، وإنما يرجع إلى البراهين العقلية^(١)، فإذا ورد ذلك في النصوص الدينية، فيكون الأخذ به بلحاظ كونه دليلًا برهانيًا إن تضمن استدلالًا، وبلحاظ كونه نتيجة إن تضمن نتيجة قاد الدليل العقلي إليها في رتبة سابقة. فإنّ البرهان ينتج يقينًا بشرائطه المنصوصة في كتاب البرهان من علم المنطق.

وبالتالي سواء ثبتت قيمة معرفية للغة الدينية أم لم تثبت، فإنّ ذلك لا يחדش في نموذج "الإله موجود".

من هنا يُعلم، أنّ هذا السبب ليس بشيءٍ حتى يتمسك به لتبرير موقفٍ إلحاديّ.

ب. القيمة المعرفية للاستناد إلى خلو مفهوم الإله من المعنى^(٢):

إنّ الاستناد إلى مثل هذا السبب متوقف على إثبات أنّ كلّ ما لا تناله الحواس لا وجود له ولا تقرّر، بمعنى أنّ كلّ ما يكون مجردًا عن مقولة المتى والأين والكيف...

١- راجع: أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، ج ٢، المقالة الرابعة عشر، ومن ضمن ما ذكره ص ٥٢٧: "إنّ الديانة الإسلامية لا ترى جواز التقليد في أصول الدين بأي وجه من الوجوه، ولا بدّ من الإيمان بها عن طريق الاستدلال والبحث".

٢- لقد فتد هذه الشبهة العلامة الطباطبائي في أصول الفلسفة، والعلامة المطهري في شرح هذا الكتاب، وأجابوا عنها إجابة وافية؛ راجع: أصول الفلسفة، ج ٢، ص ٦٧٣ تحت عنوان: "كيف تتصور الله؟".

هو في الحقيقة عدمٌ، لا شيءٌ له. ولا محصلٌ لهذه المسألة، بل قام الدليل العقلي على خلافها^(١).

ومن جهة أخرى، إن مجرد العجز عن تخيل فكرة ما لا يلزمه انتفاء وجودها، بل إن الانتقال من العجز عن التخيّل إلى الحكم بعدم الوجود هو بالدقة تحديد للواقع على طبق وعاء الخيال، وهذا أمر بعيد النّيل، لا دليل عليه، بل البرهان العقلي يقضي^(٢) بوجود إله مجرد عار عن الوصف الطبيعي^(٣)، وهذا ما يحتم حقيقة مفادها أن وعاء الواقع أوسع من وعاء التّخيّل. وبالتالي تكون دعوى تحديد الواقع بوعاء الخيال التي بُني عليها هذا السّبب، هي مجرد قضية وهميّة لا قيمة لها من النّاحية المعرفيّة والمنطقيّة. وبعد ذلك يتّضح أنّه لا مبرّر علمي للاستناد إليها في بناء موقف إلحادي.

نعم، لا ننكر صعوبة تصوّر المفاهيم المرتبطة بما بعد الطّبيعة، وإن كان التصديق بها بعد التّصوّر الصّحيح، أمرًا سهل المؤونة. قال العلامة المطهري: المفاهيم لها حدها والذهن يألف المفاهيم الحسية والمادّيّة، ومن هاتين النّقطتين يصحّ عمل الفكر في قضايا ما بعد الطّبيعة عسيرًا جدًّا، فكأنّه يريد أن يضع البحر في كوز. ولا شك أن معاني

١- ذهب بعض المادّيين إلى أن الموجود هو المحسوس بالحواس الظّاهرية فحسب، وحاولوا إثبات مادّيّة الروح من خلال الاستفادة من علوم مختلفة كعلم الفيزياء والنفس والفيزيولوجيا، وقد رذت هذه الدّعوى واستدلّ على خلافها في مباحث نظريّة المعرفة. يراجع بهذا الصّدّد: أصول المعرفة والمنهج الواقعي، ج ١، المقالة الثّالثة، ص ١٣٩.

٢- يراجع: المقالة الرابعة عشر من كتاب أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، محمد حسين الطباطبائي، مع تعليقه مرتضى مطهري.

٣- كالزمان والمكان واللون وإلخ.

الحكمة الإلهية تتطلب استعدادًا خاصًا... إن مشكلة ما بعد الطبيعة تتجلى في مرحلة التّصوّر لا التّصديق^(١).

ج. القيمة المعرفية للاستناد إلى معضلة الشر^(٢):

إن المشهد الواقعي للعالم يفرض تحليله إلى جزأين، أو قل جانبيين: الأوّل هو التّناغم والنّظم البديع في الطبيعة وقوانينها، والآخر هو وجود الشّرور والكوارث الطّبيعية والبشرية. من هنا إنّ الاقتصار على جانب دون آخر، هو في الحقيقة ترجيح لا مبرّر له، أو تدليس لا يُغتفر.

ثم إنّ نفي معلوئية الكون لإله كامل الصّفات انطلاقًا من وجود نقص وشورور في الكون، هو فرع الفراغ من أنّ وجود عالم منزّه عن تلك الشّرور أمر ممكن عقلا، كما أنّه فرع قابلية الطبيعة واستعدادها لمثله.

فماذا لو كان وجود عالم بتلك الهيئة المذكورة أمرا مستحيلا في ذاته؟^(٣) وماذا لو كانت الشّرور أمورا عديمة لا جاعل أو فاعل لها؟^(٤) وماذا لو كانت لازمة للخيرات غير منفكة عنها؟^(٥)

إذا كان وجود عالم منزّه عن المآثم أمرا ممتنعا عقلا، وكانت الشّرور ملازمة للخيرات، فما المسوّغ بعدل للانتقال منه إلى عدم وجود إله كامل الصّفات، أو منه إلى نفي معلوئية الكون له؟

١ - أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، ج ٢، ص ٥٤٧-٥٤٨.

٢ - لقد عالج الحكماء الإلهيون هذه الشبهة في إطار أبحاث متعدّدة؛ راجع: أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، ج ٢، ص ٥٨١ حتى ص ٥٨٩.

٣ - (...) إذن: فإما أن يوجد هذا العالم مقرونا بهذه النواقص والتّزاحمات، وإما أن لا يكون موجودا لكي ينتفي الموضوع من الأساس. أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، ج ٢، ص ٥٨٥-٥٨٦.

٤ - أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، ج ٢، ص ٥٨٤.

٥ - أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، ج ٢، ص ٥٨٥.

لعل المسوِّغ الوحيد في المقام - بناء على ما ذكر - هو الانفعال العاطفي^(١)، وحكم وهمي^(٢)، ومن المعلوم منطقيًّا عدم صحة الاستناد إلى الوهميات في اتِّخاذ موقف فكري.

من هنا، تتَّضح القيمة المعرفية لاتِّخاذ معضلة الشرِّ سببًا لنفي الحكمة البالغة أو الإلحاد!

د. القيمة المعرفية للاستناد إلى عدم العثور على دليل:

كما أنَّ القول "بوجود الإله" دعوى، كذلك القول "بعدم وجود إله"، وكلُّ منهما إمَّا أن يكون بينًا أو لا، فيحتاج إلى دليل للتصديق به، وبناء على الثاني، غاية ما يمكن أن يبرِّره عدم وجدان الدليل^(٣) هو الموقف (اللاأدري) بشرط أن يجتمع مع عدم العثور على دليل للدَّعوى الثانية.

وأما أنَّه يؤدِّي إلى الإلحاد^(٤) رأسًا من خلال التمسك بالمبدأ القائل "الحجة على من ادَّعى"، ففيه أننا لا نسلِّم بجريان هذا المبدأ في المباحث الوجودية، لأنَّ الأصل فيها الإمكان بمعنى تساوي نسبة الصدق والكذب^(٥)، وبالتالي يكون ترجيح أيٍّ من الدَّعويين والأخذ بأحدهما على نحو الاستقلال^(٦) محتاجًا إلى دليل برأسه. وبعد ذلك، لو تنزَّلنا وسلَّمنا بجريان مبدأ "الحجة على من ادَّعى" في المقام، قلنا كلُّنا من القولين (دعوى) كما اتَّضح، وبالتالي الأخذ بأيٍّ منهما يحتاج إلى حجة.

١ - حيث يكون المبرر للأخذ بهذا السبب وجعله دليلًا هو مجرد التبرُّم من الواقع المرير، والتأثر بمشاهد القتل والنهب والبراكين وما شاكل!

٢ - إنَّه من الوهم أن نتصوَّر وجود المادة مع عدم قبولها للتضاد والتَّزاحم. أصول الفلسفة، ج ٢، ص ٥٨٥.

٣ - وعدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود.

٤ - الإلحاد بمعنى "الاعتقاد بعدم وجود إله" وليس "عدم الاعتقاد بوجود إله".

٥ - فإنَّ كلًّا من علمنا بالوجود أو علمنا بعدم ممكن، وبالتالي يحتاج إلى مرجح، والمرجح هو الحجة.

٦ - لأنَّه لا يمكن الالتزام بهما معًا.

وهكذا لو تمسك الملحد^(١)، بعدم وجدان الدليل لتبرير موقفه الإلحادي، كان ذلك منه وقوعاً في فخ المغالطة أو ما يشبهها، حيث إن دليله أجنبي عن المدعى أو قل أخص منه، لأن مجرد عدم وجدان الدليل قد يؤيد فكرة الاعتقاد بالعدم (الإلحاد)، وقد يؤيد فكرة عدم الاعتقاد (اللاأدرية) بالشروط المتقدم.

الأسباب المذكورة بالنسبة إلى النتيجة:

بعد إلقاء نظرة تحليلية خاطفة على الأسباب المذكورة في الفصل الأول، يتضح أنها لا تصلح كأدلة للقيادة نحو الإلحاد، ولا يصح الاستناد إليها في اتخاذ موقف عن الكون، لما عرفناه من أنها ليست بيقينيات، وإنما بعضها من الوهميات، وبعضها لم يخل من المغالطة أو شبهها، كما عرفت.

٢. نظرة تحليلية في أسباب الاعتقاد:

أ. القيمة المعرفية للاستناد إلى الأدلة المستقاة من العلوم الطبيعية:
إن الاستفادة من العلوم الطبيعية في هذا الإطار تأخذ شكلين مختلفين:
الأول: أن يكون المقصود هو توفير مقدمة حسية من قبل العلوم الطبيعية، ومن ثم ضمها إلى مقدمتين عقليتين، لينتج منها إثبات وجود الإله.
المقدمة الأولى (حسية): يقع تحت نظرنا عالم بديع ونظام عظيم وقوانين منسجمة.
المقدمة الثانية (عقلية): العالم البديع والنظام العظيم والقوانين المنسجمة لا تكون اتفافية.
المقدمة الثالثة (عقلية): هذا العالم إما أن ينتهي إلى مبدأ وهو الإله، أو أن يتسلسل إلى ما لا نهاية، والتالي باطل، فيتعين الأول.

١ = المقصود هو "الملحد الذي يعتقد بعدم وجود إله".

ولا نقاش لنا في صوابية هذا النحو من الاستفادة من العلوم الطبيعية في تنقيح المقدمة الحسية، وتعزيزها بالاكتشافات العصرية.

الثاني: أن العلوم الطبيعية، وبالخصوص الحقول النظرية منها تُثبت وجود الإله بمعزل عن أي شيء سوى العلم، وفي هذه الحالة لابد أن نُميّز بين لحاظين: ١. أن نلاحظ العلم الطبيعي بما هو علم طبيعي، وبالتالي بما هو قضايا تجريبية أو حسية، فإنه قاصر عن البت في أمور ميتافيزيقية ما وراء الطبيعة أو ما قبلها على الأصح، سواء كان ذلك البت بنحو الإثبات أو النفي. ونكتة ذلك هي المنهج المتبع في هذه العلوم، أعني المنهج التجريبي، والمرجع في ذلك ما نُقَّح في أبحاث نظرية المعرفة. ولعلّ أتوني فلو كان ناظرًا إلى ما ذكرناه في قوله: "العلم كعلم لا يمكن أن يقدم حجة على وجود الإله"^(١).

٢. أن نلاحظ العلوم الطبيعية بما هي حاكية عن نظام محبوك وقوانين مطردة، بحيث لا يكون هذا النظام متكاملًا إلّا مع فرض وجود قوة حاکمة، فيكون العلم مشيرًا إلى وجود العقل الذكي ومرشدًا إليه، ويقدم العلم بهذا اللحظ دلالة على ما وراء الطبيعة. ولنأخذ مثالًا توضيحيًا على ذلك أحجية تشكيل الصور (Puzzle) من خلال تركيب قطع صغيرة، فإن كل قطعة منها وإن كانت لا تعدّ دليلًا منطقيًا على وجود قطعة أخرى ملاصقة، ولكنها تشير إلى أنّ تكامل الصورة الكبيرة منوط بوجود القطعة (أ) دون القطعة (ب) على سبيل المثال.

وهكذا بالنسبة إلى المورد الذي نحن فيه، فإن وجود القوانين المطردة والنظام المتناغم هو بمثابة الصورة الكبيرة، والاكتشافات في العلوم الطبيعية هي بمثابة القطع الصغيرة المشيرة.

١- هناك إله، م.س، ص ٢١٥ ؛ P. ١٥٥. There Is A God.

إلا أن غاية ما تكشف عنه قراءة الطبيعة باللحاظ الثاني المذكور هو مقهورة الكون لقوة ما وراثية، ولكنها لا تثبت صفاتها؛ واحدة أم كثيرة؟ مجردة أم مادية؟ قديمة أم حادثة؟ مدبرة أم غير مدبرة؟ بسيطة أم مركبة؟ إلخ.

ولكن فلو قد ذهب إلى أبعد من ذلك^(١) في خواتيم بحثه، حيث اعتقد بوجود إله، ذاتي الوجود، لا يتغير، غير مادي، على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم. مع أنه قال: "اكتشافي للالوهية مبني على أساس طبيعي صرف"^(٢)! فهل قال أكثر مما يعرف عندما تعدى الأدلة الطبيعية بالاعتقاد بالصفات المذكورة؟ أم أنه أخذ من المسيحية بعض النتائج؟

لا هذا، ولا ذاك، بل يمكن تفسير كل مفردة من تلك الاعتقادات من خلال البيان التالي:

الأدلة الطبيعية كانت سبباً في اعتقاده بـ (وجود الإله).
وتأييده لتقرير سوينبيرن (Swinburne)^(٣) للحجة الكونية والتسلسل^(٤)، كان سبباً لاعتقاده بأن (الوجود للإله ذاتي)، بمعنى أنه غير محتاج إلى علّة. وبناء على ما أفاده ليفتو من ضرورة أن يكون الإله خارجاً عن المكان والزمان^(٥) اعتقد فلو بأن الإله (مجرد) وكذلك (لا يتغير).

١- أي مع أنه استند إلى أدلة طبيعية ولكنه اعتقد بأمور أخرى بالإضافة إلى وجود الإله نفسه.

٢- هناك إله، م.س، ص ١٢٧؛ P. ٩٣. There Is A God.

٣- ريتشارد سوينبيرن (- ١٩٣٤ / Richard Swinburne): أستاذ الفلسفة في جامعة أكسفورد، ويعد عالماً من أعلام المسيحية المعاصرين.

٤- هناك إله، م.س، ص ١٩٨؛ P. ١٤٤-١٤٥. There Is A God.

٥- هناك إله، م.س، ص ٢٠٧-٢٠٨-٢٠٩-٢١٠؛ P. ١٥١-١٥٢-١٥٣. There Is A God.

وأما اعتقاده (بقدرته المطلقة) و(علمه غير المحدود)، فقد استند فيه إلى أصل وجود الكون ونظمه الدقيق.

وهكذا نعي أن النتائج مساوية للأدلة من وجهة نظره على الأقل. طبعًا، لا يخفى تأثر فلو بأرسطو (Aristotle)^(١) الذي عيّن صفات الإله بأنه واجب الوجود، ثابت غير متحرك، مجرد غير ماديّ، قادر على كل شيء، عالم بكل شيء، خير مطلق، وبسيط غير قابل للتجزئة^(٢). وقد صرح فلو بذلك: "الإله الذي دافع كونوي^(٣) عن وجوده، وأنا كذلك، هو إله أرسطو"^(٤).

ج. اللاهوت الطبيعيّ (Natural theology) وربوبيّة فلو:

بعد معاينة الأدلة المتقدمة في الفصل الثاني، لسنّا بحاجة إلى زيادة تأمل للحكم بأنّ أتتوني فلو قد توسّل أدلة اللاهوت الطبيعيّ للاعتقاد بالإله؛ قال: "لقد كان اكتشافي للإله عبارة عن ممارسة ما يسمى تقليديًا بـ (اللاهوت الطبيعيّ)"^(٥). وهكذا يكون قد التحق بركب الربوبيّين إلى هذه النقطة من البحث، أمّا أنّه هل آمن بديانة أو رسالة سماويّة معيّنة بعد ذلك أم لا؟ فهذا ما يستدعي قراءة مستقلة لمناظراته مع المسيحيّة، عسى أن يوفّقنا الله تعالى إلى كتابتها في قابل الأيام.

١ - أرسطوطاليس (القرن الرابع قبل الميلاد / Aristotle): فيلسوف يونانيّ ملقب بالمعلّم الأول، وهو من أعظم العلماء على طول خطّ التاريخ البشريّ.

٢ - أرسطوطاليس: المعلّم الأول، ماجد فخري، ص ٩٦-٩٧؛ هناك إله، م.س، ص ١٢٦؛ There Is A God, P. ٩٢.

٣ - ديفيد كونوي (David Conway / ١٩٤٧ -): فيلسوف بريطانيّ.

٤ - هناك إله، م.س، ص ١٢٦؛ There Is A God, P. ٩٢.

٥ - هناك إله، م.س، ص ١٢٧؛ There Is A God, P. ٩٣.

الخاتمة

كان غرضنا بيان أهم الأسباب التي دفعت فلو باتجاه الإلحاد، والأسباب التي أدت به للعدول عن ذلك، والاعتقاد بوجود الإله، ثم إلقاء نظرة تحليلية على أهم تلك الأدلة. وقد تمّ ذلك بعون الله، وخلصنا من هذه القراءة بالنتائج التالية:

١. اتّضحت الأسباب الدافعة نحو الإلحاد والتي تمثّلت بنفي القيمة المعرفية للغة الدينيّة، وخلوّ مفهوم الإله من المعنى، ومعضلة الشرّ، وعدم العثور على دليل للاعتقاد. وقد تراجع فلو عن بعض هذه الأسباب في أواخر حياته، أو قل عن جميعها من حيث كونها مؤذية للإلحاد، فوضّح أنّه لم يتبنّ وجهة نظر بالنسبة للغة الدينيّة، واعتقد بأن مفهوم الإله ليس مجرد اسم خالٍ من المعنى، ونقد على نفسه التمسك بمعضلة الشرّ كسبب للإلحاد، ثمّ فسرها على وجه ينسجم مع الاعتقاد، وأمّا عدم العثور على دليل فقد اتّضح موقفه من هذا السبب خلال إقامة الأدلة على (وجود الإله).

٢. وقفنا على الأسباب التي كان لها الدور الأبرز في تغيير مسار البوصلة عند فلو في مرحلة متأخرة من عمره، حيث أقام أدلة على الاعتقاد، بعد نقد أسباب الإلحاد. وقد تمثّلت الأدلة بشكل أساسيّ بقوانين الطبيعة والتنظيم الغائي للحياة ووجود الكون.

٣. اتّضح لنا من خلال النظرة التحليلية أنّ الأسباب التي تمسك بها في سبيل الإلحاد، كانت قاصرة معرفياً ومنطقياً عن النهوض بنتيجة عدم الاعتقاد بالإله، أو قل الاعتقاد بعدمه على الأصحّ.

وأمّا الأسباب التي تمسك بها للعدول عن إلحاده والاعتقاد كانت أسباباً مساوية للنتائج.

٤. لقد حاول فلو في رحلته أن ينقاد بالدليل العلميّ أو العقليّ الفلسفيّ، دون الاعتماد على اللغة الدينيّة، مع العلم أنّه كان ناظرًا إلى الكلام المسيحيّ فحسب. هذا، وقد وصل إلى ما وصل إليه من خلال التمسك بأدلة ما يسمى (اللاهوت الطبيعيّ)، وهكذا صار في صفّ الرّبوبيين.

٥. أخيراً، عرفنا أنّ فلو بات يؤمن بإله أرسطو على حدّ تعبيره.

المصادر والمراجع:

١. أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، تأليف: محمد حسين الطباطبائي، تقديم وتعليق: مرتضى مطهري، ترجمة: عمار أبو رغيف.
٢. أرسطو طاليس: المعلم الأول، تأليف: ماجد فخري، المطبعة الكاثوليكية، لبنان - بيروت.
٣. الإشارات والتنبيهات (المنطق)، ابن سينا، شرح: نصير الدين الطوسي، فخر الدين الرازي، وقطب الدين الرازي، تحقيق: وسام خطاوي، ١٣٩٦هـ، انتشارات مطبوعات ديني، إيران - قم.
٤. الجائزة الكونية الكبرى: لماذا الكون مناسب للحياة؟، تأليف: بول ديفيز، ترجمة: سعد الدين خرفان، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، ٢٠١١م، سوريا - دمشق.
٥. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، صدر الدين محمد الشيرازي.
٦. الدين من منظور فلسفي (دراسة نصوص)، روبرت سولمون، ترجمة: حسون السراي.
٧. رحلة عقل: هكذا يقود العلم أشرس الملاحدة إلى الإيمان، تأليف: عمر شريف، تقديم: أحمد عكاشة، الطبعة الرابعة - ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، مكتبة الشروق الدولية، مصر.
٨. شرح المنظومة (قسم الحكمة)، هادي السبزواري، الطبعة الأولى، نشر وتوزيع: مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت.
٩. الشفاء (الإلهيات)، ابن سينا.
١٠. عالم دون أنبياء! دراسة نقدية في الفكر الربوبي، حسين الخشن، الطبعة الأولى - ٢٠١٧م / ١٤٣٨هـ.
١١. اللغة والمعنى عند فتجنشتين (مقالة)، مها أحمد السهموري، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد ٩، العدد ٣، ٢٠١٦.

١٢. الموسوعة الميسرة في الفكر الإسلامي والاجتماعي، كميل الحاج، الطبعة الأولى - ٢٠٠٠م، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان - بيروت.
١٣. مشكلة الشر ووجود الله: الرد على أبرز شبهة من شبهات الملاحدة، سامي عامري، الطبعة الثانية - ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م، المؤسسة العلمية الدعوية العالمية، المملكة العربية السعودية - الخبر.
١٤. ملحدون محدثون ومعاصرون، رمسيس عوض، الطبعة الأولى - ١٩٩٨م، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربي، لندن - بيروت - مصر.
١٥. مجموعة رسائل فلسفية، صدر الدين محمد الشيرازي، رسالة خلق الأعمال، الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت.
١٦. مفهوم الألوهية في فلسفة ريتشارد سوين بيرون (مقالة)، عماد الدين إبراهيم عبد الرزاق، نشر: مؤمنون بلا حدود.
١٧. نقد العقل العملي، تأليف: إمانويل كنت، ترجمة: غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى - ٢٠٠٨م، لبنان - بيروت.
١٨. هناك إله: كيف غير أشهر ملحد رأيه، تأليف: أنتوني فلو، ترجمة: صلاح الفضيلي، مراجعة وتعليق: مرتضى فرج، الطبعة الثانية - ١٤٣٨هـ العتبة العباسية المقدسة.
١٩. سخن گفتن از خدا، امير عباس عزيزماني، الطبعة الثانية - ١٣٩٥ش، طبع مطبعة المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، الناشر: سازمان انتشارات پژوهشگاه فرهنگ و اندیشه اسلامي، إيران - طهران.
٢٠. هر کجا که دلیل ما را برد: او اصل "خدا هست" تا "خدا نیست"، أنتوني فلو، تأليف و ترجمه: حسن حسيني، ویراست دوم - ١٣٩٤ش، پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی، ایران - تهران. ew

٢١. There Is A God: How the world's most notorious atheist changed his mind (HarperCollins e-books), Antony Flew.

٢٢. theology and falsification (From the University Discussion), Antony Flew.

٢٣. The existence of God, second edition – ٢٠٠٤, Richard Swinburne, (Clarendon Press – Oxford).

الإمامة الإلهية في القرآن ومدرسة أهل البيت عليهم السلام

□ الشيخ محمود سرانب

تمهيد:

إنّ أساس النزاع بين الشيعة الإمامية وبين غيرهم، إنّما هو عدم تبين مفهوم الإمامة عند الآخرين وعدم وضوح منزلة الإمام ودوره في نظامي التكوين والتشريع. وإذا أمكننا تصوير ما تعتقده الإمامية في الإمام، وأمكن إقناع الطرف الآخر به فلا نزاع بيننا وبينهم. وما نسعى إليه في هذا البحث هو بيان منزلة الإمامة والإمام المعصوم في الرؤية القرآنية والروائية؛ لأن توضيح هذه المسألة يمثل حجر الأساس في فهم الكثير من الأمور الفكرية والعقدية التي تؤمن بها الإمامية الإثنا عشرية. لا سيّما موضوع الإمام المهدي عليه السلام فإن فهم الإمامة له ارتباط وثيق ومباشر في فهم حركة الإمام عليه السلام في غيبته وكيفية تواصله مع شيعته ومع العالم الخارجي وكذا كيفية تواصل الشيعة معه؛ فكل هذه الأمور وغيرها متوقفة على الفهم الصحيح للإمامة. وبالرغم من أنّ هذا البحث ذو بُعد عقدي؛ إلا أنّ فيه الكثير من العناوين لم تتعرض لها الكتب الكلامية أو أنّها لم تتعرض لها بالتفصيل. وقبل البدء بعرض الرؤية القرآنية والروائية في منزلة الإمام والإمامة سنعرض اعتقاد الإمامية بالإمامة باختصار وما سنعرضه هو مورد اتفاق الإمامية.

كلمات مفتاحية:

الإمامة، الإمام المهدي عليه السلام، القرآن الكريم

الفصل الأول: عقيدة الإمامية الإثنا عشرية بالإمامة

الإمامة عند الشيعة الإمامية: "رياسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي ﷺ" ^(١). كما تؤكد الشيعة الإمامية أن الإمامة واجبة، وأن الأرض لا تخلو من حجة ^(٢). كما تقول الإمامية أن الإمامة لطف - أي تستدل عليها باللطف - واللطف واجب في الحكمة. وهي واجبة عقلاً، لأن الإمامة لطف ^(٣) فإننا نعلم قطعاً أن الناس إذا كان لهم رئيس مرشد مطاع ينتصف للمظلوم من الظالم، ويردع الظالم عن ظلمه، وكانوا إلى الصلاح أقرب، ومن الفساد أبعد، واللطف واجب ^(٤). وإذا نظمنا دليل اللطف بشكل قياس منطقي يكون على الشكل التالي:

الإمامة لطف، وكل لطف واجب على الله، فالإمامة واجب على الله تعالى.
وترى الشيعة الإمامية أن النبوة لطف ^(٥)، ولما كانت الإمامة لطفاً فلذلك "إن كل ما دل على وجوب النبوة فهو دال على وجوب الإمامة، إذ الإمامة خلافة عن النبوة قائمة مقامها، إلا في تلقي الوحي الإلهي بلا واسطة" ^(٦).

١- النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، الفاضل المقداد السيوري، الفصل السادس: في الإمامة وفيه مباحث، ص ٩٣.

٢ - النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد، ص ٢٩.

٣ - الإمامة لطف عام والنبوة لطف خاص، لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام أشر من إنكار اللطف الخاص، وإلى هذا أشار الصادق عليه السلام بقوله عن منكر الإمام هو شر الثلاثة. فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: الناصبي شر من اليهود، قيل كيف ذلك يا بن رسول الله ﷺ فقال إن اليهودي منع لطف النبوة وهو خاص والناصري منع لطف الإمامة وهو عام. عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج ٤، ان الناصبي شر من اليهودي، ح ١٩، ص ١١.

٤ - النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، الفاضل المقداد السيوري، الفصل السادس: في الإمامة وفيه مباحث، ص ٩٣.

٥ - ينظر: عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، ١٤ - النبوة لطف، ص ٤٩.

٦ - النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، الفاضل المقداد السيوري، الفصل السادس: في الإمامة وفيه مباحث، ص ٩٥.

كما ترى الشيعة الإمامية أن الإمامة عهد من الله إلى الأئمة ومما يدل على ذلك قول الإمام الصادق "عَنْ عَمْرِو بْنِ الْأَشْعَثِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «أَتَرُونَ الْمُوصِيَّ مَنْ أَوْصِيَ إِلَى مَنْ يُرِيدُ لَا وَاللَّهِ وَلَكِنْ عَهْدٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَ لِرَجُلٍ فَرَجُلٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ إِلَى صَاحِبِهِ»^(١).

ثم إن الإمامة محصورة في أولاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وأنها ثابتة في الأعقاب وأعقاب الأعقاب وأنها لا تعود في أخ ولا عم ولا غيرها من القرابات، بعد الإمامين الحسينين عليهم السلام.

وتجعل الشيعة الإمامية صفات وشروطاً للإمام، فالإمام يجب أن يكون معصوماً لأنه لو جاز عليه الخطأ لافتقر إلى إمام آخر يسدّده، كما أنه لو جاز عليه فعل الخطيئة فإن وجب الإنكار عليه سقط محله من القلوب^(٢).

الفصل الثاني: منهج القرآن الكريم في بيان الإمامة الإلهية

إن الذي يراجع الكتب الكلامية عند الفرقين وخصوصاً في موضوع الإمامة يجدها اكتفت بالفعل ورد الفعل بمعنى أن ما قام به علماء السنة هو الهجوم وصوغ إشكالات على الإمامة حسب ما يعتقد الشيعة وأكتفى علماء الإمامية إلى حد كبير بالدفاع عن الإمامة ولم يتصدوا لتعريف حقيقة الإمامة وشروطها وبيان منزلة الإمام التكوينية والتشريعية وإن كان الباحث يستطيع من خلال بعض كلماتهم فهم وتصوير هذه الحقيقة الكونية التي نطلق عليها اسم الإمامة.

إن الاكتفاء بدور الدفاع هو الذي رسم الحد الأدنى لهذا الموضوع العقائدي الحساس والخطير والذي يعتبر محورياً رئيساً في معتقدات الإمامية ويؤثر على كل

١- الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، باب أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد، ح ٢، ص ٢٧٨.

٢- النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد، ص ٤٠. (بتصرف).

المنظومة العقائدية عندهم. ومن هنا لا بد من اعتماد منهج آخر بين حقيقة الإمامة وهذا المنهج هو القرآن الكريم ولذا سنعمد المنهجية القرآنية في عرض مفهوم الإمامة.

أولاً: شرائط الإمامة^(١)

يبدأ هذا المنهج القرآني بالتعرّف على حقيقة الإمامة وشرائطها من خلال القرآن الكريم وبمعونة الروايات الواردة بهذا الخصوص مع قطع النظر عن المسؤوليات والوظائف المرتبطة بالإمامة والملقاة على عاتق الإمام.

إنّ اتباع هذا المنهج، يظهر لنا أنّ أهمّ مسائل الإمامة وشروطها تتلخّص في ما يلي:

- الإمامة عهد إلهي:

إنّ الإمامة عهد إلهي، وجعل ربّاني، ونصب منه سبحانه وتعالى وهذا صريح الآيات والروايات؛ قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(٣).

وفي الصحيح عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «... فالإمام هو المنتجب المرتضى والهادي المنتجى والقائم المرتجى اصطفاؤه الله بذلك واصطفاه على غيره في الذرّ حين ذراه وفي البرية حين برأه ظلاً قبل خلق نسمة عن يمين عرشه محبواً بالحكمة

١- ينظر: مناهج بحث الإمامة بين النظرية والتطبيق، السيد كمال الحيدري، الفصل الثاني: المنهج القرآني في

بحث الإمامة، ص ٢٣-٣٤.

٢- سورة البقرة، الآية ١٢٤.

٣- سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

٤- المنتجى صاحب السر، اصطفاؤه على غيره اختاره على شهود منه بحاله.

أَفِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ اخْتَارَهُ بِعِلْمِهِ وَانْتَجَبَهُ لَطْهَرِهِ بَقِيَّةً مِنْ آدَمَ ع وَخَيْرَةً مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ وَمُصْطَفَى مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَسَلَآلَةٍ مِنْ إِسْمَاعِيلَ وَصَفْوَةً مِنْ عِتْرَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ...»^(٢).

- عصمة الإمام:

إِنَّ الْإِمَامَ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا بِعَصْمَةٍ تَامَّةٍ عَلَى مَخْتَلَفِ الْمَسْتَوِيَّاتِ، وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَالرَّوَايَاتُ الْمَتَوَاتِرَةُ عَنِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٤)، وَمِنَ الرَّوَايَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى الْعَصْمَةِ حَدِيثُ الثَّقَلَيْنِ الْمَتَوَاتِرِ. وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَدْلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالرَّوَايَةِ.

- العلم اللدني للإمام المعصوم

إِنَّ الْإِمَامَ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ عِلْمٌ خَاصٌّ مِنْ غَيْرِ كَسَبٍ مُتَعَارَفٍ، وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(٥) فَالْيَقِينُ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْهِ الْإِمَامُ يَخْتَلِفُ عَنِ الْعِلْمِ الْمَتَعَارَفِ عِنْدَنَا.

- الإمامة دائمة ومستمرة:

إِنَّ الْإِمَامَةَ مُسْتَمِرَّةٌ وَدَائِمَةٌ لَا انْقِطَاعَ لَهَا، وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾^(٦)، وَالرَّوَايَاتُ الَّتِي أَبَدَتْ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ فَوْقَ حُدِّ الْإِحْصَاءِ، وَلَا أَدَلَّ مِنْ حَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ، الدَّالُّ عَلَى عَدَمِ افْتِرَاقِهِمَا حَتَّى يَرْدَا عَلَيْهِ الْحَوْضُ، وَهُوَ

١ - أي منعما عليه وهو حال مقدرة لظلال بقرينة قوله: في علم الغيب.

٢ - الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته، ح ٢، ص ٢٠٣.

٣ - سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

٤ - سورة النساء، الآية ٥٩.

٥ - سورة السجدة، الآية ٢٤.

٦ - سورة الزخرف، الآية ٢٨.

يكشف عن بقاء العترة إلى جنب الكتاب إلى يوم القيامة، فلا يخلو منهما زمان من الأزمنة.

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال السائل: قلت: "لأي شيء يحتاج إلى النبي والإمام؟ فقال: لبقاء العالم على صلاحه"^١.

ثانياً: أدوار ومهام الإمام

إن دور الإمامة التي تعتقد بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام يختلف اختلافاً جوهرياً عن دور الإمامة التي تنحصر في الخلافة والحكم، وذلك لأن هذا الاتجاه يرى أن للإمامة دوراً فوق دور القيادة والزعامة السياسية، وهو الدور الذي يبينه القرآن الكريم لإبراهيم الخليل عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، ولها مرتبة هي بتعبير الإمام الرضا عليه السلام "مرتبة ثالثة بعد النبوة والخلة وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره". وهذا الدور هو الدور الذي نصطلح عليه "الدور الوجودي".

وأما الدور التشريعي أو "المرجعية الدينية" و"القيادة السياسية" و"القدوة الصالحة"، فهي ثمرات ذلك الأصل الذي عبر عنه القرآن الكريم بـ "الشجرة الطيبة" التي ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ... ﴿^(٢).

والمستفاد من الآية أن الكلمة الطيبة كتلك الشجرة التي لها أصل في الأرض وفرع في السماء، ينتفع بها الأرض والسماء كلتا هاتين، وتصل ثمرتها إليهما معاً، وأنها سبب في اجتثاث الكلمة الخبيثة، وأن هذه الكلمة الطيبة تتمثل في الأنبياء والأئمة عليهم السلام على مرّ العصور والدهور.

١ - علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج ١، الباب - ١٠٣ - العلة التي من أجلها يحتاج إلى النبي والإمام، ص ١٢٣.

٢ - سورة إبراهيم، الآية ٢٤-٢٥.

فلا بد أن تكون هذه الكلمة باقية لئلا تختل وظيفتها في اجتثاث الكلمة الخبيثة.
فترشد الآية الكريمة إلى أمرين:
أحدهما: وجود الكلمة الطيبة دائماً.
والثاني: أن ثمرتها تعمّ النظام الكوني من الأرض والسماء، وهما من مقومات
عقيدة الشيعة في الإمام عليه السلام^(١).
وهكذا تتلخّص مهام وأدوار الإمامة في هذا المنهج بما يلي:

- ١- الدور الوجودي.
- ٢- الدور التشريعي.
- ٣- القيادة السياسية.
- ٤- القدوة الصالحة.

الفصل الثالث: الهداية الإيصالية للإمام المعصوم

- أنواع الهداية في القرآن الكريم:

لكي تتضح طبيعة هداية الأنبياء والأولياء عليهم السلام وبالأخص طبيعة هداية
الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام لا بد من تقديم مقدمة مختصرة حول
أنواع الهدايات ليتبين لنا الدور العظيم الذي يضطلع به الإمام المهدي عليه السلام في عصر
الغيبة.

فعندما نراجع الآيات القرآنية نجدها تحدثت عن عدة أنواع للهداية:

١ عمر الإمام المهدي، السيد علي عبد الأعلى السبزواري، ص ١٨.

الهداية الفطرية^(١):

ويقال لها الهداية الجبلية أيضاً: وهي الهداية بالفطرة التي فطر الله تعالى عليها كل الناس فالكل يؤمن بوجود الله تعالى بالفطرة. والله تعالى خلق كل مخلوق وهداه لطريقة معاشه ولا يستطيع أحد أن يدّعي أن الله تعالى لم يهده لطريقة معاشه فمرى الطيور تهاجر من بلد إلى آخر على شكل أسراب منتظمة في مواسم معينة فمن الذي هداها لطريقها؟ الله تعالى سبحانه وضع الموجّه في عقول هذه الطيور. قال تعالى ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾^(٢) أي أرشد إلى طبيعة الخلق والهداية الفطرية هي أن يعرف كل مخلوق كيف يسعى لرزقه وكيف يعرف ربه الإله الواحد.

ولكن المشكلة أن الهداية الفطرية هذه لا تعين المصداق ولا تحدّد الطريق، بل تجعل الإنسان طالباً للكمال، ومشدوداً لكمال لا متناه. فأیما مرحلة بلغها الإنسان من مراحل الكمال تراه يتخطاها لينشد مرحلة جديدة من دون أن يتوقف عند حدّ معين. بيد أن هذه الفطرة لا تعين ما هو هذا الكمال؛ كما أنها لا تعين للإنسان الطريق الذي يوصل إليه. من هنا ظهرت حاجتنا إلى الشرائع السماوية، وإلى الدين وإلى الأنبياء، إلى رسل مبشرين ومنذرين. فوظيفة النبي أن يأتي بهداية تشريعية، أي يقول: ينبغي لنا أن نفعل هذا ولا ينبغي أن نفعل ذاك^(٣). ومن هنا احتجنا إلى أنواع أخرى من الهدايات كما سنبين.

١ - هذه الهداية الفطرية يطلق عليها العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان تارة الهداية التكوينية، وتارة أخرى الهداية العامة الإلهية. ويقصد بالتكوينية هي ما يكون في أصل الخلقة والتكوين لا ما سيأتي من هداية تكوينية للإمام المعصوم فهي مصطلح آخر سيأتي شرحه.

٢ - سورة الأعلى، الآية ٣.

٣ - بحث حول الإمامة، السيد كمال الحيدري، ص ٤٥.

الهداية العقلية:

الهداية العقلية هي: "التي ندرك بها ما لا يقع تحت قدرة الحواس، ولا ينال بالإلهام وذلك مثل الحسن والقبح والعدل والظلم والتوافق والتضاد والتناقض وعدمه وما إلى ذلك"^(١). "وهي تتمثل في قوة يمن الله بها على هذا الإنسان، تدرك له الكثير من المعاني التي لا تنال بالحس الظاهري ولا الباطني، وربما كانت هذه المعاني نتيجة للمدركات الحسية أحياناً، أو تكون المدركات الحسية طريقاً إليها. وقد تخرج عن هذا وذاك"^(٢).

- الهداية النبوية - الإرشادية:

لما كانت لا الهداية الفطرة ولا الهداية العقلية قادرة على إراءة الطريق الموصل بالإنسان إلى كمالاته وسعادته، كان لا بد من هداية أخرى تقوم بهذا الدور، وهذه هي النبوة التي تأتي بالشرائع السماوية من عالم الغيب بواسطة الوحي، فترشد الإنسان الى الطريق الصحيح الذي ينبغي عليه سلوكه، للوصول إلى كمالاته وسعادته الحقيقية. وميزة هذه الهداية أنها لا تخطئ ولا تضل لأنها من عالم الغيب.

- الهداية التكوينية - الإيصالية (الإمام المعصوم):

الهداية الإيصالية تأتي بعد هداية النبوة أو هداية التشريع التي تأتي بعد هداية الفطرة والعقل كما تقدم.

وهذه الهداية التي يشير إليها القرآن الكريم يطلق عليها اسم الهداية التكوينية، يصنّف المحققون من علمائنا الهداية إلى قسمين؛ الأولى بمعنى إراءة الطريق. والهداية الثانية بمعنى الإيصال إلى المطلوب.

١ - تفسير سورة الفاتحة، السيد جعفر مرتضى العاملي، أنواع الهداية وأقسامها، ص ١٥٥.

٢ - تفسير سورة هل أتى، السيد جعفر مرتضى العاملي، ج ١، ص ٩٧.

وبمقدورنا أن نوضح المراد من هذين المفهومين من خلال المثال التالي: إذا ما سألك شخص عن طريق الوصول إلى مكان معين، فأمامك أسلوبان في إرشاده؛ الأول أن تقف عند أول الطريق وتقول: اذهب من هنا لتصل إلى هناك، وهكذا. وقد يصل مثل هذا الإنسان إلى المقصود وقد لا يصل. ولكن الأسلوب الثاني يتمثل في أن تأخذ بيده وتوصله إلى الكمال المطلوب بنفسك، ومن الواضح عندئذ أن الأسلوب الثاني لا يحتمل الخطأ أو الاشتباه، كما لا ينطوي على نقص أو عيب، لماذا؟ لأن المفروض أن الهادي (دليلك) يعرف الطريق جيداً، ومن ثم لا معنى أن تُخطئ الطريق أو تشبهه أو تضل ولا تصل إلى الهدف. هذا النمط من الهداية غير قابل للتخلف، ومن هنا نسميها بالهداية التكوينية، وسميت كذلك لأنها غير قابلة للتخلف، بخلاف الهداية التشريعية، فهي قد تتخلف. فمثلاً قد تقوم بدورك في هداية شخص ما، بيد أنه قد يستهدي بتلك الهداية وقد لا يستهدي^١.

فالهداية التكوينية على هذا البيان المختصر ليست إراءة للطريق فقط، وإنما إيصال في الطريق وسوق للكائنات إلى ما ينبغي لها من الكمال، فمن وفق للحق واختار الهدى في الهداية التشريعية، واختار الاقتداء بالإمام وأتباعه في أفعاله وأقواله، سوف ينال الهداية التكوينية، وسيسوقه الإمام إلى كماله حتماً، بأخذ يده وقيادته في طريق الحق والخير، ولذا تسمى: هداية إيصالية، أي: لا بد من إيصالها إلى المطلوب فلا يتخلف.

فهي تختلف عن الهداية الأولى المقتصرة على البيان والتعليم والإرشاد؛ فهذه تتضمن القيادة والإيصال والأخذ باليد، وإذا كان القائد معصوماً عن الخطأ، فسوف يكون الوصول إلى المطلوب حتماً، ولكن بعد أن يوفق المهتدي لاختيار هذا الطريق

١- بحث حول الإمامة، السيد كمال الحيدري، ص ٤٨.

بالسليم لقيادة الإمامة، فهي بالنتيجة لا تخرج عن اختيار العبد، فإذا اختار الحق وصل.
فهذه الهداية خاصة وليست عامة مثل سابقتها، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ
يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾^(١).

وعليه يمكن تعريف الإمامة على ضوء الهداية الإيصالية على الشكل
التالي:

الإمامة تعريفها: هي الهداية الإيصالية الملكوتية النابعة من العلم والقدرة، فالإمام هو
رابطة تكوينية بين الخالق والمخلوق فهو يشهد الأعمال ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُ
الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢)، فالمقربون لهم نوع من العلم الحضورى^(٣).

ويعرفها العلامة الطباطبائي أيضاً في كتاب مقالات تأسيسية^٤ على الشكل التالي: "إن
الإمام هو السائق للنفوس البشرية إلى لقاء الله وإلى المعاد حيث يسوق أعمالهم
ونفوسهم إلى الله تعالى، فيه معادهم وحشرهم ونشرهم حيث تشير الروايات
المستفيضة إلى ورود الإمام في كافة منازل الآخرة، وقد أشار القرآن إلى ذلك ﴿وَقُلْ
اغْمَلُوا فَيَسِيرَ إِلَى اللَّهِ عَمَلُكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ فهذه الآية تثبت للرسول الذي هو حي
في عالم الدنيا بأنه يشهد الأعمال وهي من سنخ ملكوتي والمؤمنون هم المعصومون
يشهدون العمال بمقتضى ﴿يَشْهَدُ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

- هداية بأمر الله

الامام يجب أن يكون إنساناً ذا يقين مكشوفاً له عالم الملكوت -متحققاً بكلمات
من الله سبحانه - والملكوت هو الوجه الباطن من وجهي هذا العالم، فقوله تعالى:

١ - سورة الأنعام، الآية ١٢٥.

٢ سورة المطففين، الآية ٢٠.

٣ الإمامة الإلهية، تقرير بحث الشيخ محمد السند لسيد بحر العلوم، ج ١، ص ٢٧٨.

٤ - نقلاً عن الإمامة الإلهية، تقرير بحث الشيخ محمد السند لسيد بحر العلوم، ج ١، ص ٢٧٨.

يهدون بأمرنا، يدلّ دلالة واضحة على أنّ كلّ ما يتعلق به أمر الهداية - وهو القلوب والأعمال - فلالإمام باطنه وحقيقته، ووجهه الأمري حاضر عنده غير غائب عنه، ومن المعلوم أنّ القلوب والأعمال كسائر الأشياء في كونها ذات وجهين، فالإمام يحضر عنده ويلحق به أعمال العباد، خيرها وشرها، وهو المهيمن على السيلين جميعاً، سبيل السعادة وسبيل الشقاوة. وقال تعالى أيضاً: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾^١، والمراد بالإمام هو إمام الحقّ دون كتاب الأعمال، على ما يظن من ظاهرها، فالإمام هو الذي يسوق الناس إلى الله سبحانه يوم تبلى السرائر، كما أنّه يسوقهم إليه في ظاهر هذه الحياة الدنيا وباطنها، والآية مع ذلك تفيد أنّ الإمام لا يخلو عنه زمان من الأزمنة، وعصر من الأعصار لمكان قوله تعالى "كل أناس" (٢).

وتقدم أنّ الهداية المجعولة من شؤون الإمامة ليست هي بمعنى إراءة الطريق لأن الله سبحانه جعل إبراهيم عليه السلام إماماً بعد ما جعله نبياً ولا تنفك النبوة عن الهداية بمعنى إراءة الطريق فلا يبقى للإمامة إلا الهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب وهي نوع تصرف تكويني في النفوس بتسييرها في سير الكمال ونقلها من موقف معنوي إلى موقف آخر.

وإذ كانت تصرفاً تكوينياً وعملاً باطنياً فالمراد بالأمر الذي تكون به الهداية ليس هو الأمر التشريعي الاعتباري بل ما يفسره في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فهو الفيوضات المعنوية والمقامات الباطنية التي يهتدي إليها المؤمنون بأعمالهم الصالحة ويتلبسون بها رحمة من ربهم.

وإذ كان الإمام يهdy بالأمر -اللباء للسيبة أو الآلة- فهو متلبس به أولاً ومنه يتشتر في الناس على اختلاف مقاماتهم فالإمام هو الرابط بين الناس وبين ربهم في إعطاء

١ - سورة الإسراء، الآية ٧١.

٢ - تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ١، الإمامة وإثبات أمهات مسائلها. (بحث قرآني)، ص ٢٧٣.

الفيوضات الباطنية وأخذها كما أنّ النبي رابط بين الناس وبين ربهم في أخذ الفيوضات الظاهرية وهي الشرائع الإلهية تنزل بالوحي على النبي وتنتشر منه وتوسطه إلى الناس وفيهم، والامام دليل هاد للنفوس إلى مقاماتها كما أنّ النبي دليل يهدي الناس إلى الاعتقادات الحقّة والأعمال الصالحة، وربما تجتمع النبوة والإمامة كما في إبراهيم عليه السلام وابنيه عليه السلام^(١).

الإمام المعصوم وليلة القدر^(٢)

إن ليلة القدر هي الليلة المعروفة أي التي ظرف وجودها شهر رمضان المبارك بغض النظر عن تحديدها بالدقة. وهناك ليالٍ تماثل بالشرف والفضيلة ليلة القدر كليلة النصف من شعبان كما هو صريح بعض الروايات. وهي ليلة قدر أهل البيت عليه السلام.

والفكرة التي نريد شرحها هي طبيعة العلاقة بين الإمام المهدي عليه السلام بشكل خاص والإمام المعصوم بشكل عام وبين ليلة القدر.

والأمر الأساس الذي لا بد من معرفته هو أنّ ليلة القدر مرتبطة بالولاية بشكل غير قابل للانفكاك. وهذا المعنى مستفاد حسب الروايات من قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾^(٣)، وتنزل فعل مضارع يدل على الاستمرار.. في كل ليلة قدر تنزل الملائكة. وقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾؛ معنى ذلك أن هنالك جهة تستقبل الأسرار والمقدرات الإلهية في كل ليلة قدر. ففي زمان النبي صلى الله عليه وآله، تنزل على النبي. وفي زمان الوصي عليه السلام، تنزل على الوصي. ومن هنا، فإن أجل الأعمال في

١ - تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ١٤، ص ٣٠٤. (بتصرف).

٢ - راجع: الإمامة الإلهية، الشيخ محمد السند، الفصل السابع: ليلة القدر حقيقة الإمامة (أس المعرفة)، ص ٣ وما بعدها.

٣ - سورة القدر، الآية ٤.

ليلة القدر أن نلتفت إلى ذلك القلب، وإلى تلك الجهة التي تتلقى هذه المقدرات، وهذه المكتوبات إلى سنة كاملة: سعادةً، وشقاءً. ألا وهو ذلك القلب الذي يحمل آلام الأمة، ذلك الإمام المنسي!

ورد في تفسير علي بن إبراهيم، في معنى السورة كما نقل صاحب البرهان. قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ فهو القرآن أنزل إلى البيت المعمور في ليلة القدر جملة واحدة، وعلى رسول الله ﷺ في طول [ثلاث و] عشرين سنة ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ومعنى ليلة القدر أن الله تعالى يقدر فيها الآجال والأرزاق وكل أمر يحدث من موت أو حياة أو خصب أو جدد أو خير أو شر، كما قال الله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ إلى سنة.

قوله: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا﴾ قال: تنزل الملائكة وروح القدس على إمام الزمان ﷺ، ويدفعون إليه ما قد كتبوه من هذه الأمور.

قوله: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، قال: رأى رسول الله ﷺ في نومه كأن قرده يصعدون منبره فغمه ذلك، فأنزل الله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ تملكه بنو أمية ليس فيها ليلة القدر. قوله: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ﴾ قال: تحية يحيى بها الإمام إلى أن يطلع الفجر. قيل لأبي جعفر عليه السلام: تعرفون ليلة القدر؟ فقال: "وكيف لا نعرف ليلة القدر! والملائكة تطوف بنا فيها!"^(١).

وهناك عدة أبحاث متعلقة بليلة القدر لا يمكننا التعرض لها في هذا البحث ولكن لا بد من توضيحها ولو بشكل مختصر حتى يتضح علاقة هذه الليلة بالإمام المعصوم ومن هذه النقاط مايلي:

١- أجمع المفسرون على أن المراد إنا أنزلنا القرآن في ليلة القدر، ولكنه تعالى ترك التصريح بالذكر؛ لأن هذا التركيب يدل على عظم القرآن.

١- البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ج ٥، ح ١١٧٩٣ / [٣٢]، ص ٧١٥.

- ٢- للقرآن نزولان: دفعي وتدرجي.
- ٣- اختلفوا في سبب تسميتها بليلة القدر ومن وجوه التسمية إنها ليلة تقدير الأمور والأحكام. وقيل أن المراد إظهار تلك المقادير للملائكة في تلك الليلة، بأن يكتبها في اللوح المحفوظ. وقيل سميت ليلة القدر لأنها الليلة التي يحكم الله فيها ويقضي بما يكون في السنة بأجمعها من كل أمر .
- ٤- ليلة القدر باقية في كل عام. وليست مرتبطة فقط بنزول القرآن لمرة واحدة.
- ٥- إن كلمة تنزل تفيد المرة بعد المرة.
- ٦- حسب قول الأكثر من المفسرين أن الملائكة ينزلون إلى الأرض، وهو الأوجه؛ لأن الغرض هو الترغيب في إحياء هذه الليلة.
- ٧- ذكروا في الروح أقوالاً: أصحها أن الروح هاهنا جبرئيل، وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه، كأنه تعالى يقول: الملائكة في كفة والروح في كفة. وإذا كان النازل هو جبرئيل عليه السلام كل عام، فعلى من ينتزل جبرئيل عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة!!!
- ٨- الروايات في كتب العامة دلت على دوام ليلة القدر في كل عام إلى يوم القيامة.
- فقد روى عبد الرزاق الصنعاني في (المصنف)، بسنده عن مولى معاوية، قال: "قلت لأبي هريرة: زعموا أن ليلة القدر قد رُفعت، قال: كذب من قال كذلك، قلت: فهي كل شهر رمضان استقبله؟ قال: نعم.. الحديث".^١

١- المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ٣، باب الساعة في يوم الجمعة، ح ٥٥٨٦، ص ٢٦٦.

٩- في روايات العامة أيضاً ما يدل أن النزول في ليلة القدر وحي للأنبياء، واستمراره بعد الأنبياء روي في باب ذكر دوام ليلة القدر في كل رمضان إلى قيام الساعة، ونفي انقطاعها بنفي الأنبياء.

وروى النسائي والقسطلاني والهيثمي وابن حجر في فتح الباري وابن كثير في تفسيره حديث أبي ذر في ليلة القدر قال: "يا رسول الله أتكون مع الأنبياء فإذا ماتوا رُفعت؟ قال: بل هي باقية".^١

١٠- الروايات عند العامة مطابقة لما يأتي من الروايات عند أهل البيت عليهم السلام، من عدة وجوه، أهمها:

أولاً: ليلة القدر كانت من لدن آدم عليه السلام، واستمرت إلى النبي الخاتم عليه السلام، وهي مستمرة إلى يوم القيامة نزولاً على خلفاء النبي الاثني عشر. وثانياً: إن هذا الروح النازل في ليلة القدر هو قناة ارتباط الأنبياء والأوصياء مع الغيب.

وثالثاً: مما يدل على عموم الخلافة الإلهية: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) من لدن آدم وفي أوصياء كل نبي حتى أوصياء النبي الخاتم، وأن هذه السفارة الإلهية لم تنزل متصلة ما استمر بنو آدم في العيش على الأرض.

١١- استمرار نزول باطن القرآن في ليلة القدر إلى يوم القيامة.

روى الطبراني في المعجم الكبير بسنده: "حدثنا أحمد بن رشد بن، ثنا أبو صالح الحراني سنة ثلاثة وعشرين ومئتين، حدثنا حيان بن عبيد الله بن زهير المصري أبو زهير منذ ستين سنة، قال: سألت الضحاك بن مزاحم عن قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي

١- فتح الباري، ابن حجر، ج ٤، باب تحرى ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، ص ٢٢٧.

٢- سورة البقرة، الآية ٣٠.

الأرضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ^(١)،
وعن قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢)، وعن قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ
بِقَدَرٍ﴾^(٣)، فقال: قال ابن عباس: إن الله عز وجل خلق العرش فاستوى عليه، ثم خلق القلم
فأمره ليجري بإذنه، وعظم القلم ما بين السماء والأرض، فقال القلم: بم يا رب أجري،
قال: بما أنا خالق وكائن في خلقي من مطر أو نبات أو نفس أو أثر، يعني به العمل أو
الرزق أو الأجل، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فأثبتته الله في الكتاب
المكنون عنده تحت العرش. وأما قوله ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فإن الله
وكل ملائكته يستنسخون من ذلك الكتاب كل عام في رمضان ليلة القدر ما يكون في
الأرض من حدث إلى مثلها من السنة المقبلة، فيعارضون به حفظة الله على العباد كل
عشية خميس، فيجدون ما رفع الحفظة موافق لما في كتابهم ذلك، ليس فيه زيادة ولا
نقصان^(٤).

عرض الأعمال على إمام الزمان ﷺ

يقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٥).
المؤمن عندما يشعر برقابة الله تبارك وتعالى وبالإضافة إلى ذلك برقابة إمامه عليه السلام
فإن ذلك سيزيد بعده ونفوره عن المعصية. فكلما ازدادات معرفتنا بمراقبة الإمام وأن
أعمالنا تعرض عليه يشاهدها ويراهها ويعرف سيئها وحسنها زاد بعدنا عن المعصية.

١ - سورة الحديد، الآية ٢٢.

٢ - سورة الجاثية، الآية ٢٩.

٣ - سورة القمر، الآية ٤٩.

٤ - المعجم الكبير للطبراني، ج ١٠، ح ١٠٥٩٥، ص ٢٤٧.

٥ - سورة التوبة، الآية ١٠٥.

يبدو أن فكرة "عرض الأعمال عليه ﷺ متفق عليه بين الأمة إلا أن في وقت العرض وتفصيله خلاف بيننا وبينهم" (١).

وهناك مجموعة من الروايات دلت بشكل واضح على أن الأعمال تعرض على الإمام ومنها:

روي عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام "أن رسول الله ﷺ سئل عن صَوْمَ خَمِيسَيْنِ بَيْنَهُمَا أَرْبَعَاءُ فَقَالَ أَمَّا الْخَمِيسُ فَيَوْمٌ تُعْرَضُ فِيهِ الْأَعْمَالُ وَأَمَّا الْأَرْبَعَاءُ فَيَوْمٌ خُلِقَتْ فِيهِ النَّارُ وَأَمَّا الصَّوْمُ فَجَنَّةٌ مِنَ النَّارِ" (٢).

عن ابن أبي عمير عن محمد بن أبي حمزة وغير واحد عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ "إِنَّ لَكُمْ فِي حَيَاتِي خَيْرًا وَفِي مَمَاتِي خَيْرًا قَالَ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَّا حَيَاتُكَ فَقَدْ عَلِمْنَا فَمَا لَنَا فِي وَفَاتِكَ فَقَالَ أَمَّا فِي حَيَاتِي فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ وَأَمَّا فِي مَمَاتِي فَتُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ فَأَسْتَغْفِرُ لَكُمْ" (٣).

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْمَالُ الْعِبَادِ كُلِّ صَبَاحٍ أَبْرَارُهَا وَفَجَّارُهَا فَاحْذَرُوهَا وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿اعْمَلُوا فَسِيرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ وَسَكَتَ (٤).

عن يعقوب بن شعيب قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿اعْمَلُوا فَسِيرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ قَالَ هُمُ الْأُئِمَّةُ (٥).

١ - شرح أصول الكافي، مؤلفي محمد صالح المازندراني، ج ١٢، ص ٣٥٠.

٢ - الكافي، الكليني، ج ٤، باب فضل صوم شعبان وصلته برضا وصيام ثلاثة أيام في كل شهر، ح ١١، ص ٩٤.

٣ - الكافي، الشيخ الكليني، ج ٨، عرض أعمال الأمة لرسول الله ﷺ واستغفاره لهم، ح ٣٦١، ص ٢٥٤.

٤ - الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، باب عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليه السلام، ح ١، ص ٢١٩.

٥ - الكافي، الكليني، ج ١، باب عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليه السلام، ح ٢، ص ٢١٩.

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى عَنْ سَمَاعَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ مَا لَكُمْ تَسُوؤُونَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ رَجُلٌ كَيْفَ تَسُوؤُهُ فَقَالَ أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَى فِيهَا مَعْصِيَةً سَاءَ ذَلِكَ فَلَا تَسُوؤُوا رَسُولَ اللَّهِ وَسُوؤُهُ ^(١).

النتيجة:

إن الإمام المهدي عليه السلام هادٍ يهدي بأمر الله تعالى الدفعي التكويني الذي لا يخضع للزمان والمكان يقول العلامة الطباطبائي رحمته الله: "فوصفها [أي الإمامة] بالهداية وصف تعريف، ثم قيدها بالأمر، فبين أن الإمامة ليست مطلق الهداية، بل هي الهداية التي تقع بأمر الله، وهذا الأمر هو الذي بين حقيقته في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وقوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾، والأمر الإلهي وهو الذي تسميه الآية المذكورة بالملكوت وجه آخر للخلق، يواجهون به الله سبحانه، طاهر مطهر من قيود الزمان والمكان، خال من التغير والتبدل وهو المراد بكلمة "كن" الذي ليس إلا وجود الشيء العيني، وهو قبال الخلق الذي هو وجه آخر من وجهي الأشياء فيه التغير والتدرج والانطباق على قوانين الحركة والزمان" ^(٢).

إن الأعمال تعرض على الإمام يومي الاثنين والخميس، إذ يكشف الغطاء على أعمال الأمة في حضرة الإمام. كما ورد في بعض الروايات. كما تعرض الأعمال عليه بشكل دائم مستمر، كما ورد التعبير عنه في روايات أخرى بلفظ ليلة أو كل صباح. وسبب هذا الاطلاع على الأعمال في مسألة عرض الأعمال كما يبينه بعض الأعلام هو شبيه بعلاقة أرواحنا بأبداننا فكما أن أرواحنا محيطة علماً بأبداننا وتدرك ما يحصل

١ - الكافي، الكليني، ج ١، باب عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، ح ٣، ص ٢١٩.

٢ - تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ١، الإمامة وإثبات أمهات مسائلها. (بحث قرآني)، ص ٢٧٢.

لها، فكذلك الإمام يحيط علماً بما يحصل لأرواحنا، وكأنه داخل في أرواحنا. ويمكن استفادة هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^١ فالإنسان الكامل كالرسول الأعظم ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأولى بأرواحهم، لمكان تفوقه الوجودي على أرواحهم؛ فتكون أرواح الأمة بمنزلة البدن للروح النبوية. وإذا كانت حقيقة الإمامة هي خلافة الله والرسول ﷺ كما في رواية الإمام الرضا ﷺ "الإمامة خلافة الله والرسول ومقام أمير المؤمنين..." (الحديث) "كان كل كمال مشترك بين مقام النبوة والولاية ثابتاً للإمام بالضرورة. وعليه فإن مقام الأولوية الوارد في الآية الكريمة الثابت للنبي ﷺ بالأصالة لمكان تفوقه الوجودي ثابت بالتبع للإمام المعصوم بما هو خليفة لرسول الله ﷺ^(٢).

١ سورة الأحزاب، الآية ٦.

٢- الإمام المهدي الموجود الموعود، الشيخ عبد الله الجوادى الآمل، ص ٨٥-٨٦.

الوظائف التربوية الأسرية استناداً إلى تحليل مضمون الأدعية الرضوية

□ محمد عترة دوست (*)

□ ترجمة: ياسر طفيلي

الخلاصة

هدف الدراسة التي بين يدينا هو تبين المكونات المطلوبة للأسرة ووظائفها التربوية في سبيل تطوّر وكمال الإنسان وذلك من منظر الإمام الرضا عليه السلام. تمّ استخدام أسلوب "تحليل المضمون" في هذه الدراسة، وذلك من خلال المنهجين الكمي والكيفي، ويشمل المجتمع الإحصائي في هذه الدراسة ١٠٤ دعاء من كتاب "الصحيفة الرضوية الجامعة". ويقصد القيام بمرحلة التحليل الكمي تمت دراسة كافة الأدعية استناداً إلى مواضيع الأسرة، وتمّ استخراج كافة القضايا الأساسية والفرعية المتعلقة بموضوع الدراسة وتحليلها. ما تمّ استنتاجه في هذه الدراسة يُظهر أنّ أدعية الإمام الرضا عليه السلام المتعلقة بموضوع البحث يمكن تقسيمها إلى أربعة محاور، "التحفيز على التفكير في المسائل الأخلاقية"، "تعليم المحبة والعطف"، "تعليم الحقوق

(*) دكتوراه تخصصية في علوم القرآن والحديث من جامعة الإمام الصادق عليه السلام في طهران - إيران.

Dr.etratdost@gmail.com

الاجتماعية"، "تجسيد التعاليم التربوية مع التعريف بأهل البيت عليه السلام على أنهم هم النموذج المناسب للأسرة". كما تُظهر النتائج أنَّ التوجُّه العام لهذه الأدعية تعليمي، وأهم موضوع تم التطرق إليه في هذه الأدعية هو "كيان الأسرة" ومكانتها التربوية في المجتمع الإسلامي وعرض أساليب التربية ووظائفها.

الكلمات المفتاحية: الوظائف التربوية- كيان الأسرة - الإمام الرضا عليه السلام - الأدعية الرضوية.

عرض الموضوع

الأسرة، هي مركز مقدس يتأسس نتيجة ارتباط إنسانين متخالفين في الجنس، ومع وجود الأطفال وقدمهم إلى الحياة يزداد تكامل هذا المركز. إنَّ الأسرة هي إحدى أوليات الأنظمة العامة والعالمية التي تهدف إلى تلبية الاحتياجات الحياتية والعاطفية للإنسان وتكرس بقاء المجتمعات، فهي أمر مثالي ينبغي على الأسر الإسلامية أن يعطوه هويته ويثبتوا للعالم صلاحية النموذج الإسلامي لتربية الأشخاص الصالحين.

يُعتبر الدين الإسلامي الأسرة إحدى أهمِّ المكونات الاجتماعية القائمة على الإلفة والعاطفة والمؤازرة، كما يعتبرها من أكثر المكونات محبوبية عند الله تعالى. حيث تأسست العلاقات فيها على المودة والرحمة وقد شدّد الإسلام على أهمية الحفاظ على الحميمية في الأسرة. "تضمن التعاليم الإسلامية سعادة الزوجين في ظل عقد الزواج مع أخذ معايير اختيار الزوج بعين الاعتبار. يضع الإسلام الحياة الأسرية على أساس الحقوق والمسؤوليات حيث تكون وظيفة كل فرد معلومة ومحددة، في الوقت الذي لا بد من تقديم التضحيات من قبل الزوجين للحفاظ على الحميمية في الأسرة وثباتها"^(١).

يقول العلامة الطباطبائي ضمن تطرقه للآيات التي تتحدث عن الحياة الأسرية: "خلق الذكر والأنثى بطبيعتهما الجسدية يكمل بعضهما الآخر. وكل واحد منهما على حدى ناقص ويحتاج إلى الآخر. هذا النقص وهذه الحاجة هما ما يدفعان الرجل والمرأة إلى الحركة تجاه بعضهما، وبهذه الطريقة يصلان إلى السكينة والطمأنينة".^١

توجد في اللغة العربية كلمات معادلة لكلمة الأسرة من قبيل العائلة وأهل البيت، كما وأنها جاءت بمعنى العشيرة وأقارب الرجل^(٢)، والأشخاص القاطنون في بيت الرجل^٣، وجاءت أيضاً بمعنى الدرع الحديدي^(٤).

الأسرة في المصطلح اللغوي تعني "مجموعة العلاقات بين الوالدين والأبناء، أعضاء المنزل، الأحفاد، مجموعة من الأفراد الذين لديهم صفات مشتركة، مجموعة من النباتات أو الحيوانات المرتبطة ببعضها"^(٥) وأحياناً "مجموعة تشمل أحد الأبوين أو كلاهما بالإضافة إلى الأولاد وباقي أفراد الأسرة"^(٦).

كلمة Family مُشتقة من الكلمة اليونانية "Familia" و "Famulus" وتأتي بمعنى المستخدم والعبد، وتطلق الكلمة على الاتحاد الأسري الذي يشمل الأفراد والعبيد. بل وشملت هذه الكلمة في بعض الثقافات مُتعلقات المنزل أيضاً. وذلك لأن عدد الأشخاص المساهمين في مسألة الانتاج كان أمراً مهماً يغطي على رابطة الدم في الاتحاد الأسري^(٧). كما تعتبر العائلة في علم الاجتماع نوعاً من الأسر التي تتشكل من شخصين على الأقل ونواة تشكيلها هو الزواج.

١- الطباطبائي، السيد محمد حسين، تفسير الميزان، ١٣٧٤ هـ ش، مجلد ٤، ص ٢٨٥.

٢- ابن منظور، لسان العرب، ١٤٠٥ هـ، مجلد ١١، ص ٢٥٩.

٣- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ١٤١٠ هـ، مجلد ٤، ص ٨٩.

٤- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ١٣٨٥ هـ، مجلد ٦، ص ٣٥٩.

٥- Pearsal، ٢٠٠١، Page٣٤٥.

٦- Frankena، ٢٠٠٠، Page٥٥٤.

٧- إعزازي، ١٣٧٦ هـ ش، ص ١٠.

لقد تولّى الله سبحانه وتعالى -وتحت مُسمّى ربّ العالمين- تربية كلّ مخلوق بنفسه، حيث يقوم بتوجيه كافة المخلوقات بمختلف طبائعهم إلى الكمال الذي يناسبهم ويُفيض عليهم كلٌّ بقدر قدرته وقابليته. لكنه قد منّ على الإنسان بأن أوكل إليه جزءاً من تربية النفس وأفسح المجال له للاختيار^(١) بين الخير والشر. لقد قام الله -على أساس نظامه التربوي- بخلق الإنسان من عصارة الوجود وتكريمه^(٢) وإعطائه القدرات والإمكانات ليصل إلى الكمال الإنساني في ظل عبودية وعبادة الله^(٣). وبشكل عام يوجد العديد من الأساليب التربوية من ضمنها الأساليب الأخلاقية والعرفانية والفلسفية والتجريبية، ولكلّ أسلوب وظائفه الخاصة.

في الأسلوب الأخلاقي، ومن أجل إبعاد الناس عن الصفات السيئة وتقريبهم من الفضائل، يتمّ دراسة الصفات الحسنة والسيئة واحدةً واحدة. وبالاستناد إلى الآيات القرآنية والأحاديث الإسلامية، يتمّ التركيز على الإيجابيات والسلبيات لهذه الصفات وبالأخصّ العواقب الناجمة عنها في الآخرة (إن كانت العواقب اللامتنهاية هي العذاب في جهنم أو التمتع في الفردوس). بالإضافة إلى أنّ كلّ واحدة من هذه الصفات تتصف بواحدة من صفات أحكام الدين الخمسة، ومن خلال هذا التقسيم تدخل في دائرة الأحكام والمسائل الفقهية وتصبح الحدود العملية لهذه الصفات تحت المراقبة. في الوقت الذي كانت الجوانب النفسية غير ذات أهميّة ولم يتمّ الالتفات إليها، حتى أنه كان يتمّ التغاضي عنها^(٤).

١- ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان الآية: ٣]

٢- ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [سورة الإسراء الآية: ٧٠]

٣- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: الآية: ٥٦]

٤- الأنصاري، ١٣٧١ هـ، ص ١٩٨.

وأما في الأسلوب العرفاني، فإنّ التركيز الأساس يكون على تنقية الداخل وقطع جذور الصفات السيئة وخلق الفضائل الإنسانية عبر معرفة النفس والله والانقطاع الكامل عن غيره، هذا بدل الالتفات إلى كلّ صفة بنفسها. وفي هذا الأسلوب يتمّ التركيز على أصل الكمال الإنساني وهو معرفة النفس والله قبل التّطرق إلى النتائج الأخروية، وذلك بالإنكفاء على عنصر الحبّ والعشق لمبدأ الوجود.

وأما في الأسلوب الفلسفي، فيتمّ مواجهة الرذائل الأخلاقية وتحقيق الكرامة الإنسانية عبر آلة العقل ومن خلال التفكّر في سيئات الأفعال وحسناتها. وبما أنّ الصفات الحسنة من الأمور الوجودية ومن آثار الوجود، والصفات السيئة أمور عدمية، فإنّ الوجود خير محض ويستحق أن يسير الإنسان باتجاهه. وكلما استطاع الإنسان أن يتعد عن العدم ويُقرّب نفسه من الوجود أكثر فإنّه سيصبح كاملاً أكثر^(١).

وفي النهاية يجب ألا ننسى الأسلوب التجريبي وهو الأسلوب الذي يتم طرحه في عصرنا الحالي كأسلوب جديد، ويتولّى علماء النفس والقائمون على مسائل التربية والتعليم الترويج له. "في هذه الأسلوب يتمّ التركيز على الضرر الجسدي ورفاهية الجسد والنكسات الاجتماعية، ويلعب الإحصاء واستخلاص النماذج دوراً محورياً في هذا الأسلوب"^(٢).

على الرّغم من القيام بالعديد من الدراسات حول الأساليب التربوية التي استخدمها الأئمة عليهم السلام، يبدو أنه لم يتم القيام بدراسة موسّعة حول الوسيلة الثقافية والدعائية المسماة بالدّعاء وبحث فاعليتها في المجال التربوي، ولم يتم إدخال هذا الأسلوب في مجال المدارس التربوية. هذا في وقت نرى أنّ لغة الأدعية تشمل كافّة هذه الأساليب بمختلف مشاربها. لأنّه في الدّعاء تمّت الإشارة إلى النتائج الأخروية الثواب والعقاب

١- الأنصاري، ١٣٧١ هـش، ص ٢٠٣.

٢- حسيني دهميري، ١٣٧٠ هـش، ص ٥٧.

المرتّب على الأخلاق والسلوك، وكذلك عامل الحُبِّ والأنس مع الله والحثّ على معرفة النفس والعرفان الإلهي، وكذا التركيز على حسن وسوء الأعمال وآثارها الاجتماعية والتّبعات المترتبة عليها في الحياة الدنيا. ومن خلال هذا التركيب يتم توجيه السالك، بقوة كاملة، نحو الفضائل وإبعاده عن الرذائل.

إنّ الإمام الخميني قده، وكمّتع لطريق ومنهج أهل البيت عليهم السلام التربوي في المجتمع الإسلامي، يذكّر أنّ الدّعاء أحد أهم العناصر المؤثرة في إيجاد التغيير في الإنسان حيث يقول: "أي شيء تريدونه موجود في هذه الأدعية. لسان الدّعاء يختلف عن اللسان الذي يتحدث عن الأحكام. لغة الأدعية تختلف عن لغة الفلسفة، تختلف عن لغة العرفان العملي. لغة أخرى أرفع شأنًا.... لغة مؤثرة وتبعث على التغيير"^(١).

على هذا الأساس يمكن تسمية أسلوب الدّعاء بـ "المنهج الإسلامي" الذي يسعى بلغته الخاصة، المؤثرة والملموسة في الوقت نفسه أن يتطرّق إلى تربية الإنسان وأن يقوم بتجذير أسلوب الحياة الإسلامي في المجتمع، حيث نشهد تجلّي ذلك في الأدعية الواصلة من الأئمة المعصومين عليهم السلام. وفي تنمة هذه الدراسة سنقوم بتحليل مضمون أدعية الإمام الرضا عليه السلام ومن خلال النتائج الحاصلة منها، سنقوم بتعريف النماذج التربوية المستخدمة من قبل الإمام في هذه الطريقة التربوية. أيضا سنقوم باستنتاج دور ووظائف وأساليب التربية الأسرية وفقا لتعاليم الإمام عليه السلام. لأنه عليه السلام كان واحداً من العلماء والمنظرين البارزين القلائل في مجال التعليم والتربية الإسلاميين، وتعاليمه السلوكية والكلامية تُعدّ مشعلاً في طريق الأسر وبقية المريّين من أجل إبعادهم عن الانحراف واكتساب الفضائل.

١- الخميني، ١٣٧٨ هـش، ج ١٩، ص ٢١١.

من بين أهم الكتب التي اعتنت بتجميع كافة الأدعية المنقولة عن الإمام الرضا عليه السلام كتاب الصحيفة الرضوية الجامعة، الذي تولى جمعه وتصحيحه الباحث الجليل "السيد محمد باقر الأبطحي الأصفهاني". حيث قام بعد سنوات من البحث والتدقيق في مصادر الحديث ومقارنة النسخ الخطية مع بعضها - بجمع وتصنيف هذه الأدعية وقد ذكر مصادره في نهاية الكتاب^(١).

تهدف هذه المقالة، عبر دراسة مضامين هذه الأدعية القيمة - التي سنسميها اختصاراً من الآن فصاعداً بالأدعية الرضوية - وعبر استخدام طريقة علمية تتمحور حول النصّ تسمى بطريقة تحليل المضمون^(٢)، إلى إلقاء نظرة شاملة على الجو الغالب في هذه الأدعية ومن ثمّ تحليل العبارات الموجودة في هذه الأدعية وخاصة العبارات التربوية فيها التي تتحدث عن كيان الأسرة.

طريقة التحقيق

تم اعتماد أسلوب تحليل المضمون في هذه المقالة بهدف تبين العناصر المستخدمة في الأدعية الرضوية بشكل دقيق، وهو الأسلوب الرائج من أساليب تحليل المعطيات الكيفية. وعلى الرغم من التشابه في الاستخدام؛ فإنّ له مبنى تحليلياً مختلفاً. "المهارات الضرورية للقيام بهذا التحقيق الكيفي هي: الابتعاد عن الموضوع والتحليل النقدي للظروف، تحديد الأحكام المسبقة وتجنّبها، الحصول على معلومات معتبرة وموثوقة، والتفكير الانتراعي"^(٣).

١ - أبطحي الأصفهاني، ١٣٧٨ هـ ش، ص ١٥٠-٢١١.

في هذه الطريقة، يتم طرح المضمون الواضح والرسائل بشكل منظم، لذلك يمكن اعتبار هذه الطريقة طريقة تبديل البيانات الكيفية إلى بيانات كميّة^(١).

أهم وظيفة لتحليل المضمون هي توصيف خصائص الرسالة. الوظيفة الأخرى هي الاستنباط حول المرسلين وأسباب وتبعات ذلك. كما يتم الاستعانة بتحليل المضمون لاستنباط الجوانب الثقافية للرسالة والتغيرات الثقافية. تسمى طريقة تحليل المضمون - في بعض الأحيان - فن "الاستبيان العكسي"^(٢). الاستبيان مجهول والهدف الضمني هو اكتشاف هذا الاستبيان بناءً على الأجوبة التي حصلنا عليها مسبقاً من خلال الأخبار والمقالات والقصص التي تم عرضها، وبعبارة أخرى يتم تحليل الوثائق الكلامية في هذه الطريقة وكأنها إجابات على تساؤلات ضمن هذا الاستبيان^(٣).

المجتمع الإحصائي في هذا البحث هو "١٠٤" دعاء موجودة في كتاب الصحيفة الرضوية المعروف بالأدعية الرضويّة. وتجدر الإشارة إلى أن نتائج التحليل المستخرجة من هذه الأدعية قد تم إدراجها في جدول كالموجود في الأسفل.

السطر	نص الدعاء	الإطار البياني	التوجه	نقطة التركيز	الترميز

١- كريندورف، ١٣٧٨ هـش، ص ٣٦.

٢- Inverse Questionnaire

٣- عزتي، ١٣٧٦ هـش، ص ٧٤؛ فيروزان، ١٣٦٠ هـش، ص ٢١١.

بعد مطالعة الأنواع المختلفة من فنون تحليل المضمون التي تمّ الحديث عنها في مختلف المصادر، تمّ الاستعانة بفنّ تحليل المضمون بناءً لـ "مقياس الجملة"، بالطريقتين الكميّة والكيفيّة. وبناء عليه، تمّ إدراج جداول تحليل المضمون ومن ثم استخراج القوالب البيانية والتوجهات ونقاط التركيز في كل جملة من أدعية الإمام الرضا عليه السلام^(١).

نتائج الدراسة

إن دور الأسرة في تربية جيل مزدهر ونامي أمرٌ لا يمكن إنكاره، وتعتبر دراسة تعاليم الإمام الرضا عليه السلام للحصول على أساليب تعيننا في التعليم والتربية في هذا الكيان القيم من الاحتياجات الضرورية للمرئيين. وبعد دراسة أوليّة عن الأسرة في الآثار الباهرة للإمام الرضا عليه السلام، تتبيّن أهميّة هذا الكيان المقدّس وأهميّة الاستلهام من روابط المحبة الموجودة فيه في العلاقات الاجتماعيّة، وكذلك يتبيّن اهتمام الإمام عليه السلام بهذا الكيان، بشكل لا يمكن إنكاره. إضافة إلى أنّ الإمام الثامن عليه السلام قد بذل كلّ ما بوسعه في البداية في إطار تربية أسرته وعرض هذه التجربة كأنموذج لكافة الأسر حيث يمكن الإشارة هنا إلى وجود شخصيّة قيّمة كالإمام الجواد عليه السلام.

الفصل الأول: التشجيع على التفكير في المسائل الأخلاقية

تُمثّل الأخلاق - التي هي من الملكات النفسانيّة - توأماً للمعرفة والتوعية، وتُمثّل التربية الأخلاقية أمراً مبنياً على نوع من التعليم السلوكي والكلامي والذي يتمّ نتيجة تدريب القوى العقلية وزيادة المعارف والإعتقادات والتوجهات أو إصلاحها ليؤدّي

١- لمزيد من المعلومات مراجعة كتاب القوة الناعمة والدفاع المقدس. تأليف جاني بور سنة ١٣٩١ هـ.ش.

في نهاية المطاف إلى إذكاء الفضائل وإزالة الرذائل من وجود الإنسان. وبعبارة أخرى، تخرج قدرات الإنسان الفطرية - نتيجة نمو العقل والفكر - من القوة إلى الفعل. ومن البديهي في مثل هذه العملية أن يُعتبر التأكيد على القوى العقلية للإنسان وتقويتها لتربية أخلاقه وتنميتها وتطويرها من المسائل التأسيسية والغاية في الأهمية.

دائماً ما يدعو القرآن الكريم الإنسان إلى التفكّر في عالم الوجود - وذلك لما للتفكّر من فائدة للإنسان بالإضافة إلى أن التفكّر يُرشد الإنسان إلى معلومات جديدة تكون له عوناً في انقشاع ظلمات الجهل والذي يؤدي إلى سعادة الإنسان في نهاية المطاف - والاتّعاظ من مصير الذين قاموا بمراعاة القواعد الأخلاقية فنالوا السعادة بالإضافة إلى مصير الذين تخلفوا عن الإلتزام بهذه القواعد فنالوا الندامة. وقد شجّع المعصومون عليهم السلام وحثّوا على التفكّر خاصّة في المسائل الأخلاقية المتعلقة بالعائلة مستلهمين ذلك من التعاليم السماوية. فإنّ التفكّر في الأعمال والسلوك يحدد حسن وقبح الأعمال من وجهة نظر المعصومين عليهم السلام، ومن خلال هذا الطريق يتم تقوية الفكر الأخلاقي وتطويره. إضافة إلى أن التفكير يمنح الإنسان فرصة التعويض عن أخطائه ^(١).

ويظهر تحليل مضمون الأدعية الرضوية أنّ الإمام حاول بأساليب مختلفة أن يدعو الجميع إلى التعقّل والتفكير والتدبّر في المسائل الأخلاقية، ليهيئاً بهذا الأرضية لمبانيه الفكرية في الحركة نحو الفضائل الأخلاقية. ومن المسائل التي نشاهدها في الأدعية الرضوية: مسألة التفكّر والتعقّل ومسألة هدف خلق الإنسان على صورة ذكر وأنثى وضرورة الزواج وضرورة تشكيل الأسرة والتعقّل لتشكيل الأسرة من خلال تحديد المعايير في اختيار الزوج الصالح للزواج. وقد جاء شرح هذه النقاط على الشكل التالي:

١- داوودي وحسيني زاده، ١٣٨٩ هـ ش، ص ٢٥٤.

١،١- الدعوة إلى التفكير في سبب الاختلاف في خلق البشر:

الأمر الذي تمت الإشارة إليه عدة مرات في الأدعية الرضوية هو التأكيد على مسألة خلق البشر بشكل مختلف - أي ذكر وأنثى - حيث أنه دائماً ما كان الإمام يشير إلى هذا المفهوم في أدعيته مستلهماً من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(١)، أن الله سبحانه وتعالى له أهداف من خلق البشر على هذه الشاكلة يجب أن يتم التعرف عليها بداية من خلال التعقل والتفكير فيها، ومن ثم اختيار الطريق الصحيح، لنسير بعد ذلك باتجاه أهداف الله من خلق الإنسان.

عرّف الإمام الرضا عليه السلام تشكيل الأسرة أنها لرفع الحاجات الأساسية للإنسان واعتبر أن الحركة نحو الكمال والسعادة الفردية والاجتماعية أحد الأهداف من خلق الله للإنسان بشكل مختلف، ودائماً ما كان يدعو الإنسان إلى التفكير في هذه الأمور. فعلى سبيل المثال يحاول الإمام عليه السلام في الدعاء رقم ٩٠ - وعبر الإشارة إلى الآيات التي يدعو الله البشر من خلالها إلى الزواج وتشكيل الأسرة - أن يظهر هذه الأمور على أنها نوع من طاعة الأوامر الإلهية والحركة في مسار الهدف من الخلق^(٢).

١،٢- الدعوة إلى التفكير لفهم ضرورة تشكيل الأسرة من الناحية العقلية:

١- سورة الحجرات، الآية: ١٣.

٢- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَمَدَ فِي الْكِتَابِ نَفْسَهُ وَافْتَتَحَ بِالْحَمْدِ كِتَابَهُ وَجَعَلَ أَوَّلَ مَحَلِّ نِعْمَتِهِ وَآخِرَ جَزَاءِ أَهْلِ طَاعَتِهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَيْرِ بَرِيَّتِهِ وَعَلَى آلِهِ أُنْمَةَ الرَّحْمَةِ وَمَعَادِنِ الْحِكْمَةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَانَ فِي تَبْنِهِ أَصْدَاقٌ وَكِتَابُهُ النَّاطِقُ أَنْ مَنْ أَحَقُّ الْأَسْبَابِ بِالصَّلَةِ وَأَوْلَى الْأُمُورِ بِالتَّقْدِمَةِ سَبَباً أَوْجَبَ نَسَباً وَأَمراً أَعْظَمَ حَسَباً فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً وَقَالَ وَاتَّكِحُوا الْآيَامِ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَانِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ... فَشَفَعُوا شَافِعَكُمْ وَاتَّكِحُوا خَاطِبَكُمْ فِي يُسْرٍ غَيْرِ عُسْرٍ أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ (أبطلحي أصفهاني، ١٣٧٨ هـ، ش، الدعاء رقم ٩٠)

في القسم السادس من كتاب "الصحيفة الرضوية الجامعة" توجد أدعية خاصة للزواج وأدعية الإمام عند عقد القران والزفاف والولادة، وتشير كافة هذه الأمور إلى مسألة الأسرة وأولويتها وأهميتها من وجهة نظر الإمام الرضا عليه السلام. والنقطة المهمة في هذه الأدعية هي الإشارة إلى ضرورة مسألة الزواج من الناحية العقلية وتشكيل الأسرة في المجتمعات الإنسانية. يقول الإمام عليه السلام في قسم من هذا الدعاء: "وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمُنَاكِحَةِ وَالْمُصَاهَرَةِ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ مُنْزَلَةٌ وَلَا سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ لَكَانَ فِيمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ بَرٍّ أَلْقَرِيبِ وَتَأَلَّفِ الْبَعِيدِ مَا رَغِبَ فِيهِ الْعَاقِلُ اللَّيِّبُ وَسَارَعَ إِلَيْهِ الْمُؤَفَّقُ الْمُصِيبُ فَأَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ اتَّبَعَ أَمْرَهُ وَأَنْفَذَ حُكْمَهُ وَأَمَضَى قَضَاءَهُ وَرَضِيَ جَزَاءَهُ وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْجِزَ لَنَا وَلَكُمْ عَلَى أَوْفَقِ الْأُمُورِ" ^(١).

لذلك يصف الإمام الرضا عليه السلام الزواج وتشكيل الأسرة على أنه أمر عقلاني وعلى أساس الطبيعة البشرية ويسعى إلى تبين أهداف الله من هذه المسألة. لذلك وكجزء من هذه الأهداف، يشير إلى بعض بركات هذا الموضوع والتي هي عبارة عن الإحسان إلى الآخرين والتعرف والتألف معهم. حيث ستحدث عن هذه الأمور بشكل مفصل لاحقاً.

٣،١- الدعوة إلى التفكير في اختيار الزوج اللائق:

تظهر النتائج المستخلصة من تحليل مضمون الأدعية الرضوية أن تشكيل الأسرة والزواج من منظور الإمام الرضا عليه السلام يمثل الخطوة الأولى لإصلاح الفرد والمجتمع. لذلك قام الإمام عليه السلام - مع تأكيده على مسألة الزواج من الناحية المنطقية والإشارة إلى فوائد ووظائف تشكيل الأسرة في المجتمعات الإنسانية - بتعريف خصائص الأزواج بالإضافة إلى عرض توصيات حول كيفية اختيار الزوج في العديد من المراحل. على سبيل المثال في القسم السادس من الأدعية الخاصة بالزواج ومن أدعية الإمام أثناء

١- المصدر نفسه.

خطبة عقد القران، سعى الإمام إلى تبين بعض الخصائص اللائقة بالرجال والنساء لتشكيل الأسرة المرجوة. لأن اختيار الزوج المناسب للزواج يعدّ من الأمور التي تتطلب تفكيراً وتأنياً كبيرين.

تم التأكيد في التعاليم الدنيّة على ضرورة أن يُدقّق في عائلة الطّرف المقابل في موضوع الزواج، وأن يُنظر في أي عائلة قد كبر وصقلت شخصيته، لأنّ شخصية الإنسان لا تتغير بهذه البساطة. رغم أنّه من الممكن أن نجد فرداً قد اجتاز كافة مراحل النمو ووصل إلى القوة والكمال الإيماني وهو في عائلة غير متّزنة. في هذه الحالات على الشخص أن يقوم باتخاذ القرار واختيار طريقه بالتفكير ودرك الشخصية الواقعية للطرف المقابل بعيداً عن الأفكار الجاهلية والخرافات. ومع أخذ هذه النقطة بعين الاعتبار، يتضح أنّه لماذا تقوم الروايات بالنهي عن الزواج بالفتاة صاحبة المظهر الجميل والتي ترعرعت في أسرة غير متّزنة. بالإضافة إلى أنّ التّصوّر القائل بأنّه يمكن بعد الزواج -من خلال التواجد في بيئة سليمة والتصرف بشكل صحيح- أن تتغيّر هو تصوّر خاطئ تماماً.

على سبيل المثال يقول الإمام الرضا عليه السلام خلال قيامه بعقد قران: "ثُمَّ إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ مِّنْ قَدْ عَرَفْتُمْ مَرْوَتَهُ وَعَقْلَهُ وَصَلَاحَهُ وَبَيْتَهُ وَفَضْلَهُ وَقَدْ أَحَبَّ شَرِكَّتَكُمْ وَخَطَبَ كَرِيمَتَكُمْ فُلَانَةً وَبَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ كَذَا"^(١)... وفقاً لكلام الإمام عليه السلام في هذه الخطبة، يمكن وضع الخصائص التالية كصفات ضرورية للرجل والمرأة لتشكيل الأسرة:

- المروءة

- العقلانيّة

١- المصدر نفسه.

- اللياقة الأخلاقية
- امتلاك النية الصالحة
- الأفضلية في الأمور الاجتماعية
- الكرامة الأسرية
- الميول إلى تشكيل الأسرة والحياة المشتركة
- القدرة على بذل المال تحت عنوان المهر

الفصل الثاني: تعليم المحبة والعطف

من الأمور التي تتكرر في الأدعية الرضوية، هي الإشارة إلى مقام ومكانة الوالدين الرفيعة عند الله تعالى وفي المجتمع الإنساني، والدعوة إلى مراعاة حقوقهم واحترامهم في الأسرة، ومن الواضح جداً أن كل هذا التأكيد هدفه تعليم المحبة والعطف للإنسان، لتحقيق أهم ضرورة تربوية له وتكون أرضية لنمو باقي الفضائل الأخلاقية في الإنسان. تعتبر بيئة الأسرة البئية الأولى لصقل شخصية المتربي. لذلك ينبغي أن يعبر الوالدان اهتماماً خاصاً لاحتياجاته، لأن تلبية هذه الاحتياجات بشكل صحيح يمثل أساس ودعامة التربية، فمن الاحتياجات الأساسية للإنسان هي الحاجة إلى المحبة والعطف، وتلبية هذه الحاجة لدى الأولاد تؤدي إلى الراحة النفسية والثقة بالنفس والثقة بالوالدين بل وحتى الصحة الجسدية، في هذا الإطار يجب أن نتنبه أن عدم تلبية هذه الاحتياجات بشكل صحيح عادة ما يؤدي إلى توجه الأطفال والناشئة وحتى الشباب إلى الانحراف.

وبناءً على ما تقدم، يمكن الحيلولة دون وقوع المتربي في الكثير من الانحرافات من خلال إبراز المحبة تجاهه، بالإضافة إلى أن المتربين سينجذبون نحو من يبرز لهم المحبة، ومحصلة ذلك أن يثق المتربي بمن يغدق عليه المحبة ويطمئن له، ومن خلال هذه الطريقة تهيأ الأرضية للمراحل اللاحقة، لأن الإنسان بطبيعته يرغب بالمحبة

ويحبّ من يغدق عليه بالمحبّة ويطيعه. على هذا الأساس يجب أخذ هذه الحاجة التربوية طول فترة التربية، وجعلها مرشداً في العمل ورأس حربة النشاط التربوي^(١).

٢،١- الدعوة إلى المحبة مع التأكيد على مراعاة الإحترام في الأسرة:

على هذا الأساس نرى أنّ الإمام الرضا عليه السلام في أدعية متعددة يشير إلى آيات حول الإحسان والحبّ تجاه الوالدين، وهو أيضاً يؤكّد على هذا الأمر في العديد من الأدعية. بعض الآيات المذكورة في أدعية الإمام الرضا هي ٨٣ البقرة، ٣٦ النساء، ١٥١ الأنعام، ٢٣ الإسراء و ١٥ الأحقاف.

ومن العبارات والمصطلحات الرائجة في أدعيته عليه السلام، عبارة "فَأَيُّ عَبْدِكَ وَابْنُ عَبْدِكَ"، والتي قد وردت في الكثير من الأدعية أكثر من مرة لاستجلاب الرحمة الإلهية والطلب من الله، ويبدو أن المقصود، هو تأكيد الإمام على التكاثّر والتوالد الذي هو أمر الله، والاستفادة من مكانة الوالدين لاستجابة الدعاء.^٢

ويؤكد الإمام الرضا عليه السلام بشكل كبير على مسألة الإحسان إلى الوالدين ومراعاة احترامهم في الكثير من الأدعية استناداً إلى آيات القرآن، ويعزو سبب هذا الأمر إلى محبة الوالدين تجاه الإنسان في فترة الطفولة. على سبيل المثال وبالاستناد إلى الآيات القرآنية^٣، كما دعا الإمام عليه السلام في عدد من الأدعية إلى مراعاة محبة الوالدين بشكل غير مباشر (الأدعية رقم ٩١ و ١٠٨). ومن العبارات التي نقلت عنه عليه السلام والتي يمكن

١ - داوودي وحسيني زاده، ١٣٨٩ هـ.ش، ص ٦٧-٧١.

٢ - دعاء رقم ٨٤، ٢٣٣، ١٣٥.

٣ - ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَّانِي صَغِيرًا﴾ [سورة الإسراء الآية: ٢٤].

بعد تحليلها منطقياً - معرفة أهمية محبة الوالدين تجاه الإنسان من خلالها دعائه ﷺ عند السجود حيث كان يقول مخاطباً الله عز وجل: "أَنْتَ خَيْرٌ لِي مِنْ أَبِي وَأُمِّي"، حيث يمكن أن نستنتج أنه ومن بعد الله سبحانه وتعالى يمثل الوالدان المجموعة الأولى من الناس التي تريد الخير للإنسان وتبرز المحبة تجاهه، ثم يصل الدور إلى الآخرين.

٢،٢- الدعوة إلى المحبة مع التأكيد بشكل خاص على دور الأم في الأسرة:

في كافة المواضع التي يشير فيها الإمام الرضا عليه السلام إلى مسألة الإحسان إلى الوالدين وإلى مكانتهم الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى وطلب الرحمة والمغفرة لهم يقوم الإمام أيضاً بالإشارة إلى دور الأب والأم في تأسيس الأسرة. لكن تظهر الدراسة الدقيقة للأدعية الرضوية مع استخدام طريقة تحليل المضمون أنه عليه السلام أشار في بعض الأحيان إلى دور النساء والأمهات في تأسيس بنيان الأسرة بشكل مباشر، ولذلك أكد الإمام تأكيداً خاصاً على وجوب مراعاة حقهن والمحبة تجاه الأم في النظام الأسري، وقد دعا ببعض الأدعية الخاصة للأم.

على سبيل المثال أوصى الإمام بحرر للنساء الحوامل وقد تم الاستناد إلى ٢٥ آية قرآنية فيه، ومضمونه الطلب من الله تعالى للولادة السليمة والسهولة للنساء. على سبيل المثال في الدعاء رقم ٤٦ جاء ذكر الآيات القرآنية بشكل متكرر وخاصة قصة السيدة مريم (عها)، والمصاعب في مخاضها ونعم الله سبحانه وتعالى، ورحمته لها بسبب المشقة التي تحملتها، وعلى هذا الأساس يطلب نعماً مشابهة للنساء الحوامل.

١ - يَا أَهْلَ التَّقْوَى وَالْمَغْفِرَةِ، يَا أَرْحَمَ الرَّحِمِينَ، أَنْتَ مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَرَازِقِي، أَنْتَ خَيْرٌ لِي مِنْ أَبِي وَأُمِّي، وَمِنْ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، بِي إِلَيْكَ فَقَرُّ وَفَاقَةٌ [الدعاء رقم ١٢٨].

أيضا في هذا الدعاء أشار ﷺ إلى آيات قرآنية أخرى تتحدث عن خلق الإنسان من ذكر وأنثى ومراحل الخلق ودور الأب والأم في تشكيل الأسرة وخاصة دور المرأة في تأسيس الأسرة، وقد ذكرنا بعضها في القسم الذي تحدثنا فيه عن مكانة الوالدين الرفيعة.

مثال آخر في هذا المجال، دعاء آخر منقول عن الإمام الرضا ﷺ خاص بليلة الزفاف، وعند دخول المرأة إلى بيت زوجها. مضامين هذا الدعاء تظهر تأكيد الإمام على ضرورة الاستفادة من الزواج لإنجاب أولاد صالحين ومُتَزِينين ومؤمنين وموَحِّدين لنصل في النهاية إلى تكوين الأسرة الإسلامية الباحثة عن الله والمؤمنة به، وهي الأسرة المرجوة من منظر الإسلام^(١).

الفصل الثالث: تعليم الحقوق الإجتماعية

لقد أكد الدين الإسلامي الحنيف بقوة على مسألة مراعاة الحقوق والقيام بالواجبات بشكل عام، ومن الحقوق الواقعة على عاتق الإنسان الحقوق الإلهية، أي أداء الواجبات الإنسانية والشرعية والحقوق الاجتماعية، والمقصود هنا مراعاة حقوق الآخرين في الحياة الفردية والاجتماعية وما يعرف فقهيًا بـ "حق الناس" وفي أدبيات العلوم الاجتماعية والسياسية بـ "حق المواطنة". في تعاليم أهل البيت ﷺ، إضافة إلى الإشارة إلى مسألة حق العبودية وأداء الواجبات الشرعية كواحد من مخلوقات الله سبحانه وتعالى، تمّ التطرق إلى مسألة حق الناس وحق المواطنة. لأنّ عدم مراعاة هذه الحقوق يعتبر تجاهلاً للآخرين في الحياة الاجتماعية، الأمر الذي يؤدي إلى أن يُضرّ نظام

١- "اللَّهُمَّ بِأَمَانَتِكَ أَخَذْتُهَا وَبِمِيثَاقِكَ اسْتَحَلَلْتُ فَرَجَهَا اللَّهُمَّ فَارْزُقْنِي مِنْهَا وَلَدًا مُبَارَكًا سَوِيًّا وَلَا تَجْعَلْ لِلشَّيْطَانِ فِيهِ شَرُكَاءَ وَلَا نَصِيْبًا" الدعاء رقم ١٥١.

المجتمع بنمو الفضائل الأخلاقية ومن ثم ازدياد الرذائل الأخلاقية. لكن ما يهم هنا هو نطاق الحقوق في أحاديث المعصومين عليه السلام حيث يمكن تسميته بشكل عام بالحقوق الاجتماعية، وأهم ما في هذه الحقوق، مراعاة حقوق الوالدين، أفراد الأسرة وخدمتهم بنظرة أداء الواجب، لا بنظرة العمل الإجباري والعبودية، حيث سيتم توضيح هذا الأمر في وقته.

٣١- الدعوة إلى مراعاة حق الناس مع التأكيد على القيام بالواجبات في الأسرة:
تحليل مضمون الأدعية الرضوية يظهر سعيه عليه السلام إلى أن يشير إلى مسألة ضرورة مراعاة حق الناس وقيامه بتعليم هذه النقطة المهمة والأساس وذلك من خلال التأكيد على تعاليم كضرورة تأدية أفراد الأسرة لواجباتهم والإحسان إلى الوالدين وأفراد الأسرة وإحترام رغبات الوالدين والقيام بالواجبات تجاه الوالدين وأفراد الأسرة والدعاء للوالدين وطلب الرحمة لهما وأمور من هذا القبيل.

المطلب المهم الذي يؤكد على ضرورة مراعاة حقوق الوالدين كجزء من حق الناس هو طلب الرحمة من الله تعالى بسبب حرمة أعضاء الأسرة وضرورة مراعاة حقوقهم، وقد ورد ذكر هذه الأمور في بعض الأدعية الرضوية؛ حيث يطلب الإمام في أحد أدعية هطول أمطار الرحمة والبركة على المجتمع الإسلامي، مقسماً على الله تعالى بالعجائز الذي قضوا أعمارهم في طاعته وعبادته وبالرضع الذين لم يرتكبوا ذنباً بعد^(١).

١- "اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا بِمَسَائِخِ رُكْعٍ، وَصَبِيَّانِ رُضْعٍ" [الدعاء رقم ١٠٩]

ومثال آخر، من العبارات المستخدمة كثيراً في أدعية الإمام الرضا عليه السلام طلب المغفرة لنفسه ولوالديه وقد تكرر هذا الأمر في كثير من الأدعية^١، حيث نشاهد هذه العبارة كثيراً في قنوت الإمام الرضا عليه السلام (الدعاء رقم ٢٣). ونرى في دعاء آخر أيضاً، بعد أن دعا عليه السلام للمؤمنين والمؤمنات بشكل عام بدأ بذكر الآباء والزوجات والأولاد بشكل خاص ويطلب من الله تعالى الفلاح لهم والنجاة من النار، وهذا يظهر الاهتمام تجاههم.

من الواضح جداً أن أبرز الأدعية في هذا الشأن، الدعاء لوالديه بعد وفاتهم وقد ورد الدعاء كالتالي: "وَأَنْ تَرْحَمَ وَالِدَيَّ الْغَرِيبَيْنِ فِي بُطُونِ الْجَنَادِلِ، الْبَعِيدَيْنِ مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَنَازِلِ.

صَلِّ وَحَدِّثْهُمَا بِأَنْوَارِ احْسَانِكَ، وَآنَسْ وَحَشْتْهُمَا بِأَثَارِ غُفْرَانِكَ، وَجَدِّدْ لِمُحْسِنِهِمَا فِي كُلِّ وَقْتٍ مَسْرَةَ وَنِعْمَةً، وَلِمُسِيئِهِمَا مَغْفِرَةً وَرَحْمَةً، حَتَّى يَأْمَنَا بِعَاطِفَتِكَ مِنْ أَخْطَارِ الْقِيَامَةِ، وَتُسَكِّنَهُمَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ، وَعَرِّفْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ النَّعِيمِ الرَّائِقِ حَتَّى تَشْمَلَ بِنَا مَسْرَةَ السَّابِقِ وَاللَّاحِقِ بِهِ.

سَيِّدِي وَإِنْ عَرَفْتَ مِنْ عَمَلِي شَيْئاً، يَرْفَعُ مِنْ مَقَامِهِمَا وَيَزِيدُ فِي إِكْرَامِهِمَا، فَاجْعَلْهُ مَا يُوجِبُهُ حَقُّهُمَا لَهُمَا، وَأَشْرِكْنِي فِي الرَّحْمَةِ مَعَهُمَا، وَارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً"

[الدعاء رقم ٩]

كما ورد أيضاً أنه [قرأ صلاة الميت على جنازة طفل صغير فدعى بهذا الدعاء: "اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لِأَبَوَيْهِ وَلَنَا سَلَفًا وَفَرَطًا وَأَجْرًا"^(٢).

١- "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا" | الأدعية رقم: ٦٧، ٩٣، ١٢٠، ١٢٣، ١٦١.

٢- الدعاء رقم ١٦٣

٢-٣ الدعوة إلى القيام بالواجبات الاجتماعية مع التأكيد على تحمل المسؤولية تجاه الأسرة:

من الأمور الأخرى التي تؤدي دراسة المضمون فيها إلى كشف وظيفة تربية أخرى للأسرة تجاه الأفراد والمجتمع البشري وتساهم في تنمية الشعور بالمسؤولية لدى أفراد المجتمع، تأكيد الإمام الرضا عليه السلام على المحافظة على الأسرة، وإيصال أمرهم أولاً إلى الله تعالى وثانياً إلى أشخاص ثقة وأصحاب أمانة عند السفر أو الموت. من البديهي أنه من تكرر هذا التأكيد يمكن أن نستنتج ضرورة تحمل الفرد للمسؤولية تجاه أفراد أسرته وبالتحديد تجاه المجتمع، وهي من أهم وظائف الأسرة التربوية تجاه الأفراد.

وعلى سبيل المثال، نُقل عنه عليه السلام أنه كلما أراد السفر أو سمع من أحد أنه يهيم بالسفر، كان يدعو له ويشير في بعض الأدعية إلى مسؤولية الفرد تجاه الأسرة^١. كما أنه عليه السلام عندما أجبر على مغادرة وطنه وترك عياله في المدينة بدعوة من المأمون العباسي، قرأ دعاءً بصوت مرتفع دفع بكافة أهل بيته والحاضرين إلى البكاء، وعلموا حينها أن هذا سفر لا رجعة فيه بل هو آخر سفر له عليه السلام. كما أنه أشار في هذا الدعاء إلى مسألة القيام بالواجبات والمسؤوليات تجاه الأسرة^(٢).

لذلك نرى أن النموذج التربوي للإمام الرضا عليه السلام فيما يخص الأسرة، هو تقديمهم على نفسه، وطبعاً هذا ما يمكن أن نستنتجه من سيرة وأحاديث باقي المعصومين عليهم السلام. لذلك فإن باقي الوظائف كتأمين احتياجاتهم وبذل الهداية والإرشاد لهم وإبداء

١ - "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ دِينِي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَوُلْدِي وَعِيَالِي" [الدعاء ١٢٩]

٢ - "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ الْيَوْمَ دِينِي وَنَفْسِي وَمَالِي وَأَهْلِي وَوُلْدِي وَجَمِيعَ جَبَرَانِي وَإِخْوَانَنَا الْمُؤْمِنِينَ وَالشَّاهِدِينَ مِنَّا وَالْغَائِبِينَ عَنْنا" [الدعاء رقم ١٣٠].

النصيحة وحفظ الأمانة والعفو والصفح وستر العيوب والمبادرة إلى مساعدتهم في أمور المنزل ومساندتهم مظلومين وملاقاتهم عند العودة من السفر، وكلّ هذه الأمور تعود إلى هذا الأصل الذي يظهر أنّ بناء المجتمع الكامل - أو ما يسمّى بالمدينة الفاضلة - مرتبط بالتزام كافة أطراف المجتمع بالمعارف الإسلامية.

٣-٣ الدعوة إلى مراعاة الأولويات مع التأكيد على خدمة أفراد الأسرة:

ما يمكن استنتاجه من مضامين الأدعية الرضوية أنّ أول مجموعة ينبغي أن تكون غاية همّة الإنسان في تقديم الخدمات لها ومراعاة حقوقها الاجتماعية في المجتمع هي الأسرة، وتشمل هذه الخدمات تأمين الاحتياجات المادية والمعنوية لأهل المنزل، والأهم من هذا كلّ التربية والمحافظة عليهم في مقابل المخاطر العقدية والثقافية والاجتماعية، وبعد ذلك يصل الأمر إلى المجتمع الإسلامي. وفي هذا المجال، فإنّ أكثر الخدمات نفعاً وأكثرها دواماً هي السعى إلى الارتقاء بخلق الله في كافة النواحي وخاصة فيما يخصّ المجال الأخلاقي. من البديهيّ أنّه إذا تمّ ترسيخ هذا المفهوم في الأسرة، سترتب على حضور الفرد من هذه الأسرة في المجتمع آثارٌ تربوية هائلة.

على سبيل المثال، فقد صرّح الإمام الرضا في بعض أدعيته بهذا المفهوم وبين أنّ هدفه إصلاح أمور الأسرة وإخوانه، وأنّه قد قام بهذا الأمر ليلاً ونهاراً وفي كافة الأوقات بدافع المحبة والمودة لهم، ولهذا يطلب من الله تعالى الأجر والثواب^(١).

١ - "اللهم إنّ كنتَ تعلمُ أنّي أحبُّ صلاحَهم، وأنّي بارٌّ بهم واصلٌ لهم، رقيقٌ عليهم، أغنيَ بأمورهم ليلاً ونهاراً، فأجزني به خيراً، وإنّ كنتَ على غير ذلك، فأنتَ علامُ الغيوب، فأجزني به ما أنا أهله إنّ كانَ شراً فشرّاً،

كما قيل سابقا، فإن أولوية الخدمة هي لأفراد الأسرة. لذلك عرّف الإمام الرضا عليه السلام هذا الأمر على أنه أفضل من عتق رقبة في سبيل الله ويقول عليه السلام: "لأنّ أَدْخَلَ السُّوقَ وَمَعِيَ ذَرَاهِمُ أَتْبَاعُ بِهِ لِعِيَالِي لَحْمًا وَقَدْ قَرِمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُغْتِقَ نَسَمَةً"^(١). ويمكن مشاهدة خدمة الإمام لأسرته في سيرته بشكل واضح. على سبيل المثال، ينقل محمد بن إسحاق أنه كانت هناك عائلات في المدينة يصلها ما تحتاج إليه ولم يكونوا على علم بمصدر الطعام الذي يأتيهم، حتى هاجر الإمام الرضا (ع) وانقطع عنهم ما كان يصلهم [حينها علموا باهتمام الإمام بالفقراء]^(٢).

٤-٣ - الدعوة إلى مراعاة الاعتدال في العلاقات الاجتماعية مع التأكيد على الاهتمام بأمور كافة أعضاء الأسرة:

تُظهر المسألة التربوية التي استنتجناها من تحليل مضمون الأدعية الرضوية نقطة مهمة وهي أنّ الواجب على كلّ إنسان أن يراعي بكل دقة تجاه كافة الأمور المتعلقة بأفراد أسرته وأن يقف على تفاصيلها ولا يجب أن يفرّق في هذه الأمور بين أفراد أسرته وأن لا يعير اهتماماً لأحد بإهمال الآخرين.

يسعى الإمام الرضا عليه السلام في أدعيته إلى تعليم الناس تحمّل المسؤولية والاهتمام بكافة أفراد الأسرة، فبالإضافة إلى أنّه عليه السلام كان يوكل أمر عياله أثناء سفره إلى الله تعالى في الدرجة الأولى ثم إلى الأشخاص المقربين منه (الدعاء رقم ١٢٩-١٣٠)، فقد كان يقوم في أماكن أخرى بأمور في إطار خدمة الأسرة وإصلاح أمورهم، حيث تشير

وَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَخَيْرًا. اللَّهُمَّ أَصْلِحْهُمْ وَأَصْلِحْ لَهُمْ وَأَخْسَأْ عَنَّا وَعَنْهُمْ الشَّيْطَانَ وَأَعِزَّهُمْ عَلَيَّ طَاعَتِكَ وَوَفِّقْهُمْ لِرُشْدِكَ" [الدعاء رقم ٩٨].

١- الدعاء رقم ١٨، الكليني، ١٣٧٧ هـ ج ٤، ص ١٢.

٢- الطبرسي، ١٣٩٠ هـ ص ٢٦١.

دراسة هذه الأحداث إلى أَنَّهُ ﷺ كان يهتم بكافة أفراد أسرته ويراعي الاعتدال في هذا الخصوص. ونجد في بعض الأدعية بشكل صريح، أَنه كان يشير إلى مسألة إصلاح أمور الأسرة ويطلب من الله أَن يبعد عنهم شرُ شياطين الإنس والجن وأن يوفّر لهم سبل الطاعة والعبودية.

ونرى في دعاء آخر، وبعد أَن طلب المغفرة لإخوانه المؤمنين الذين هم أفراد أسرته في الدرجة الأولى، يطلب من الله المتابعة بينهم وحفظهم^(١).

٣-٥ - الدعوة إلى الاستلham من نموذج الأسرة في العلاقات الاجتماعية:

إحدى أهمّ التعاليم التربوية للإمام الرضا ﷺ التي جاءت في أدعيته هي لزوم سريان العلاقات الإنسانية التي تحكم أفراد الأسرة كمجتمع صغير إلى باقي أفراد المجتمع الإسلامي أيضاً وتنتشر لتشمل الجميع، وذلك لكي يصل المجتمع الإسلامي المتشكّل من عدد كبير من العائلات (المجتمعات الصغيرة) إلى السعادة في النهاية. وهذا يعني أَن الإمام ﷺ يحاول أَن يؤسّس لنموذج العلاقات التي تحكم الأسرة ويجعله شائعاً في المجتمع. على سبيل المثال، إِن من أهمّ الأصول التي يجب على كافة الأفراد أَن يلزموا أنفسهم بها للوصول إلى السعادة هي احترام الآخرين والصفح والإيثار وأداء الوظائف تجاه الآخرين ومراعاة الأولوية في أداء الوظائف وأخيراً مراعاة الاعتدال مع الآخرين، حيث يمكن الاستفادة من نموذج الأسرة والعلاقات الموجودة داخلها في هذا الإطار.

وفي هذا السياق يقول الإمام ﷺ لأحد أصحابه ويدعى زهري: "يا زهري، أما عَلَيْكَ أَن تَجْعَلَ الْمُسْلِمِينَ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ أَهْلِ بَيْتِكَ؛ فَتَجْعَلَ كَبِيرَهُمْ بِمَنْزِلَةِ وَالِدِكَ،

١- اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِجَمِيعِ إِخْوَانِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَخْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَعْمَامِ تَابِعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِالْخَيْرَاتِ إِنَّكَ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ وَوَلِيُّ الْحَسَنَاتِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ (الدعاء رقم ١٢٠).

وَتَجْعَلَ صَغِيرَهُمْ بِمَنْزِلَةِ وَلَدِكَ، وَتَجْعَلَ تَرْبَكَ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَخِيكَ! فَأَيُّ هَؤُلَاءِ تُحِبُّ أَنْ تَظْلِمَ؟! وَأَيُّ هَؤُلَاءِ تُحِبُّ أَنْ تَدْعُوَ عَلَيْهِ؟! وَأَيُّ هَؤُلَاءِ تُحِبُّ أَنْ تَهْتِكَ سِتْرَهُ؟! فَإِنْ عَرَضَ لَكَ إِبْلِيسُ لَعْنَةُ اللَّهِ بِأَنَّ لَكَ فَضلاً عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، فَانْظُرْ؛ إِنْ كَانَ أَكْبَرَ مِنْكَ فَقُلْ: قَدْ سَبَقَنِي إِلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَ مِنْكَ فَقُلْ: سَبَقْتُهُ إِلَى الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وَإِنْ كَانَ تَرْبَكَ فَقُلْ: أَنَا عَلَى يَقِينٍ مِنْ ذَنْبِي وَفِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِهِ فَمَا لِي أَدْعُ يَقِينِي لَشَكِّي، وَإِنْ رَأَيْتَ الْمُسْلِمِينَ يُعْظَمُونَكَ وَيُوقِرُونَكَ وَيُبْجِلُونَكَ فَقُلْ: هَذَا فَضْلٌ أَخَذُوا بِهِ، وَإِنْ رَأَيْتَ مِنْهُمْ جَفَاءً وَانْقِبَاضاً عَنْكَ فَقُلْ: هَذَا ذَنْبٌ أَحْدَثْتُهُ؛ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ سَهَّلَ عَلَيْكَ عَيْشَكَ، وَكَثُرَ أَصْدِقَاؤُكَ، وَقَلَّ أَعْدَاؤُكَ، وَفَرِحْتَ بِمَا يَكُونُ مِنْ بَرِّهِمْ، وَلَمْ تَأْسَفْ عَلَى مَا يَكُونُ مِنْ جَفَائِهِمْ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ أَكْرَمَ النَّاسِ عَلَى النَّاسِ مَنْ كَانَ خَيْرُهُ عَلَيْهِمْ فَائِضاً، وَكَانَ عَنْهُمْ مُسْتَغْنِياً مُتَعَفِّفاً. وَأَكْرَمَ النَّاسِ بَعْدَهُ عَلَيْهِمْ مَنْ كَانَ مُتَعَفِّفاً وَإِنْ كَانَ إِلَيْهِمْ مُحْتَاجاً؛ فَإِنَّمَا أَهْلُ الدُّنْيَا يَتَعَفَّبُونَ الْأَمْوَالَ، فَمَنْ لَمْ يَزِدْهُمْ فِيمَا يَتَعَفَّبُونَهُ كَرُمَ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ لَمْ يَزِدْهُمْ فِيهَا وَمَكَّنَهُمْ مِنْ بَعْضِهَا كَانَ أَعَزَّ وَأَكْرَمَ^١.

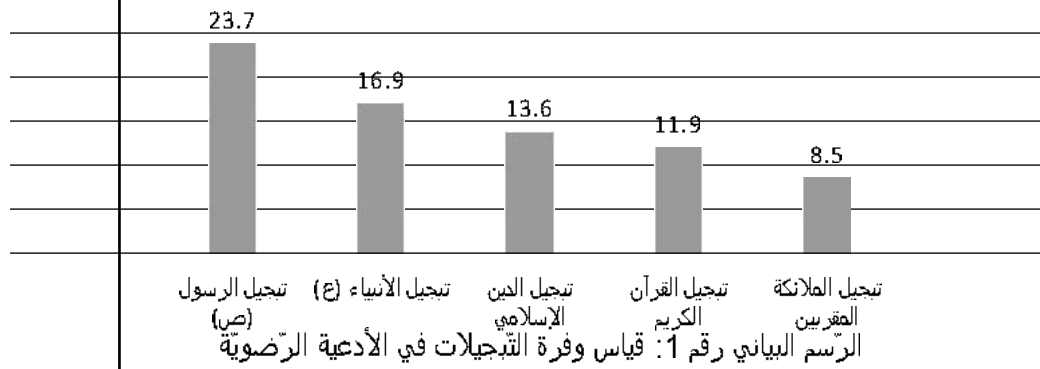
من الواضح تأكيد هذه الرواية على لزوم مراعاة الإحترام وتأدية الوظائف تجاه الآخرين مع الاستفادة من نموذج الأسرة. ويمكن اعتبارها واحدة من أهم الوظائف التربوية للأسرة في المجتمع الإسلامي. لأنه يؤمن الأرضية لوصول الإنسان لغايته. مع الأسف، باتت العلاقات في أيامنا هذه - وبسبب متطلبات الحياة على المستوى الفردي و التواصل المباشر وتكوين الصداقات الجديدة - أمراً محدوداً جداً في المدن الكبيرة وذلك بالتزامن مع التطور التكنولوجي في وسائل التواصل الاجتماعي، حيث بتنا نرى الأسر لا تهتم حتى بالبيئة المحيطة بها كالجيران والأشخاص القاطنين حولهم، في حين أن الإسلام يؤكد بشكل خاص على ضرورة السؤال عن أحوال الآخرين

والإهتمام بأمور الجيران وباقي أفراد المجتمع؛ لأن هذه الطريقة - أي طريقة نقل حسن محبة الآخرين داخل الأسرة بين كافة أفرادها - تعدّ من الطرق المهمة في مجال التربية.

٦-٣- تجسيد التعاليم التربوية مع تعريف أهل البيت على أنهم هم النموذج المناسب للأسرة:

من أكثر الطرق التربوية رواجاً هي تجسيد التعاليم وخاصة التعاليم النظرية والذهنية في إطار إدخالها إلى قلب الإنسان. يتعلم الإنسان أكثر الأمور من خلال الحواس الظاهرة؛ لأنه يتعامل مع الخارج من خلال هذه الحواس، فإذا تمّ التعليم من خلال الحواس فإنّ الأمر يتمّ بشكل أبسط وأسرع. اليوم، تعتبر مسألة جعل القيم الأخلاقية مطبوعة في نفس المتربّي أمراً مهماً بالنسبة لعلماء التربية والتعليم، ويتمّ العمل على ربط ثلاث محاور وهي معرفة مضمون التعليم وتطوير الرؤية، الميول نحو العمل بالمضمون والقيام بالأعمال إرادياً بناءً على المضمون.

من الأساليب التي يمكن استنتاجها من مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام) في هذه الموضوع والاستفادة منها، تجسيد المضمون التعليمي بهدف طبعه في نفوس المستمعين والمتعلمين في إطار الأمور الملموسة. ومن ضمن هذه الأمور يمكن الإشارة إلى مسألة التعريف بأهل البيت (عليهم السلام) على أنّهم الأسرة المطلوبة من الناحية الإسلامية. وكما ذكرنا سابقاً، فإنّ الهيكلية المهيمنة في الأدعية الرضوية تظهر أنّ هذه النصوص قد كتبت في إطار بياني للتبجيل والوصف والنصح قبل أن تكون في إطار الدّعاء والطلب. ومن أهم الجهات التي تم تبجيلها في هذه النصوص هي المقام الرفيع لأهل البيت (عليهم السلام) والرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والأنبياء (عليهم السلام)، والرسم البياني رقم ١ أدناه حاكٍ عن هذا الأمر.



وفيما يخص الوصايا المندرجة في هذه النصوص، يجب القول إن أهم وصية تم التطرق إليها في هذه الأدعية، هي وصية التوسل بأهل البيت عليهم السلام لتمثل بهم. يوضح الإمام في البداية أن التوسل بأهل البيت عليهم السلام أمر إلهي ^(١). ولاحقاً في أدعية أخرى يدعو إلى التوسل بأهل البيت عليهم السلام والتأسي بهم وبنظامهم الأسري ^(٢). ويمكن الإشارة أيضاً في هذه المسألة إلى الدعاء رقم ٢٣، حيث إن الإمام قد طرح القسم الثالث من الدعاء بهذا الشكل بالكامل. ويتم تسميته في كتب الأدعية بشكل مستقل بدعاء التوسل.

مما ذكرناه أعلاه يمكن أن نستنتج ما يلي، أن الإمام عليه السلام يسعى من خلال التعريف بأهل البيت عليهم السلام وتبجيلهم والدعوة إلى التوسل بهم، أن يقوم بتوضيح أن هذه الأسرة

١- "اللَّهُمَّ يَا رَبَّ أَنْتَ عَظَّمْتَ حَقَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَتَوَسَّلُوا بِنَا كَمَا أَمَرْتَ وَأَمْلُوا فَضْلَكَ وَرَحْمَتَكَ وَتَوَقَّعُوا إِحْسَانَكَ وَنِعْمَتَكَ فَأَسْتَقِمْ سَقِيَا نَافِعاً عَامَماً" [الدعاء رقم ١٨]

٢- "تَوَسَّلْتُ بِهِمْ إِلَيْكَ مُتَقَرِّباً إِلَى رَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالزُّهْرَاءِ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَالْحُسَيْنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلِيٍّ وَمُحَمَّدٍ وَجَعْفَرٍ وَمُوسَى وَعَلِيٍّ وَمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَمَنْ يَعُدُّهُمْ يُقِيمُ الْمَحَبَّةَ إِلَى الْحَبَّةِ الْمَسْتُورَةِ مِنْ وَلَدِهِ، الْمَرْجُوِّ لِلْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ" [الدعاء رقم ٢١]

هي الأسرة المثالية والنموذجية، ويهيئ الأرضية للناسي بهم في مختلف المجالات و موضوع الأسرة من هذه المجالات.

وعلى سبيل المثال، يقوم الإمام عليه السلام في بعض الأدعية بالتوسّل بالرسول صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام، والسيدة الزهراء عليها السلام ومن ثمّ بأبنائها الكرام، ويهدف الإمام من هذا الأمر أولاً إلى التعريف بهذه الأسرة على أنّها الأسرة النموذجية، ومن ثمّ يقوم بالتعريف بمقامهم بالترتيب، وهذا أيضاً نموذج لتحديد مكانة كل فرد من أفراد الأسرة في النظام الاجتماعي. [الدعاء رقم ٩]

النتيجة:

سعيًا في هذه المقالة - وخلافاً للكتب التاريخية أو الكتب السردية التي تستند إلى كلام الأئمة عليهم السلام من أجل السرد التاريخي فقط، أن نتطرق إلى تحليل مضمون ما قام الإمام الرضا عليه السلام بتعليمه للأمة الإسلامية في أدعيته، ومن خلال هذا التحليل نقوم باستخلاص وجهات نظر ومبادئ الإمام عليه السلام حول المواضيع المهمة. وبما أنّ هذه الكلمات والعبارات ليست كلاماً صادراً من شخص عادي وهي من الإمام المعصوم، يمكن من خلال تحليل مضمونها أن نصل إلى مبادئ وأصول تكون الطريق نحو سعادة المجتمع الإسلامي للوصول إلى السعادة والكمال. لأنّ كلام المعصوم في الحقيقة مظهر السنّة النبوية وتفسير القرآن الكريم.

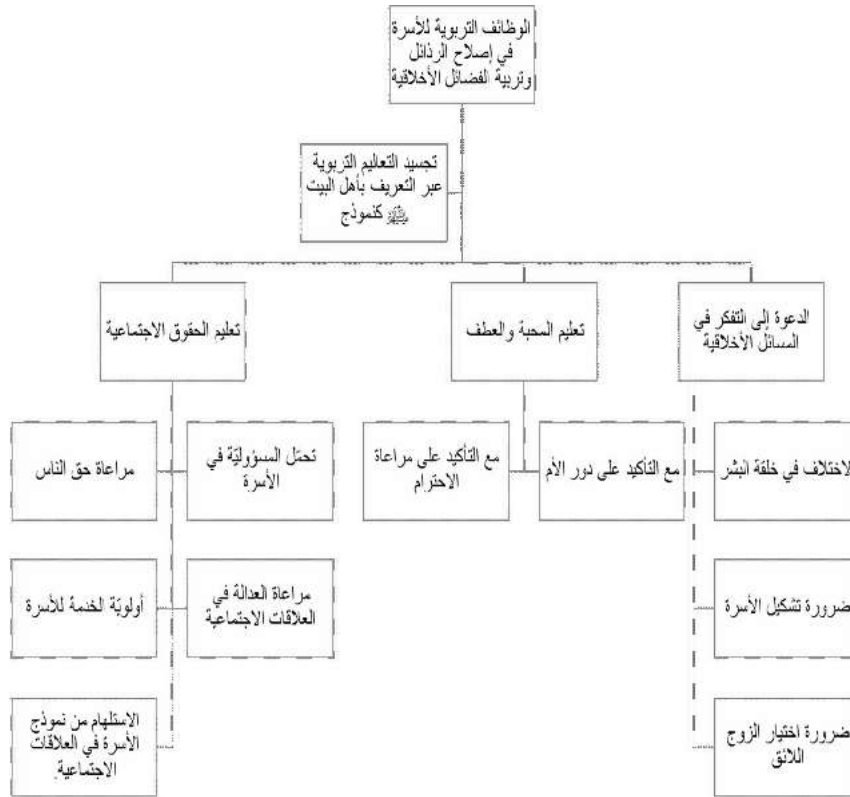
تمّ تناقل نصوص في الكتب والمصادر التاريخية الروائية تحت عنوان الأدعية الرضوية حيث إنّ النتائج المستخلصة منها تُظهر أنّ لهذه النصوص جانباً تربوياً قبل أن

تكون مجرد أدعية. وكان الإمام عليه السلام يسعى إلى استخدام الدّعاء كأسلوب دعائي من أجل أن يعلم المجتمع الإسلامي مفاهيم مهمة.

التأمل في كلام هذا الإمام العظيم يُظهر أنّ للأسرة أهميّة خاصّة في المجتمع ومقامها رفيع. الأسرة المطلوبة من منظر الإسلام هي الأسرة التي تقوم أركانها وفقاً للمواصفات الإسلاميّة وتحكم التعاليم الدينية على علاقاتها وفي النهاية تُخرج أناساً صالحين لهم تأثيرهم في المجتمع الإسلامي المثالي. وبناءً لمبدأ تحليل مضمون الأدعية الرضوية، فإنّ الأسرة المطلوبة لها وظائف تربوية خاصة في إطار الابتعاد عن الرذائل وزيادة الفضائل ومن ضمنها:

- ١- يزداد تماسك كيان الأسرة من خلال التعقّل في ضرورة الزواج وكذا من خلال اختيار الزوج المناسب.
- ٢- يحبّ جميع أفراد الأسرة بعضهم البعض ويلبّون الاحتياجات الأساسية للمحبّة والعاطفة.
- ٣- يحترم جميع أعضاء الأسرة بعضهم البعض، ويقدسون مكانة الأب والأم، ويقومون بالواجبات الخاصّة المتعلّقة بهم.
- ٤- يراعي أفراد الأسرة حقوق بعضهم البعض، ويتحمّلون المسؤولية تجاه بعضهم، ويراعون الاعتدال في التعامل فيما بينهم ويخدمون بعضهم البعض.
- ٥- على أفراد الأسرة -وبالاستلزام من نموذج العلاقات التي تحكم الأسرة- أن يراعوا حقوق الآخرين في المجتمع وأن يحبّوا بعضهم البعض.
- ٦- تحاول الأسر من خلال التأسّي بأهل البيت عليهم السلام، أن تجعل تعاليم أهل البيت عليهم السلام المعرفيّة أساساً لحياتها وأن يعيش أفرادها مثلهم.

٧- إن نموذج الأسرة المطلوبة من منظر الإمام الرضا عليه السلام هم أهل البيت عليهم السلام، حيث تمّ التأكيد على الناسي بهم واتباع تعاليمهم في الأدعية الرضوية. تُظهر الدراسة الممنهجة لأدعية الإمام الرضا عليه السلام أنه قد تمّ التأكيد فيها على موضوع الأسرة بشكل خاص، كما تمّ عرض طرق خاصّة لتطوّر كيان الأسرة في المجتمع الإسلامي ورفقيها وتقوية أساساتها وفقاً للرسم البياني رقم (٢).



الرّسم البياني رقم ٢:

طرق تطوّر وعلوّ شأن كيان الأسرة في المجتمع الإسلاميّ وفقاً للأدعية الرّضويّة

المصادر:

القرآن الكريم

١ - أبطحي أصفهاني، س. (١٣٧٨ هـ. ش). الصحيفة الجامعة لأدعية علي بن موسى الرضا عليه السلام وأبنائه الأربعة. قم: مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام.

٢ - ابن الأثير، م. (١٣٨٥ هـ) النهاية في غريب الحديث. ج ٦. بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

- ۳- ابن منظور، م. (۱۴۰۵ هـ) لسان العرب، بیروت: دار إحياء التراث العربي.
- ۴- استراوس، آ.، و کوربین، ج. و. (۱۳۸۴ هـ ش). أصول روش تحقیق کیفی: نظریه مبانی، رویه‌ها و شیوه‌ها. ترجمه بیوک محمدی، تهران: پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی.
- ۵- إعزازی. ش. (۱۳۷۶ هـ ش) جامعه شناسی خانواده. تهران، روشنگران و مطالعات زنان.
- ۶- الأنصاري، ع. (۱۳۷۱ هـ ش). طبقات الصوفية. به کوشش عبد الحي حبيبي. تهران، نشر سروش
- ۷- جاني بور، م. (۱۳۹۱ هـ ش). قدرت نرم و دفاع مقدس. تهران، انتشارات دانشگاه إمام صادق عليه السلام.
- ۸- حسيني دهشيري، ا. (۱۳۷۰ هـ ش). نگرشی به تربیت اخلاق از دیدگاه اسلام با تأکید بر دوره نوجوانی. تهران، مرکز چاپ و نشر سازمان تبلیغات اسلامی.
- ۹- خميني، ر. (۱۳۷۸ هـ ش) صحيفه نور. تهران: مؤسسه حفظ و نشر آثار إمام خميني عليه السلام.
- ۱۰- داوودي، م. و حسيني زاده، ع. (۱۳۸۹ هـ ش) سیره تربیتی پیامبر صلی الله علیه و آله و سلم و اهل بیت عليهم السلام. ج ۱۹. قم: پژوهشگاه حوزه و دانشگاه.
- ۱۱- صفائي حائري، ع. (۱۳۸۶ هـ ش)، نظام أخلاقی در اسلام. قم: انتشارات لیلۃ القدر.
- ۱۲- طباطبائي، م. (۱۳۷۴ هـ ش). الميزان في تفسير القرآن. ج ۴. ترجمه سيد محمد باقر موسوي همداني. قم: انتشارات اسلامی جامعه مدرسين حوزه علمیه.

۱۳ - الطبرسي، ف. (۱۳۹۰ هـ) إعلام الوری بأعلام الهدی، ج ۲. تهران: انتشارات اسلامی.

۱۴ - الطبرسي، ف. (۱۴۰۳ هـ) الإحتجاج علی أهل اللجاج. مشهد: انتشارات مرتضی.

۱۵ - عزتي، م. (۱۳۷۶ هـ ش). روش تحقیق در علوم اجتماعی. تهران. مؤسسه تحقیقات اقتصادی دانشگاه تربیت مدرس.

۱۶ - الفراهیدی، خ. (۱۴۱۰ هـ) کتاب العین، ج ۴. قم: انتشارات هجرت.

۱۷ - فیروزان، ت. (۱۳۶۰ هـ ش) روش تحلیل محتوا. تهران: انتشارات آگاه.

۱۸ - کریپندورف، ک. (۱۳۷۸ هـ ش). مبانی روش شناسی تحلیل محتوا. ترجمه هوشنگ نائینی. تهران. انتشارات روش.

۱۹ - الکلینی، م. (۱۳۷۷ هـ) الکافی، به کوشش علی أكبر غفاری. تهران: انتشارات اسلامی.

• Frankena, W. (۲۰۰۰). Toward philosophy of education: In what is philosophy of education. U.S.A: Macmillan.

• Pearsall, J. (۲۰۰۱), The New oxford dictionary of English, Oxford University Press.

أصول وطرق تعليم مفهوم الإله وتقوية الاعتقاد به عند الأطفال والناشئة

□ فاطمة وجداني (*)

□ ترجمة: محمد علي بيضون

الخلاصة

إن التربية العقديّة وتعليم مفهوم الإله والاعتقاد به هي إحدى التحديات المهمّة للعاملين في التربية والوالدين. فالاعتقادات الدينيّة وعلاوة على تأثيرها في صلاح الفرد والمجتمع وما تُوصل إليه من سعادة أخوية، تُعطي أيضاً -في هذه الدنيا- معنى لحياة الإنسان وتضمن سلامته النفسية. إنّ تعليم مفهوم الإله وتقوية الإيمان به عند الأطفال واليا فعين لعمل صعب وخطير وذلك لما يمتازون به من خصائص دون غيرهم. ومن ثمّ كانت إشكالية هذا البحث هي: كيف يُمكن تعليم الأطفال واليا فعين مفهوم الإله بشكل مؤثر وعملي وتقوية الإيمان به عندهم؟ وسنخلص في نهاية هذا البحث -والذي هو من النوع التطبيقي ويهدف إلى المساعدة على تحسين أداء أساليب التربية والتعليم العمليّة والارتقاء بها- إلى وضع واعتبار مجموعة من الإرشادات التربويّة وفق مباني وأهداف التربية، والتي تشتمل على ثمانية أصول تربويّة وخمسة عشر أسلوباً تربويّاً للأطفال وثمانية أساليب تربويّة لليا فعين. ونحن نوصي المعلمين والمدرّبين والأسر بالعمل بهذه الأصول والأساليب.

كلمات مفتاحية: مفهوم الإله - الاعتقاد بالله - التربية العقديّة - أطفال -

يا فعون.

(*) باحثة وحائزة على دكتوراة في فلسفة التربية والتعليم، f_vodgdani@yahoo.com

مقدمة

إنَّ معرفة الله وحسَّ التعلُّق به والشعور بالعبوديَّة له وتقديسه لأُمور أودعت في البشر منذ أن كان بين الماء والطين، فلقد خُلِق الإنسان حتَّى يمضي في ظلِّ التربيَّة الصحيحة مستفيداً مما يبذله من همَّة وسعي كيما تزدهر وتتفعَّل هذه القوة فيعرف الله ويعشقه، وليسعى من شدَّة هذا العشق إلى تزيين نفسه بالكمالات الإلهية فيصبح إلهياً.

ما زال الإنسان يمتلك هذه المعرفة والميل والانجذاب الخفي بالرغم من وجود بعض العوامل الممانعة التي يمكن أن تلوِّث هذه الفطرة فتضفي عليه شيئاً من الحُجُب والغفلة مؤقتاً، إلاَّ أنَّه لن يهدأ له بال طالما أنَّه لم يجد ضالَّته ولم يصل إلى مصداقها الحقيقي، وسيبقى الاضطراب بمختلف أشكاله وأسبابه ملازماً له. فقد أشار كثيرٌ من دراسات علم النفس - من خلال التجارب الميدانية - إلى أنَّ الأشخاص الذين يمتلكون عقائداً وإيماناً راسخاً يعيشون حياةً أفضل^(١).

يتألف الدين الإسلامي من ثلاثة أقسام أساسية: الاعتقادات والأخلاق والأحكام^٢. غير أنَّ هذه الثلاثة مرتبطة فيما بينها على نحو متداخل فمثلاً نجد أنَّ التربية الأخلاقية تُؤسِّس للإيمان وللإلتزام بالأحكام العمليَّة، كما أنَّ الأحكام والعبادات تقوِّي بدورها الإيمان والأخلاق - غير أنَّ الاعتقادات هي في الواقع أصل وأساس الدين وعماد القسمين الآخرين؛ أي الأخلاقيات والأحكام^٣، يقول العلامة الطباطبائي قدس سره: الأخلاق ترجع في النهاية إلى التوحيد، وإذا لم يوجد إيمان بالله وبالمعاد فلن يكون هناك أيُّ رادع آخر يقف بشكل مؤثِّر أمام الأهواء النفسية، ويصدِّ الإنسان عن ارتكاب الأعمال

١ - قدرتي ميركوهي، رابطته دينداري با سلامت روان در نوجوانان.

٢ - جوادى آملی، دین شناسی، ص ٢٨.

٣ - داوودي، تربیت دینی، ص ٣٦.

السيئة^(١). فعلاوة على ما للاعتقادات الدينية من تأثير في صلاح الفرد والمجتمع وما توصل إليه من سعادة أخروية فتُعطي الحياة جوهرًا من هذه الجهة؛ فإنها أيضاً جديرة جداً بالاهتمام. فجوهر الحياة هو أن يكون ثمة تبرير معقول لحياة الإنسان في هذا العالم؛ فعندما تصبح حياة الإنسان ذات جوهر بالنسبة له؛ يمكنه تحمّل صعابها ويصبح مرّها حلواً وشقاؤها سعادة. فالدين هو الوحيد القادر على إعطاء مثل هذا الجوهر لحياة الإنسان وذلك من خلال تفسيره الصحيح لكنها؛ والذي يؤثر بدوره في تخفيف الألام والمعاناة؛ من قبيل: الإحساس بالوحدة والشعور بالظلم وعدم تحقق العدل بل وحتى الخوف من الموت^(٢).

وبعد الإشارة إلى أهمية وجود اعتقادات دينية عند الأشخاص؛ نجد أنّ معرفة الله سبحانه والإيمان به تمثّل حجر الأساس في هذه الاعتقادات، وبعبارة أخرى؛ إنّ معرفة الله والإيمان به هي أول مراتب التدين، بل إنّ أعلى مراتبه تكون بتحصيل أعلى ميزان معرفة الله سبحانه^(٣). ومن هنا قال الإمام علي عليه السلام: «معرفة الله سبحانه أعلى المعارف»^(٤).

ومن خلال ما تقدّم يتضح أنّ معرفة الله وتقوية الإيمان به في مجتمعنا تمثّل أحد الأهداف التربوية ذات الأولوية الكبرى. كما أنّ بيان المفاهيم الدينية للأطفال واليا فعين لما يشوب قدراتهم الكلاميّة والإدراكية من ضعف قياساً إلى الكبار والبالغين يمثّل إحدى التحديات المهمّة للعاملين في مجال التربية. وعلى الرغم من الجهود

١ - العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٦، ص ٢١٤.

٢ - تربيت ديني، مصدر سابق، ص ٣٥.

٣ - المصدر نفسه، ص ٣٨.

٤ - محمدي ريشهري، ميزان الحكمة، ج٦، ص ١٥٥، الحديث ١١٩٣٥.

الحيثية للنظام التربوي في هذا المجال، إلا أن التربية الدينية والاعتقادية لجيل الشباب في الجمهورية الإسلامية مازالت تكتنفها النقائص ويتهددها الفشل إلى وقتنا هذا. وتشير أبحاث تقييم الضرر في مجال التربية الدينية في وطننا إلى غلبة الجانب المعرفي في التربية الدينية وسيطرته وضعف الاهتمام بالجانب العاطفي العملي. حيث تتناول معظم كتب هذا المجال مثل كتب النظرية الإسلامية - صرف معالجة بعض الحقائق فقط إضافة إلى بيان ما يجب وما لا يجب من دون أن تحث المتعلمين على التأمل والتفكير. وبعبارة أخرى، يصير النظام التربوي الحالي على صرف انتقال التعاليم الدينية وحفظها بشكل تلقيني من المعلمين. كما أنه يشرع أحياناً الفكرة بطرح شبهة ولكن حين الإجابة عنها ورفعها تكون الأدلة المذكورة غير محكمة وبالتالي لا تكفي لرفع شبهة المطروحة. ومن جهة أخرى، نجد أن هناك عدداً لا يستهان به من المعلمين الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية التدريس والتربية الدينية لا يتوفّر فيهم المستوى المطلوب من الناحية العلمية والاعتقادية بل يفتقدون الشخصية اللازمة والدافع الذاتي، هذا إضافة إلى تدريسهم هذه الأبحاث بأساليب غير فعالة بل أنها تتسم بالسطحية والتلقينية المحضة، كما أن أساليب التقييم تستهدف غالباً مدى المحفوظات الذهنية للمتعلمين^(١). ويتحصّل في المجموع أن أهمّ تحديات المرحلة في قضية التربية العقديّة هي فقدان الأصول والأساليب المناسبة في كلا الجانبين العلمي والعملي.

إنّ تعليم المفاهيم الدينية - حاله حال أي عملية انتقال علم أخرى - يحتاج إلى كلّ من المعرفة وإعمال مجموعة من الأصول والأساليب الصحيحة الفعالة كما يقع مؤثراً، فإنّ عدم مراعاة أحد هذين الأمرين قد يؤدي إلى وقوع انحرافات فكرية لدى

١ - شمشيري ونوذري، آسيب های تربیت ديني كودكان.

الشخص، والتي سيكون إصلاحها لاحقاً أمراً في غاية في الصعوبة. وكما قال الإمام الصادق عليه السلام: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلا بعداً»^(١).

فالسؤال الذي يواجهه كثير من الآباء والأمهات بل حتى الأساتذة والمعلمين؛ هو: كيف يمكن تعليم مفهوم الإله للأطفال واليافين وتقوية الاعتقاد به عندهم؟

منهجية البحث

إنّ هذا التحقيق بحثي عملي، والهدف من الأبحاث العملية هو الوصول إلى الأصول والقواعد التي تُستخدم في المواضيع الواقعية والعملية التي تساعد على تحسين الناتج وزيادة فاعلية الأساليب التطبيقية^(٢). فهذا البحث يطرح أيضاً أصولاً وأساليباً من أجل تعليم مفهوم الإله وتقوية الاعتقاد به لدى الأطفال واليافين.

في هذا البحث سيتم وضع واعتبار الإرشادات التربوية، أي الأصول والأساليب وطرق العمل التي توضع بناءً على أسس التربية وأهدافها. ولقد تم استخراج هذه الطريقة من نظرية الاعتباريات للعلامة الطباطبائي واقترحت من أجل إنجاز الأبحاث التربوية مؤخراً من قبل بعض أهل الاختصاص المعاصرين^(٣)، كما استفاد منها باحثون آخرون أيضاً. فبحسب وجهة نظر العلامة الطباطبائي؛ تمثل المقترحات والوصايا في أساسها عبارات إنشائية وإلزامات يضعها الإنسان ويعمل بها من أجل تلبية الاحتياجات وتحصيل الأغراض، ولأنّها وسيلة للوصول إلى الأهداف كان تطبيقها أمراً لازماً، ولو

١- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٥٤.

٢- شريفي، روش های تحقیق در علوم رفتاری، ص ٨٧.

٣- صادق زاده قمصري، چگونه می‌توان باورها را در فلسفه تربیت.

٤- وجداني، تحلیل مبانی فلسفی تربیت اخلاقی از منظر علامه طباطبائی.

اتَّفَق في زمانٍ ما أن أصبحت غير مفيدة (لغوِيّة) (مثلاً لأجل حالة خاصة) ستستبدل بموارد أكثر تناسباً. إن هذه القضايا هي استنباطات عقلائية وترجيحات حكيمة تتشكل من خلال مجموعة من الواقعيّات والقيم المفروضة (المسلّمة)، وقد تسالم طرفا الحوار على قبولها والأخذ بها. إن إحدى أهم مباني معرفة الإنسان الإسلامية في التربية العقديّة هو وجود الفطرة التوحيدية عند الناس. وبناءً على هذا وقبل الدخول في بحث الأصول والأساليب ستأتي الإشارة إلى الفطرة، ومن بعدها سنبيّن ابتداءً أهمّ أصول تعليم مفهوم الإله وتقوية الاعتقاد به المشتركة بين الأطفال واليافعين، يليها بيان الأساليب المناسبة للأطفال واليافعين كلّ على حدة. ذلك أنّ الاختلاف الأساسي بين هاتين الفئتين يرجع إلى الأساليب التي يجري العمل وفقها؛ حيث يجب أن تكون متناسبة مع المرحلة العمرية للمستهدفين. الجدير بالذكر أنّ المقصود من مرحلة الطفولة في هذا البحث هي الفترة من حين الولادة إلى سنّ الثانية عشرة، ومن مرحلة المراهقة الفترة بين سنّ الثانية عشرة إلى سنّ الثامنة عشرة.

الفصل الأول: وجود بيئة طبيعية وفطرية لمعرفة الله

قبل الدخول في بحث الأصول والأساليب، لا بدّ من الإشارة إلى أحد المباني المهمّة للنظرية الإسلامية في معرفة الإنسان والذي له ارتباط مباشر مع بحثنا بل يُعدّ أساساً له في الواقع.

يتميّز الإنسان - بحسب التعاليم الإسلامية - بفطرة ملكوتية تنبّه دائماً إلى العقائد الحقّة والقيام بالأعمال الصالحة والتي تنتهي به إلى الكمال والسعادة الحقيقية^(١). فإنّ أهمّ دور للفطرة هو معرفة الله والإيمان به وهما أمران مختلطان بطينة خلقه الإنسان^(٢)؛

١ - تفسير الميزان، مصدر سابق، ج ١٢، ص ٢٥.

٢ - المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٦١.

فإنّ كلّ إنسان سليم الفطرة لا محالة يؤمن بوجود خارج عن أحاسيسه وسيصل إلى التوحيد والنبوة والمعاد، وتبعاً لذلك سيرى نفسه ملزماً بالخضوع أمام ذلك المبدأ الواحد وامثال أوامر ذلك الدين^(١). طبعاً الكلام هنا في أنّ الفطرة ليست بالفعل من حين الولادة بل يجب إنماءها، وقد أشار العلامة الطباطبائي أيضاً إلى هذه النكته حيث يعتقد أنّ الفطرة تكون بالقوة وليس لها أي فعلية عند ابتداء الوجود^(٢). كما أنّها لا تنمو وتزدهر من تلقاء نفسها لدى جميع الناس؛ بل إنّ اكتسابها للفعلية منوط بالتربية الدينية الصحيحة. أضف إلى ذلك أنّ الإنسان وبالرغم من وجود نداء الفطرة القائم على التوحيد؛ قد يشتهه - تبعاً لعوامل خارجية - في تعيين مصاديق الكمال، وحاصل ذلك أن يتخذ معبودات أخرى له. وبناءً على ما تقدّم؛ يجب إنماء الفطرة التوحيدية للبشر من خلال أعمال التربية الدينية والاعتقادية الصحيحة وهدايتها إلى المسير الصائب. وبالرغم من ذلك فإنّ فطرية التوحيد تعني أنّ لدى الإنسان - وإن كان طفلاً - في حالة تلقيه التعاليم الصحيحة استعداداً قوياً لأن يدرك وجود الله، وهذا الأمر ليس مما يمثل ضغطاً على نفسه وروحه. إنّ وجود هذه الهداية الفطرية تهَيّئ الأرضية من أجل تحقّق الهداية الخارجية، وتسهّل العمل على الوالدين والمعلمين.

الفصل الثاني: أصول تعليم مفهوم الإله وتقوية الاعتقاد به عند الأطفال

الأصول هي الأسس والقواعد الكلية التي تمثّل منهاجاً لتحقيق العمل^(٣). في هذا الفصل سنطرح أهمّ أصول تعليم مفهوم الإله وتقوية الاعتقاد به عند الأطفال.

١ - المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٣.

٢ - العلامة الطباطبائي نقله عنه الحسيني الطهراني، مهر تابان، ص ١٧٩.

٣ - باقري، وضعت موجود درس ديني از لحاظ نيروي انساني، ص ٦٤.

١- أصل الالتفات إلى مستوى الإدراك والاستعداد الفكري

إن إدراك الموجود المتصف بكونه معنا دائماً وفي جميع اللحظات ويُشرف علينا ويدبّر جميع أمور العالم، ولكنه بالرغم من كلّ ذلك لا يمكننا أن نراه ليس بالأمر السهل بالنسبة للأطفال بل أنّ له ارتباطاً بالمستوى الفكري والنمو الذهني عندهم. لذلك يجب معرفة مستوى قدراتهم الإدراكية وتصورهم عن الله.

عادة ما يتسنى للأطفال من عمر أربع سنوات وما بعدها إيجاد تصوّر ذهنيّ عن الله. في هذه السنوات وبسبب غلبة التفكير العيني والعجز عن التفكير الانتزاعي؛ يتصور الأطفال الله بصورة مادية وعلى هيئة إنسان، ويرون أنّ له منزلاً في السماوات أو في الجنة، وأنّ الله ينظر إلى الجميع من السماوات العلى ويراقب أعمالهم أو أنّه قد أتى إلى الأرض وتصدّى لإدارة الأمور. وكلّما كبر الطفل تكامل إدراكه لصفات الله تدريجياً وذلك بدخوله المدرسة وتلقيه التعاليم من قبل والديه؛ حيث يتصوره موجوداً قوياً يجب اتّخاذ أوامره بكلّ جدية. ولكنّه وبالرغم من ذلك يتصوره على هيئة إنسان غير أنّه إنسان خارق للطبيعة قدير، ومع مرور الزمان يتّسع أفق الطفل فيتمكّن في سنّ التاسعة وما بعدها من الإدراك الشهودي فيسعى لإدراك تجرّد الله وعدم إمكانية رؤيته. فيمكنه في بعض الأحيان أن يتصور الله على نحو غير مرئي؛ كأن يكون على هيئة نور أو شيء أبيض أو غيره، أي أنّ الطفل يسعى في هذه المرحلة إلى إيجاد تصوّر في ذهنه عن الله أعلى من التصرّو الشبيه بالإنسان. ويستمرّ هذا الوضع إلى أن يصبح تصوّره عن الله أكمل في مرحلة المراهقة ويتزامن ذلك مع نمو قدرة التفكير الانتزاعي لديه.

وأما في مرحلة المراهقة والتي تبدأ من سنّ الثانية عشرة حيث يصبح إدراك المراهقين عن الله أكمل، فينتقلون تدريجياً من التخيل إلى التعقّل ودرك المفاهيم

الانتزاعية. فيسعون إلى الابتعاد عن الأفكار الطفولية وعن التصور الإنساني لله. وبالرغم من أنهم لم يتخلصوا بشكل كامل من هكذا تصورات بعد بل ويمكن أن تستمر هذه الحالة إلى سنتين آخرين أيضاً- إلا أن لديهم اعتقاداً بأن الله ليس مرثياً. وعلى هذا الأساس كانت أساليب تعليم مفهوم الإله للأطفال مختلفة عن ما هي عليه لليافعين.

٢- أصل أخذ قضية وجود الله أمراً مفروغاً منه

لقد أخذت قضية وجود الله في القرآن وفي تعاليم المعصومين عليه السلام أمراً مفروغاً منه متسالمًا عليه، فلقد ردَّ القرآن الكريم على الشك والترديد فيه بالاستفهام الاستنكاري: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)؛ ذلك لأن أصل وجود الله أمر فطري وقريب من البداهة وسيكتشفه كل إنسان بأدنى تأمل ولا يحتاج في ذلك إلى الاستدلالات المعقّدة. فهذه الاستدلالات -من حيث كونها مليئة بالمفاهيم الانتزاعية والمجردة- لا يتحصّل فهمها للأطفال واليافعين بل وحتى للكثير من الناس، بل ويمكن أن تكون مضرّة أيضاً؛ وذلك لأن معنى الخوض في هذه الموضوعات هو إمكانيّة انتفاء وجود الله^(٢). بناءً على هذا فإنّ الاتيان بالأسلوب الاستدلالي لإثبات وجود الله يجب -في الجملة- في حالة وقوع المخاطب في دهماء الشبهات لا في بادئ الأمر.

١ - سورة إبراهيم، الآية ١٠.

٢ - تربيت ديني، مصدر سابق، ص ٣٩ و ٤١.

٣- أصل بدء التعليم من مرحلة الطفولة

يعتقد بعض الأهالي أنّ الأصول الاعتقادية ومن جملتها التوحيد هي مفاهيم انتزاعية وتعلّمها لا محالة مبنيّ على الاستدلالات العقلية المعقّدة ولأجل هذا كان من غير الممكن للأطفال فهمها واستيعابها، وبهذا الاستدلال يبرّرون إخلاء عاتقهم من القيام بهذا الأمر المهم الذي يمثل الركن الأساس في التربية الاعتقادية. هذا والحال أنّ الأطفال يمتازون بسلامة الفطرة حيث لم تنثر التعلّقات المادية القائمة والأهواء النفسية أغبرتها ورسوباتها على فطرتهم الطاهرة بعدّ، ومن هنا كان لديهم استعداد قويّ لتلقي التربية الاعتقادية. فمن المحتمل في الطفل الصغير حتّى الذي لمّا تنته إلى مسامعه مفردة (الله) أو نظائرها -فهي غريبة عليه تماماً- أن يسأل والدته حينما يشاهد عظمة الجبال: "من الذي أوجد هذه الجبال؟" وذلك بسبب بداهة أصل العليّة عند كلّ الناس^(١)، وهذا يعني أنّ أصل وجود الخالق حاضر عنده بشكلٍ بديهي وغير قابل للترديد ذلك أنّه لم يسأل: هل وُجدت هذه الجبال صدفةً أم أنّ أحداً أوجدها؟- بل أنّ وجود الخالق عنده أمر مفروغ منه، وكلّ ما في الأمر أنّ فضوله يحثّه على معرفة من كان قادراً إلى هذا الحد بحيث أمكنه إيجاد هذه الجبال. ولهذا السبب يجب أن ينعم الطفل أو المراهق بالتربية الصحيحة والدينية التي تُنمّي وتُقوّي الفطرة قبل إطلاعه على العقائد المنحرفة الأخرى.

٤- أصل الاستعداد

إنّ تعليم مفهوم الإله وإذكاء أجواء الإيمان به تختلف عن ما عداها من البرامج التعليمية؛ فإنّ الإيمان أمرٌ قلبي يجب أن يستشعره الإنسان بروحه وقلبه، ولتحقيق هذا

١- معلمي، پیشینه معرفت شناسی اسلامی، ص ٣٣٩.

الهدف يجب أن يتمتع كلا الطرفين - أعني: المعلم والمتعلم - بالاستعداد الروحي والنفسي والنشاط الروحي. وعلى هذا الأساس لا يُمكن التطرّق إلى هذا الأمر المهمّ وقت الشعور بالإرهاق أو عدم الاستقرار النفسي أو الإدبار الروحي أو الاستعجال أو عند وجود أي مشاغل فكريّة شديدة أخرى.

٥- أصل تقديم الفعل على القول

إنّ التعليم المباشر عبر الكلام ليس المصدر الوحيد لتعلّم الإنسان كما أنّه ليس الأفضل، بل أنّ قسماً كبيراً من تعاليم الإنسان تتكوّن بشكلٍ ضمني وفي إطار تجاربه الواقعية التي تبدأ منذ المراحل الأولى لحياته. فإنّ ما يراه الطفل في سلوك المحيطين به؛ ينتج عنه تعاليم خفيّة غير كلامية والتي تكون ذات تأثير عميق على تصرفاته اللاحقة^(١). كما أنّ تكرار هذه التجارب يُقوّي نمو الإدراكات والمفاهيم الضمنيّة^(٢). ولأجل هذا نجد في كثيرٍ من الموارد أنّ الإنسان يعرف أموراً لم يتعلّمها بالكلام والاستدلال كما لا يمكنه بيانها شفاهة.

وقد أكّد الدين الإسلاميّ المبين باستمرار على التعاليم العملية وأفضليّتها وتقدّمها على التعاليم الكلاميّة الصرفة؛ حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام: «كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم»^(٣). فلهذا الأمر قدر كبير من الأهمية لا سيّما في مرحلة الطفولة حيث يكون الطفل فاقداً لقابلية فهم الإيضاحات الكلامية ولذا فإنّه يتلقّى تعاليمه من عمل المحيطين به. فالأهل والمعلمون الذين يتمتّعون بعقائد راسخة وإيمان لا يتزلزل

١ - سيانكو.

٢ - ناروايز، لاپسلي، هگل ولسكي.

٣ - الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٧٨.

ويصدّقونها بالالتزام بالعمل على وفقها يشكّلون أفضل قدوة للتدين، كما سيكون ما ينقلونه من تعاليم أشدّ تأثيراً. وأمّا إن كانوا لا يستشعرون وجود الله في حياتهم بوضوح ويقصّرون في العمل وفق تعاليم الدين ستجدهم عاجزين عن نقل الحسّ الذي تفتقده قلوبهم إلى الغير على نحو فاعل ومؤثّر. فليس الإيمان معرفة نظرية وحسب، بل يشمل بُعداً عاطفياً والتزاماً عملياً، فمفهوم الإله لا يكفي تلقّفه بواسطة الذهن فقط؛ بل يجب أن يُحدث شوقاً وتحركاً في دواخل الشخص. وبناءً على هذا فإنّ أوّل خطوة يجب أن يقوم بها الأهل أو المعلمون من أجل تربية أبنائهم عقدياً هي الابتدار بتقوية عقائدهم هم واستذكار وجود الله والعمل بتعاليمه في جميع لحظات الحياة.

٦- أصل التأكيد على معرفة صفات الله

إنّ معرفة صفات الله هي إحدى الأساليب الفعّالة في تنمية معرفة الله والاعتقاد به؛ فبدل أن ينصبّ التركيز على ماهيّة الله يجب أن نسعى إلى تصوّر صفات جلاله وجماله، فإنّ كثيراً من صفات الله؛ كالرأفة والرحمة والعفو والحزم وغيرها هي مفاهيم يستخدمها جميع الناس ويُدركونها.

٧- أصل الاستفادة من الأساليب المتنوعة

يختلف الأشخاص فيما بينهم، فمنهم من يُناسبه أساليب تعليمية مباشرة، ومنهم من يُناسبه أساليب عملية أو غير مباشرة. فالإنسان يتوق تارة للبحث العقلي والاستدلالي، ويميل أخرى إلى سماع القصص التاريخية والحماسية، كما ويمكن أحياناً نقل المفاهيم إليه عبر أشعار موزونة، أو أن يستجيب بواسطة لغة الفن. وبناءً على ما تقدّم يجب الاستفادة من الأساليب المناسبة في تعليم مفهوم الإله للأطفال واليافين، وذلك بالالتفات إلى الفروقات الفردية والاختلاف في الحالات الروحية والنفسية للأشخاص، بالإضافة للمحيط.

٨- أصل التدرّج والاستمرار

إنّ التعليم والتربية العقديّة حاله حال أيّ تعليم في أيّ مجالٍ آخر- يجب أن يُلْقَى بالتدرّج من البسيط إلى المُعقّد. فإنّ معرفة الله والإيمان به لأمر يتأصّل في روح الإنسان ويثبت شيئاً فشيئاً؛ فلا يجب أن نتوقع أن تُحلّ جميع القضايا الاعتقادية عند الأطفال واليافعين بتمامها بعد بضع حوارات ونقاشات، بل ينبغي الاستمرار في الحوار بالصبر والتحمّل، فقد نزل الله القرآن على نبيه ﷺ بالتدرّج طوال ٢٣ سنة: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(١). وبحسب رأي العلامة الطباطبائيّ قدس سرّه فإنّ المعارف الإلهية لا تستقر في فاهمة البشر إلّا بالتدرّج؛ لذلك لا بُدّ أن تنزّل بالتدرّج -والذي هو ميزة هذا العالم- حتّى يتمكّن الناس من تعقلها بسهولة وحفظها^(٢).

وعليه فإنّ الاستمرار والمواظبة على التعليم مسألة مهمّة أيضاً، كما أنّ التعليم في دين الإسلام أمر دائم ومستمر، ويجب أن يكون المسلم دائماً في حالة التعليم والتعلم.

الفصل الثالث: أساليب تعليم مفهوم الإله وتقوية الإيمان به

إنّ المقصود من أساليب تعليم المفاهيم الدينية للأطفال هو مجموع الفنون والأساليب والقواعد الجزئية التي تُحقّق أهداف وأسس تعليم المفاهيم الدينية وتُحقّقها خارجاً^(٣).

١- الأساليب التعليمية للأطفال

من أساليب تعليم مفهوم الإله وتقوية الإيمان به للأطفال؛ ما يلي:

١- سورة الإسراء، الآية ١٠٦.

٢- تفسير الميزان، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٢٩٧.

٣- مقدسي، اصول و روش های آموزش مفاهيم ديني به کودکان.

١-١- تعليم لفظ اسم الجلالة

يظهر من التعاليم الإسلامية لزوم بداية تعليم مفهوم الإله للطفل من سنّ الثالثة؛ وبلا شك يُحتمل أن لا يكون للطفل في هذا السن أي إدراك عنه وبالرغم من ذلك يجب أن يتعرّف الطفل -كحدّ أدنى- على اسم الله ولو من الناحية اللفظية. يقول الإمام الصادق عليه السلام «إذا بلغ الغلام ثلاث سنين يقال له: قل لا إله إلا الله سبع مرات. ثم يُترك حتى تتمّ له ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرون يوماً فيقال له: قل محمد رسول الله سبع مرات. ويترك حتى يتمّ له أربع سنين ثمّ يقال له: قل سبع مرات صلى الله على محمد وآل محمد»^(١).

١-٢- التعرف على صفات الله مع التأكيد على صفات الرحمة والمحبة

يجب أن نجتنب تعريف الطفل بذات الله؛ كيف لا وحقيقة ذات الله خافية علينا نحن أيضاً، كما أنّ هذا الأمر سيؤدّي إلى تشويش ذهن الطفل. بل يجب تعريف الله إلى الطفل من خلال صفاته.

يخطئ الكثير من الأهل والمعلمين في ما يقومون به من تخويف الطفل من الإله الذي سيلقيه في جهنّم قاصدين بذلك إرعابه وحثّه على فعل ما يطلبونه منه؛ فلا ينبغي أن تكون صفات غضب الله وقهره هي أوّل انطباع يرتسم في ذهن الطفل عن الله لا سيّما أنّ صفات الرحمة الإلهية مقدّمة على غضبه؛ «يا من سبقت رحمته غضبه»^(٢).

وبناءً على ذلك؛ يجب تعريف الله إلى الناس خصوصاً في مرحلة الطفولة من خلال صفة رحمته ومحبته لجميع الموجودات. ويمكن في هذا المجال أن نستفيد من النماذج المحسوسة بالنسبة إليه؛ لا سيّما أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان يغتنم هكذا فرص. فمثلاً عندما كان الصحابة يتأثّرون من مشاهدة حنان طائر على صغاره أو عطف أمّ

١- محمد تقي فلسفي، ج ١، ص ٢٤٦.

٢- دعاء الجوشن الكبير.

على أولادها؛ كان ﷺ يغتنم الفرصة ويخبرهم بأن يعلموا ويستيقنوا بأن رحمة الله عليهم أكثر مما يرونه من ذلك الطائر ومن تلك الأم؛ وذلك لأن الله سبحانه هو الموجد على الإطلاق لكل هذه الرحمة.

١-٣- ذكر اسم الله في مختلف أحوال الحياة الواقعية

كما ذكرنا سابقاً، ينبغي أن يكون الاعتقاد بالله حاضراً في جميع لحظات الحياة الواقعية للوالدين وأن يشعر الطفل بهذا الحضور؛ ولذا كان من المستحسن مثلاً أن يبسم كل من الأب والأم بنبرة عالية وجميلة عند البدء بتناول الطعام أو أن يقول وفي حالات الضيق والعسرة عبارات من قبيل: "يا الله"، "توكلت على الله"، "حسي الله"، "اللهم عونك" وغيرها، كما يجدر بهما حين فراقه أن يشعرا من صميم قلوبهما بأنهما قد استودعا الله بحيث يحسنّ بأنهما قد أوكلاه إلى مصدر قوة وحماية مطلق فهو سنده وملاذه.

١-٤- الالتزام بحسن السلوك في أحوال أداء الشعائر الدينية

لكلام الوالدين وسلوكهما بل وحتى أساليب التواصل غير الكلامية ممن قبيل لغة الجسد وتعابير الوجه- تأثير كبير على الطفل وذلك من خلال عقله الباطن ولا وعيه؛ لذا ينبغي لهما أن يسعيا إلى إبداء محبتهم وعطفهم عليه إبان أداء الشعائر والمناسك الدينية وبُعيد الانتهاء منها؛ فيقومان مثلاً بالتودّد إليه والحنو عليه باحتضانه وملاطفته أثناء أدائهما تعقيبات الصلاة اليومية، ويجب عليهما أن يتجنّبا الغضب والصراخ في وجهه في تلك الحالات أيضاً؛ وذلك لأنّ لا وعي الطفل سيوجد علاقة وتداعياً بين المناسك الدينيّة وسوء الخلق وستبقى في جنانة ذكريات سيئة من أداء تلك المناسك. فعلى سبيل المثال كثيراً ما يقع للأباء والأمهات أثناء الصلاة أن يلتقط الطفل السجدة ويهرب طالباً اللعب بها أو أكلها أو أن يأخذ المسبحة ويفرط نظمها، ففي مثل هذه الحالات يجب على الوالدين أن يتعاملا معه بصبر وحسن خلق وأن يتجنّبا الصراخ في

وجهه، بل أن الأحرى بهما في مثل هذه الحالات أن يخصصا له سجادة وسجدة ومسبحة أو أن يحتفظا بسجدة بديلة فيخفيانها في أيديهما لكي يكملها بها الصلاة إن لزم الأمر. ولنا الأسوة في رسول الله ﷺ إذ كان الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام يصعدان على ظهره ﷺ أثناء السجود، فيطيل سجوده حتى ينزلا عن ظهره برغبتهما ولم يكن ﷺ يضطرهما إلى النزول أو الابتعاد. كما أن التزام الكبار بالصبر في تعاملهم مع الأطفال في المساجد والحسينيات وأثناء المناسبات الدينية لأمر في غاية الأهمية؛ فقد يؤدي التوبيخ والنصح غير اللبق (كالتوجيه إلى رعاية الهدوء بطريقة فظة) إلى ترسخ ذكريات سيئة في أذهان الأطفال واليافعين فيأثرون عن الحضور في المساجد والمشاركة في المناسبات الدينية ويتركونها إلى غير رجعة. وفي الجهة الأخرى يمكن للتودد إليهم من خلال إعطائهم قطعة حلوى أو عذبة حبات مكسرات أن تكون سبباً في ازدياد تعلقه بهذه الأماكن ومحبة الحضور فيها. وعلى كل حال يجب على الكبار أن يتحلوا بالصبر وسعة الصدر إلى أن يتعلم الأطفال واليافعون آداب ارتياد هذه الأماكن المقدسة شيئاً فشيئاً.

١-٥- الالتفات إلى شدة اقتدائهم بالوالدين

يُقارن الأطفال تصورهم عن الله تعالى مع تصورهم لآبائهم وأمهاتهم الموجود في آذهانهم؛ وبعبارة أخرى، يعتبر الأطفال ما يرونه من صفات في والديهم مظهراً لصفات الله فيعرفون الله من خلالهما. فعلى سبيل المثال؛ تجددهم يتصورون اتصاف الله تعالى بالرازية والرحمة والعدل والإنصاف والصدق وإمكانية الوقوع في الخطأ من خلال مقارنة اتصاف الوالدين بها. لذا يجب على الوالدين أن يسعيا إلى التحلي بهذه الصفات الحسنة وأن يجتنبوا الكذب والظلم وخلف الوعد والعنف وما شابهها؛ حتى يتكوّن في ذهن الطفل تصور إيجابي عن صفات الله.

٦-١- الاستعانة بعجائب الطبيعة في تعريفهم بالله

إنّ الطبيعة تُعد أفضل مدرسة لجميع الناس للتعرف على الله بما فيهم الأطفال؛ وقد أكد القرآن الكريم على ضرورة النظر والتفكر في الآيات الإلهية المختلفة المنتشرة في العالم ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(١).

ينبغي على الوالدين اغتنام الفرصة حينما ينبهر الأطفال بملاحظة المناظر الخلابة في الطبيعة بإظهار مدى القدرة والفن والإبداع والرحمة والعلم وسائر صفات الله المتمثلة فيها ولفت انتباهه إليها. فإنّ الورود المتنوعة الألوان والفراشات الجميلة والجبال الشامخة المتطاولة إلى عنان السماء والغابات الكثيفة والسماء والنجوم وعظمة البحار وتساقط الأمطار والثلوج وحتىّ التنوع الرائع للألوان الموجودة في الطبيعة، جميعها حاكية عن الله تعالى، فاغتنموا الفرص لزيادة معرفتكم ومعرفة أبنائكم بالله أثناء السفر والتنزه وتسلق الجبال وعند المشي في الحدائق والبساتين وزيارة حديقة الحيوانات أو الطيور ومشاهدة البحر؛ بل وحتىّ النظر إلى العصافير وهي تشرب الماء ورؤية صغار الحيوانات حال الرضاعة. فإنّه لإله مقتدر مبدع الذي أوجد كلّ هذا الإبداع، إله مطّلع على حاجات جميع الموجودات ويُلَبِّيها بكلّ رأفة، كما أنّه قد وهبك عينان وأذنان وقلب حتىّ تأنس بالنظر إلى كل هذه البدائع.

٧-١- غرس المحبة الإلهية في قلوبهم ببيان نعمه

إنّ إحدى الأساليب المؤثرة لغرس محبة الله في قلب الإنسان هي تذكّر نعمه، والأطفال أيضاً ليسوا خارجين عن هذه القاعدة. وقد استخدم الله سبحانه هذا الأسلوب حيث يقول في القرآن الكريم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ

غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ^(١). ولذا ينبغي أن تذكروا الطفل بنعم الله التي تتمتع بها؛ كأعضاء البدن (العينين، الأذنين، اليدين ومثيلاتها) مثلاً أو ماء الشرب ونور الشمس الدافئة والفواكه وغيرها من نعم الله.

١-٨- الاحتفال ببلوغ سنّ التكليف

إن معنى الإيمان بالله هو الالتزام العملي؛ فمن يعتقد بالله وشريعته وبحضوره ورقابته وبحسابه وعدالته سيسعى لا محالة إلى تنفيذ أوامره. ويشمل الاحتفال ببلوغ سنّ التكليف عدّة رسائل غير مباشرة تخاطب الأفراد المحتفى بهم؛ فهو أولاً: حدث عظيم وتجليل لك؛ فأنت من الآن فصاعداً ممن يُخاطبه الله كما أصبح بإمكانك الآن إنشاء صلة به مباشرة ومخاطبته وأن تكون محطّ اهتمامه تشريعاً. ثانياً: سوف تبدأ من الآن فصاعداً مرحلة جديدة من حياتك تتسم بالجديّة الثابّة؛ إذ ستكون مسؤولاً أمام الله عن جميع أعمالك.

١-٩- استخدام أسلوب القصة

إنّ قوّة التخيل لدى الأطفال أقوى من قوّة التعقل؛ فهم يأنسون كثيراً بسماع القصص كما أنّ لها تأثيراً عميقاً فيهم، وقد يتعجّب الكبار من أنّ طفلهم لا يكلّ من الاستماع إلى نفس القصة مراراً وتكراراً؛ بل أنّه يتفاعل معها وكأنّه يسمعها لأول مرة. ومن هنا كان من الممكن تحصيل الاستفادة القصوى من هذه القابلية، وذلك بصياغة المفاهيم الدينية على نحو غير مباشر في هيئة قصة وتكرارها على مسامع الأطفال، لا سيّما أنّ الله قد استخدم أسلوب القصص لتعليم وتربية الكبار أيضاً حيث جاء بيان كثير من الحقائق الدينيّة العميقة على هيئة قصص عن الأنبياء بلسان أخاذ وبلغ؛ فالقصص الواقعية المروية عن الأنبياء مفيدة جداً في تعليم الأطفال، كما يمكن الاستعانة بغيرها من القصص بشرط أن تكون ذات موضوع وفحوى دينيّة بحيث تُقوّي

١- سورة فاطر، الآية ٣.

فيهم حسّ التعلّق بالله، ويمكن من خلال القصص تصوير نماذج جاذبة ومؤثّرة للأطفال تجسّد لهم القيم السامية من قبيل الإيمان والشجاعة والتضحية، ولكن يجب مراعاة مسألة مهمّة وهي أن يكون أسلوب سرد القصص للطفل سهلاً ومفهوماً؛ فقد لا يكون من اللازم أحياناً قراءة نفس نصّ القصة للطفل وذلك لما قد تكتنفه من ألفاظ غير مفهومة بالنسبة إليه فيكون الأنسب حينها أن يعيد الكبار صياغتها ويحكّيها لهم ببيان مبسّط.

١-١٠- إنشاء الشعر لهم

يأنس الأطفال بقراءة الأشعار وحفظها؛ فالشعر يُحرك مشاعر الإنسان فيقع تأثير مفاهيمه على مساحات أخرى من وجود الإنسان إضافةً إلى عقله وذهنه، لذا كان من المناسب اختيار الأشعار ذات الأهداف الدينية والمعرفية كتلك التي تعدّد صفات الله ونعمه علينا فهي مناسبةٌ جداً للأطفال.

١-١١- الإجابة على أسئلتهم

تكثر أسئلة الأطفال من عمر السنتين فصاعداً حيث يستفهمون عن كلّ شيء، وقد تتصاعد وتيرة أسئلتهم بنحو يدفع الوالدين إلى الضجر منها، وأما استفهاماتهم عن الله فمن الممكن أن تبدأ في حوالي سنّ الرابعة فصاعداً؛ وعادة ما تكون من قبيل: كيف هو شكل الله؟ وأين يعيش؟ هل يقدر الله على فعل كلّ شيء؟ ونظائرها من الأسئلة التي قد تُفاجئ الكبار وتبهرهم.

إن رجوع الأطفال والمراهقين إلينا وابتدأهم طرح أسئلة حول المفاهيم الدينية يمثّل فرصة مناسبة لتعليمهم مفهوم الإله؛ وذلك لأنّهم هم من بادروا إلى الحوار من تلقاء أنفسهم ولذا سيُنصتون لجوابنا مفعمين برغبة داخلية إلى ذلك^(١)، والحريّ بالكبار حينئذٍ مراعاة عدّة أمور في الإجابة على تلك الأسئلة:

١ - حيدري ابهري، خداشناسي قرآني كودكان، ص ١٣.

- الاستعداد بالمطالعة من قبل ورود السؤال: قد ألّفت كتب مفيدة تتناول موضوع أسئلة الأطفال عن الله وكيفيّة الإجابة عليها؛ لذا أضحي بإمكانكم بمطالعتها- التهيؤ على نحو أفضل لتوقع أسئلتهم واستقبالها ثم معرفة أسلوب الإجابة عنها.

- تأملوا أسئلة الأطفال وتدبروها للحظات قبل الإجابة عليها؛ حتى تتمكنوا من تقديم جواب أكثر نضجاً.

- إن كنتم لا تعلمون جواب أحد أسئلة أولادكم فقولوا لهم وبكل صراحة أنكم لا تعرفون جواب هذا السؤال، ولكن تحرّوا عنه واقروا لتجيّبه عليه بسرعة.

- استخدموا الأمثلة وأجيبوا عن أسئلتهم بالتمثيل: فالإتيان بالأمثلة يُساعد كثيراً في إدراك المفاهيم المعقّدة. وقد استخدم الله أسلوب التمثيل في موارد عديدة من القرآن الكريم: فمثلاً لتوضيح المعاد نجده يضرب مثلاً عن كيفيّة إحياء الأرض الميتة بحلول فصل الربيع وهو أمر في غاية الوضوح للناس؛ فعلى سبيل المثال: حينما يتسأل الطفل عن عدم إمكانية مشاهدة الله؛ يمكنكم أن تجيبوه قائلين: كما أننا لا يمكن أن نرى الكهرباء والذكاء والرياح وغيرها؛ كذا لا يمكننا رؤية الله أيضاً.

- إذا ما كان الطفل صغيراً جداً على إدراك الجواب يمكنكم إعطاؤه جواباً بسيطاً وتغيير مجرى سؤاله وذلك لتأجيل الجواب التام إلى زمان أنسب يكون الطفل قد حاز فيه إدراكاً فكرياً أعمق، وعادة ما يحصل هذا بعد سن التاسعة.

١-١٢- اختيار الأصدقاء المناسبين لهم

بلا شك أنّ للأصدقاء تأثيراً كبيراً على عقائد الأطفال ومشاعرهم وتصرفاتهم؛ بيد أنّ هذا التأثير يصل إلى أوجه في مرحلة المراهقة، ولكن وبالرغم من ذلك يبقى تحصيل الأصدقاء الجيدين والملتزمين ذوي العوائل المتديّنة والأصيلة وتهيئة الأجواء للطفل لملازمتهم وتشجيعه كذلك منذ مرحلة الطفولة أمراً ذا أهمية كبرى.

١-١٣- تحفيظهم سور القرآن الكريم القصيرة

يجدر بالوالدين -منذ مرحلة الطفولة وحداثة السنّ لما لهم فيها من شغف كبير- بحفظ النصوص ذات اللحن - تحفيظ أبنائهم الآيات القصيرة من القرآن الكريم و

جعل تلاوته والأنس به فقرةً رئيسةً في برنامج نشاطاتهم؛ فهذه الآيات تشتمل بطبيعتها على لحنٍ يسكن القلب.

١-١٤- الاستفادة من الأوقات والأماكن الدينية

يؤثر كلُّ من الزمان والمكان بشكل لا إرادي على الإنسان؛ إذ أنَّ أوقات مثل شهر رمضان المبارك وأماكن مثل المساجد ومقامات الأئمة المعصومين عليهم السلام تمثل فرصة قيمة يتمتع فيها الإنسان بقدر أكبر من الاستعداد والجهوزية لتلقي الفيض وتقوية روح الإيمان لديه. لذا تجب الاستفادة القصوى من هكذا فرص واستثمارها في تلقي التعاليم الدينية.

١-١٥- منع وقوع التضاربات العقدية والسعي إلى حلها

لا تقولوا أبداً للأطفال إنّ الله يُعطينا كلّ ما نريده منه وقت ما أردناه؛ بل يجب أن نوضح له من مرحلة الطفولة أنّه وكما أنّي - بصفتي والده - لا أُلبي كل متطلباته لأنني أعلم أنّ بعض ما يريده ليس في مصلحته؛ فكذا الله يسمع كل دعواتنا ولكنه يُحقّقها لنا إذا كانت فيها مصلحتنا، وذلك لأنّه غاية الرحمة ومنتهاها ولا يُريد أن يتحقّق أمر يكون فيه ضررنا.

٢- الأساليب التعليمية للناشئة (المراهقين)

يعيش المراهقون من حيث الخصائص الروحية والنفسية وضعاً جديداً عليهم؛ فالمراهق يريد تجربة كلّ شيء والوصول إلى المعايير بنفسه، فتجده يسعى إلى ترميم معتقداته وبناء عالم جديد له، فلا يروقه أن يفرض الآخرون آراءهم عليه وأن يتوقّعوا منه تقبلها بلا حوار ونقاش، كما لا يحبّذ أن يرشقوه بعبارات النصيح والإرشاد^(١)، كما إنّ للمراهق رغبةً جامحةً في أن يُقرّر ويختار بنفسه، غير أنّه يفتقر إلى النضوج الفكريّ

١- ایمانی و وجدانی، چالش های من و پدرم، ص ۹ و ۱۰.

وليس له القدرة المطلوبة في التدبّر والتأمّل؛ وذلك لكونه في هذه المرحلة -فاقدًا للإطلاع والخبرة اللازمة^(١). ومن ثمّ تنعت مرحلة المراهقة بأنّها مرحلة تنازع؛ فمن جهة لا يُمكن للمراهق تحمّل مسؤوليّة أموره لوحده لعدم كفاية خبرته، ومن جهة أخرى لا يقبل الجهود التي يبذلها الوالدان والمعلمون بقصد مساعدته^(٢). بناءً على ما تقدّم، يجب على المعلم أن يسانده وأن يظلّ إلى جانبه وأن يقوم بمساعدته -مراعياً في ذلك حسّ طلب الاستقلالية لديه- إلى أن ينضج فيتحصّل لديه تصوّر أفضل عن الأمور.

كما يختصّ المراهق بارتباطه الوثيق بأصدقائه وأقرانه في السن؛ وذلك لازدياد حسّ التعلّق بالمجموعة لديه، حيث إنّ تبعيّة للمجموعة تصل في فترة المراهقة إلى أوج درجات اشتدادها بل أنّها غالباً ما تعدّ مؤشراً للنجاح عند أكثر المراهقين، وحسّ التعلّق بالمجموعة هذا، هو في كنهه قبول للمجموعة واعتراف بها^(٣)، وبناءً على ما تقدّم فإنّ المراهق واقع تحت تأثير مجموعة أقرانه في السن وأصدقائه بل أنّه يسعى حينئذٍ في مطابقة نفسه بمعاييرهم. كما يمكن الإشارة إلى بعض خصائص المراهق الأخرى؛ من قبيل حبّ لمظاهر الفنّ والجمال وانجذابه لهما وقابليّته للانجذاب إلى شخصيّة ما بحيث يقتدي بها ويتأسّى بسلوكها^(٤).

ومن خلال ما تقدّم من خصائص المراهقين ينبغي أن نبحت في أساليب تعليم مفهوم الإله وتقوية الإيمان به في مرحلة المراهقة، ويجدر بالذكر هنا أنّ بعض أساليب مرحلة الطفولة؛ من قبيل: اغتنام اقتنائهم بالوالدين وبيان النعم الإلهية والإلفات إلى

١- المصدر نفسه.

٢- شرفي، دنياء نوجوان، ص ٤٢.

٣- المصدر نفسه، ص ٢٢٩.

٤- المصدر نفسه، ص ١٣٢.

عجائب الخلقة، لا ينبغي تركها بل أنّها تتكامل في مرحلة المراهقة إضافة إلى غيرها من الأساليب المناسبة.

٢-١- الاستفادة من المنتجات الفنية ذات المحتوى الديني

يُحب أغلب المراهقين تزيين جدران غرفهم باللوحات والملصقات، لذا يمكن الاستفادة من اللوحات الفنية كالرسومات أو المصنوعات الفخّارية المجسّمة أو المكتوبة بخطوط جميلة؛ بشرط أن تكون مشتملة على شعارات ومضامين دينية من قبيل: الآيات والروايات والكلمات المأثورة والأشعار المتضمّنة للحكم وما شابهها) حتّى يسود في غرفهم جو روحي وديني.

٢-٢- الأنشطة الفنيّة

يهوى المراهقون الأنشطة الفنيّة وإيجاد التحف الجميلة؛ لذا يمكن سوق هذه الهوايات والأنشطة نحو المفاهيم والمعاني الدينية العميقة والأخلاقية أيضاً لينجزوا ما يشتمل على مضمون ديني مستفيدين في ذلك من مختلف أشكال الفنّ من قبيل: الخطّ والرسم والزخرفة والتذهيب وصناعة الفخار بل وحتّى التصوير.

٢-٣- القصص المناسبة

يُحب المراهقون قراءة القصص والروايات، ومن ثمّ سيكون للقصص الدينية المصوّغة بلغة ونظم يناسب المراهقين في موضوعات من قبيل: تاريخ الشخصيات الدينية وسيرة حياة القادة الدينيين والروايات الدينية، تأثيراً جيداً على تربيتهم الروحية.

٢-٤- مخاطبة الله تعالى بكتابة رسالة

يُصبح الإنسان أكثر تأملاً وتدبّراً في توجّهه إلى موضوع ما عندما يتدرّ بكتابته، حيث تبرز مشاعره وأفكاره أمامه على نحو أوضح. لذا كانت كتابة الإنسان رسالةً يخاطب فيها ربّه ويبيّ فيها شكوى القلب إليه سبباً في تقوية أواصر ارتباطه وعلاقته بالله تعالى؛ ويمكن تطبيق هذا الأسلوب منذ مرحلة الطفولة.

٢-٥- اختيار الأصدقاء الجيدين والمؤمنين

تقدّم في أول هذا الفصل بيان تأثر المراهقين بأصدقائهم؛ لذا فإن اختيار المدرسة المناسبة والأساتذة والأصدقاء المؤمنين والملتزمين بالتعاليم الدينية له أثر كبير جداً في ترسيخ عقائد المراهقين وضمان تدبّينهم، وفي المقابل؛ فإنّ تواجد المراهق في جمع من الأصدقاء السيّئين وغير المتدينين قد يذهب بكل جهود الأهل والمعلمين التي بذلوها لتربية أولادهم تربية عقدية قويمة أدراج الرياح.

٢-٦- حفظ آيات القرآن الكريم وفهم معناها

يُساعد فهم معاني الآيات القرآنية ومفاهيمها المراهقين جداً في أن يأنسوا بالله وبكلامه، كما أنّ بعض المراهقين يحبون أن يحفظوا آيات القرآن الكريم؛ لذا كانت إقامة المسابقات وبعث روح المنافسة فيما بينهم أمراً مفيداً في تحفيزهم للمشاركة في هكذا أنشطة. وهنا مسألة مهمّة؛ وهي العمل على تداوم هذه الروحية للحفاظ على أنس دائم بالقرآن، ويمكن لعقد برنامج عائلي بقراءة صفحة من القرآن المجيد يومياً أن يكون مفيداً في هذا الصدد.

٢-٧- تقديم القدوة المناسبة لهم

يميل المراهقون في هذه المرحلة من حياتهم إلى أن يختاروا شخصاً ليمثّل دور الشخصية المفضّلة لديهم؛ فينجذبون إليه بشدّة ويتأسّون به. لذا ينبغي أن تُعرّفهم على شخصيات متديّنة مؤمنة ومحبوبة وتهنّئوا لهم أرضية اختيارهم كقدوة في حياتهم؛ وذلك قبل أن يختاروا شخصيتهم المفضّلة من بين أناس غير مناسبين ويتعلّقوا بهم.

٢-٨- الاستفادة من البرهان والاستدلال

قد يقع أحياناً عند المراهقين بعض التساؤلات والشبهات فيشوب منظومتهم العقدية الشك والترديد.

فالمراهقون بطبيعتهم يسعون إلى تحصيل الدليل لإثبات معتقداتهم، فتجدهم يميلون إلى سماع أدلة الكبار؛ لا سيّما أنّ قابلية إدراكهم للفكر المنطقي والاستدلالي

قد أصبحت أقوى من ذي قبل. وبناءً على ما تقدّم يمكن الاستفادة في هذه المرحلة من براهين معرفة الله لتقوية إيمانهم به؛ فبرهان النظم هو أحد البراهين التي يُستفاد منها بشكل كبير في إثبات وجود الله وفهمه في متناول إدراك للجميع. ففي برهان النظم، نشير إلى أنّ كل نظم في هذا العالم يُدلل على وجود الخالق والمدبّر العالم الحكيم، حيث إنّ هذا العالم وبكلّ ما يحويه من النظم والانسجام والتناسق من قبيل: النظم بين أعضاء البدن ودورة هطول الأمطار ودورة الحياة الطبيعية والنظم ما بين المجرات ودوران الأرض في مدارها الخاص بها وغيرها، لا يمكن أن تكون وليد الصدفة ثم يكون منظماً بهذا الشكل، وعلى هذا الأساس نكون قد سقنا دليلاً بسيطاً للمراهق على وجود الله من خلال النظم الدقيق للعالم.

الخلاصة والمقترحات

يمثّل توضيح المفاهيم الدينية للأطفال والياfecين -لما يمتازون به من قابليّات كلاميّة وإدراكيّة محدودة عند مقارنتهم بالكبار- أحد التحديات المهمّة للعاملين في مجال التربية. تمّ تدوين هذا البحث بهدف المساعدة في تحسين فعالية الأساليب العملية في التربية العقديّة، وتمّ تقديم نتائجه في شكل مقترحات عملية للمعلمين والأساتذة والأهل لكي يستفيدوا منها في هذا الصدد. وقد اقترحنا العمل بثمانية أصول أو قواعد عملية كلّية في تعليم مفهوم الإله وتقوية الإيمان به منذ أوّل مرحلة الطفولة؛ وهي:

— أصل الالتفات إلى مستوى الإدراك والاستعداد الفكري

— أصل أخذ قضية وجود الله أمراً مفروغاً منه

— أصل بدء التعليم من مرحلة الطفولة

— أصل الاستعداد

— أصل تقديم الفعل على القول

— أصل التأكيد على معرفة صفات الله

- أصل الاستفادة من الأساليب المتنوعة
- أصل التدرج والاستمرار
- ومن منطلق مراعاة ما يمتاز به الأطفال من خصائص وبقصد تعميق فاعلية التربية العقديّة؛ اقترحنا الأساليب التالية لتعليم مفهوم الإله وتقوية الإيمان به عند الأطفال:
- تعليم لفظ اسم الجلالة
- التعرف على صفات الله مع التأكيد على صفات الرحمة والمحبة
- ذكر اسم الله في مختلف أحوال الحياة الواقعية
- الالتزام بحسن السلوك في أحوال أداء الشعائر الدينية
- الالتفات إلى شدة اقتدائهم بالوالدين
- الاستعانة بعجائب الطبيعة في تعريفهم بالله
- غرس المحبة الإلهية في قلوبهم ببيان نعمه
- الاحتفال ببلوغ سن التكليف
- استخدام أسلوب القصة
- إنشاد الشعر لهم
- الإجابة على أسئلتهم
- اختيار الأصدقاء المناسبين لهم
- تحفيظهم سور القرآن الكريم القصيرة
- الاستفادة من الأوقات والأماكن الدينية
- منع وقوع التضاربات العقديّة والسعي إلى حلها
- كما تم اقتراحنا الأساليب التالية لتعليم مفهوم الإله وتقوية الإيمان به للياfecين:
- الاستفادة من النتاجات الفنية ذات المحتوى الديني
- الأنشطة الفنيّة

- القصص المناسبة
 - كتابة رسالة لله
 - اختيار الأصدقاء الجيدين والمؤمنين
 - حفظ آيات القرآن الكريم وفهم معناها
 - تقديم القدوة المناسبة لهم
 - الاستفادة من البرهان والاستدلال
- الجدير بالذكر أنّ هذه الأساليب يمكن استخدامها في كلّ من المرحلتين؛ غير أنّ الفائدة القصوى تحصل فيما إذا استخدم كلّ أسلوب في مرحلته الخاصة به.

المصادر:

- القرآن الكريم.
- مفاتيح الجنان.
- اکرمي، سيد کاظم (۱۳۸۲هـ ش). «تحقیقی چند وجهی در باب کتاب های بینش اسلامی متوسطه»، مجموعه مقالات همایش آسیب شناسی تربیت دینی، جلد دوم، تهران: محراب قلم.
- ایمانی، محسن؛ وجدانی، فاطمه (۱۳۸۹هـ ش). چالش های من و پدرم، پاسخ به سوالات نوجوانان، تهران: ن. قطره.
- باقری، خسرو (۱۳۸۶هـ ش). نگاهی دوباره به تربیت اسلامی. تهران: انتشارات مدرسه.
- باقری، یونس (۱۳۸۲هـ ش). «وضعیت موجود درس دینی از لحاظ نیروی انسانی»، مجموعه مقالات همایش آسیب شناسی تربیت دینی، جلد دوم، تهران: محراب قلم.

- جوادى آملی، عبدالله (۱۳۸۷هـ ش). دین شناسی، قم: ن. اسراء.
- چراغی، مونا؛ مولوی، حسین (۱۳۸۵هـ ش). «رابطه بین ابعاد مختلف دینداری و سلامت عمومی در دانشجویان دانشگاه اصفهان»، مجله پژوهش های تربیتی و روانشناختی دانشکده علوم تربیتی و روانشناسی دانشگاه اصفهان، سال دوم، شماره ۲، شماره پیاپی، پاییز و زمستان ۱۳۸۵ هـ ش، ص ۱-۲۲.
- حسینی طهرانی، سید محمدحسین (۱۶۲۵هـ). مهر تابان: مصاحبات تلمیذ و علامه، مشهد: نور ملکوت.
- حیدری ابهری، غلامرضا (۱۳۹۰هـ ش). خداشناسی قرآنی کودکان، قم: ن. جمال.
- حداد عادل، غلام علی (۱۳۸۳هـ ش). آسیب شناسی تربیت دینی، مصاحبه کننده: اسدالله مرادی، تهران: مدرس.
- دانشگر، سعید؛ جعفری، سید ابراهیم؛ لیاقتدار، محمدجواد (۱۳۸۳هـ ش). «آسیب پذیری تربیت دینی و زمینه های آموزشگاهی آن»، دانش و پژوهش در علوم تربیتی، شماره ۳، پاییز ۱۳۸۳: ۵۲-۳۳.
- داوودی، محمد (۱۳۸۳هـ ش). تربیت دینی، قم: مؤسسه پژوهشی حوزه و دانشگاه.
- رهنما، اکبر؛ طباطبایی، فرزانه؛ علین، حمید (۱۳۸۵هـ ش). «آسیب شناسی تربیت دینی دانش آموزان از دیدگاه مدیران مدارس راهنمایی شهر تهران»، دانش و رفتار، اسفند ۸۵ سال ۱۳. شماره ۲۱: ۵۶-۶۳.
- زادشیر، فرزانه، استکی، مهناز و امامی پور، سوزان (۱۳۸۸هـ ش). «مقایسه قضاوت اخلاقی و رشد اجتماعی دانش آموزان دبستان های غیرانتفاعی تحت تعلیم

آموزش قرآن به شیوه حفظ با معانی با غیر انتفاعی»، فصلنامه روانشناسی کاربردی، ۲(۱۰)، ۷-۲۵.

- زمانی، بی بی عشرت؛ دهقانی، مهدی (۱۳۸۷هـ ش). «میزان فعال و غیر فعال بودن کتاب هدیه های آسمانی و کتاب چهارم ابتدایی: تألیف جدید تعلیمات اسلامی»، پژوهشهای تربیتی و روانشناسی دانشگاه اصفهان، ۱(۹)، ۲۲-۱.

- سعیدی رضوانی، محمود (۱۳۸۹هـ ش). بررسی وضع موجود تربیت دینی و اخلاقی دانش آموزان و ارزیابی آن بر اساس مؤلفه های اصلی آموزش و پرورش، تهران: دفتر سند ملی آموزش و پرورش.

- سعیدی رضوانی، محمود؛ کیانی نژاد، عذرا (۱۳۸۲هـ ش). «بررسی عوامل تاثیرات نامطلوب درس بینش اسلامی دوره متوسطه»، مجموعه مقالات همایش آسیب شناسی تربیت دینی. جلد دوم. تهران: محراب قلم.

- شرفی، محمدرضا (۱۳۸۹هـ ش). دنیای نوجوان. تهران: مؤسسه فرهنگی منادی تربیت.

- شریفی، حسن پاشا شریفی، نسترن (۱۳۸۳هـ ش). روش های تحقیق در علوم رفتاری، تهران: ن. سخن.

- شعبانی، زهرا (۱۳۸۸هـ ش). «بررسی ارزشیابی برنامه درسی قرآن پایه چهارم ابتدایی»، دوفصلنامه تربیت اسلامی، شماره ۸، ۱۰۵-۱۴۰.

- شمشیری، بابک؛ نوذری، مرضیه (۱۳۹۰هـ ش). «آسیب های تربیت دینی کودکان مقطع پیش دبستانی از نظر متخصصان علوم تربیتی، روانشناسی، علوم دینی، ادبیات کودک و مریدان پیش دبستانی»، تربیت اسلامی، سال ۶، شماره ۱۲، بهار و تابستان ۹۰: ۷۳-۵۱.

- صادق زاده قمصري، علي رضا؛ حسنى، محمد (۱۳۹۱هـ ش). چگونگی استنتاج
بايدها از هست ها در فلسفه تربيت؛ در جستجوى الگويي روش شناختي بر اساس
نظريه اعتباريات علامه طباطبايي، تهران: موسسه پژوهشي برنامه ريزي درسي و
نوآوري هاي آموزشي.

- الطباطبائي، محمد حسين (۱۳۶۱هـ ش). تفسير الميزان، طهران: دار الكتب
الإسلامية.

- فلسفي، محمد تقى (۱۳۱۸هـ ش). محقق: فريد، مرتضى، تهران: دفتر نشر
فرهنگ اسلامي.

- قدرتي مير کوهي، مهدي؛ خرمايي، احسان (۱۳۸۹هـ ش). «رابطه دينداري با
سلامت روان در نوجوانان»، علوم رفتاري پاييز ۱۳۸۹؛ ۲ (۵): ص ۱۱۰-۱۳۱.

- کشاورز، سوسن (۱۳۸۷هـ ش). «شاخص ها و آسيب هاي تربيت ديني»، تربيت
اسلامي، سال ۳، شماره ۱، بهار و تابستان ۱۳۸۷: ۱۲۲-۹۳.

- الكليني، محمد بن يعقوب. أصول الكافي، طهران: دار الكتب الإسلامية.
- معلمي، حسن (۱۳۸۹هـ ش). پيشينه معرفت شناسي اسلامي، تهران: سازمان
انتشارات پژوهشگاه فرهنگ و اندیشه اسلامي.

- مقدسى پور، على (۱۳۸۲هـ ش). «اصول و روش هاي آموزش مفاهيم ديني به
کودکان»، مجله معرفت، شماره ۷۵، اسفند ۱۳۸۲، ص ۳۶-۴.

- نساجي زواره، اسماعيل (۱۳۸۸هـ ش). «آسيب شناسي تربيت ديني دانش
آموزان»، مجموعه مقالات همایش تربيت ديني، قم: موسسه آموزشي و پژوهشي امام
خميني.

- وجداني، فاطمه (۱۳۹۱ه.ش). تحلیل مبانی فلسفی تربیت اخلاقی از منظر علامه طباطبائی و آرائه الگوی نظری جهت کاهش شکاف میان معرفت و عمل اخلاقی، رساله دکتری، دانشگاه تربیت مدرس.

- Ciancolo, A.T., Matthew, C., Sternberg, R.J., & Wagner, R.K. (۲۰۰۶). Tacit Knowledge, Practical Intelligence and Expertise. In K.A. Ericsson, N. Charness, P.J., Feltovich, & R.R. Hoffman (Eds.), The Cambridge Handbook of Expertise and Expert Performance (pp. ۶۱۳-۶۳۲). New York: Cambridge University Press.

- Narvaez, D., Lapsley, D.K., Hagele, S., & Lasky, B. (۲۰۰۶). Moral Chronicity and Social Information Processing: Tests of a Social Cognitive Approach to the Moral Personality. Journal of Research in Personality, ۴۰, ۹۶۶-۹۸۵.

* * *

التجاهر بالذنب

□ الشيخ سيف الدين العلوي

تمهيد:

إن أبشع وأساء صور الظلم بل من أظلم الظلم؛ أن يسيء المرء إلى من أحسن إليه وأن يعصيه في أوامره وأن يخالف تعاليمه، ويزداد ويتضاعف هذا القبح وذاك الظلم إذا أعلنه صاحبه وجاهر به ولم يبال بمن رآه أو سمعه، ويزداد قبحاً وسوءاً إذا كان الذي نجاهر بحقه صاحب نعمة، فكيف إذا كان المحسن المتفضل هو الله تعالى، والعاصي المجاهر هو العبد... إنها بلية عظيمة ورزية كبرى أن يتجسس المرء بمعصيته لله عز وجل ويعلمها صريحة مدوية بلسان حاله أو مقالته ناسياً حق الله وفضله عليه.

لذا حذرت الشريعة المقدسة في القرآن والروايات من مجاهرة العبد لربه بالمعصية وبينت الآيات الشريفة أن ذلك من أسباب العقوبة في الدنيا والآخرة ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١). هذا الذم والوعيد فيمن يحب إشاعة الفواحش، وقد تقدم أن إشاعة الفاحشة من الكبائر لأنها مما توعده الله عليها العذاب، فما بالك بمن يشيعها ويعلمها. «والآية وإن اشتملت على كلمة "يحبون" الظاهرة في مجرد حب إشاعة الفحشاء من دون إظهار ذلك بالقول، لكن ظهورها في

الأعم من الحب المجرد والمقرون بالفعل أكثر بل أولى. وأما الإشاعة بالفعل فهي: أن يرتكب الفحشاء بنفسه أو يهيئ أسبابها للآخرين ويجمع بين مرتكبيها، وكلاهما محرم قطعاً، لأن الأول مرتكب للفاحشة نفسها، والثاني مرتكب لعمل القيادة»^(١).

فالتجاهر بالذنب أمام الناس أو الإذاعة بالذنب المرتكب سرّاً يبدّل الذنوب الصغيرة إلى كبيرة لأن هذا التجاهر يعبر عن صفة التجرؤ على الأوامر الإلهية والاستهانة بها.

وسنطرح هذا البحث ضمن العناوين التالية:

١. مفهوم التجاهر (لغة - اصطلاحاً).
٢. الأدلة على كون التجاهر سبباً لمضاعفة العقاب.
٣. أشكال وأنواع التجاهر.
٤. الآثار والمفاسد المترتبة على التجاهر.

كلمات مفتاحية:

التجاهر، الذنب، مضاعفة العقاب، تشديد العذاب

الفصل الأول: مفهوم التجاهر

• التجاهر لغة:

«جهر الشيء (يجهر) بفتحين ظهر و (أجهرته) بالألف أظهرته ويعدى بنفسه أيضاً وبالباء فيقال (جهرت به) وقال الصغاني (أجهر) بقراءته و (جهر) بها ورجل (أجهر) لا يبصر في الشمس وامرأة (جهراء) مثل أحمر وحمراء والفعل من باب تعب ورأيت (جهرة) أي عياناً و (جاهره) بالعداوة (مجاهرة) و (جهاراً) أظهرها و (جهر) الصوت»^(٢).

١ - الأنصاري، محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة، ج ٣، ص ٣٠٢.

٢ - الفيومي، أحمد بن محمد المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ج ١، ص ١١٢.

«جهر: أصل واحد وهو إعلان الشيء وكشفه وعلوه، يقال جهرت بالكلام أعلنت به، ورجل جهرير الصوت أي عاليه. ومن هذا الباب جهرت الشيء إذا كان في عينك عظيماً»^(١).

يقول العلامة المصطفوي: «الأصل الواحد في هذه المادة: هو الاعتلان والظهور البين العالي في أي أمر كان، وأكثر استعمالها في الكلام والمقال. فهي في مقابل الخفوت أي السكون والخفض الكامل، فالخفوت تفريط في الصوت كما أن الجهر إفراط وخروج عن الاعتدال.

﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾، ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾، ﴿وَإِنْ تَجْهَرُوا بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾، فالجهر جهة إفراط في مقابل الخفات والخفاء والسر، فالجهر بهذا المعنى منهي عنه في الصلاة والقول، وصرح به في الآية الكريمة: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾، ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ فصيغة فعال مصدر من المجاهرة وتدل على إدامة الفعل، ومادته تدل على الإفراط في الإظهار، فالدعوة من نوح لقومه كانت مداومة وبالجهر حتى يتبين لكل أحد، ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ صيغة فعلة للمرء^(٢).

● التجاهر اصطلاحاً:

الجهر كما تقدم لغة هو الاعتلان والظهور البين العالي في أي أمر كان، وأكثر استعمالها في الكلام والمقال، والجهر هو العلانية. وعند مراجعة الروايات نجد ما قريبة من المعنى اللغوي وهو الإعلان، ولكنها حددت مصداقاً لهذا الجهر؛ وهو:

١ - (ابن فارس)، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٤٨٧.

٢ - راجع: المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن، ج ٢، ص ١٢٩.

١- التجاهر الإذاعي أو القولي: وهم الذين جاهروا بمعاصيهم وأظهروها بعدما كانت مستورة أي كشفوا ما ستر الله عليهم منها وأذاعوها بين الناس فهذا المعنى من الجهر يسبقه ارتكاب المعصية بالسر والكشف عنها بالقول. وهذا ما اشارت إليه بعض الروايات:

أ. «عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ الْعَبَّاسِ مَوْلَى الرِّضَا، قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ الْمُسْتَتِرُ بِالْحَسَنَةِ يَعْدِلُ سَبْعِينَ حَسَنَةً وَالْمُذِيعُ بِالسَّيِّئَةِ مَخْذُولٌ وَالْمُسْتَتِرُ بِالسَّيِّئَةِ مُغْفُورٌ لَهُ»^(١). والشاهد في الحديث قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْمُذِيعُ بِالسَّيِّئَةِ مَخْذُولٌ» لأن في إذاعتها استخفاف بالدين واستهانة بالذنب وتبجح به واستحسان له وترويج له بين العوام وهتك لما ستره الله عليه بفضله وكل ذلك مذموم عقلاً ونقلاً حتى أنه يقرب من الكفر. ومن الواضح أن المقصود من الإذاعة إظهار المعصية المرتكبة سرّاً ثم إشاعتها بين الناس. ومن هنا تُفهم المقابلة بين المذيع والمستتر لنفس المعصية بأن الأول مخذول، والثاني مغفور له؛ لأن استتارها نوع من الإقرار بقبحها وندم فاعلها وتقصيره في تعظيم الله تعالى، المقرّ بذنبه -حسب ما سيأتي في مكفرات الذنوب- من المغفور لهم أو المقرّ بذنبه كمن لا ذنب له ولكن ضمن شروط تأتي في محلّه، وهذا المعنى قد نستفيد منه معنى من معاني المضاعفة أو تشديد العقوبة.

ب. «المستتر بالحسنة له سبعون ضعفاً، والمذيع له واحد، والمستتر بالسّيئة مغفور له، والمذيع له مخذول».

ت. روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إياك والمجاهرة بالفجور فإنّه من أشد المآثم»^(٢).

ث. إنّ إظهار المعصية معصية، بل اعتبرها الحديث من أشد المآثم ولعله يلحظ آثار المجاهرة كما سيأتي.

١ - أصول الكافي، باب ستر الذنوب، ج ٢، ح ١.

٢ - مستدرک الوسائل، ج ١١، باب الإصرار على الذنب، ص ٣٦٨.

ج. وعن رسول الله ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين الذين يعملون العمل بالليل فيستره ربه، ثم يصبح فيقول: يا فلان إني عملت البارحة كذا وكذا»^(١).
الحديث يبين أن من الجهار أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه فيصبح ويكشف ستر الله. وقيل في معناه على ما في كتب اللغة «هم الذين جاهروا بمعاصيهم وأظهروها وكشفوا ما ستر الله عليهم منها فيتحدثون به»^(٢).

فالذنب له حالات:

الأولى: أن يبيت الرجل على الذنب قد ستره الله فيصبح يتحدث به فما دام الذنب مستوراً فعقوبته على صاحبه خاصة.

الثانية: وإذا ظهر ولم ينكر كان ضرره عاماً.

الثالثة: إذا كان في ظهوره تخريك لغيره إلية ودعوى إلى المعصية.

ح. الصدوق، عن أبيه، عن سعد بن عبدالله، عن القاسم بن محمد الاصفهاني، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث، عن الإمام الصادق عليه السلام: «إني لأرجو النجاة لهذه الأمة لمن عرف حقنا منهم إلا لأحد ثلاثة: صاحب سلطان جائر، وصاحب هوى أو الفاسق المعلن»^٣. والرواية معتبرة الإسناد.

والمراد بالفاسق المعلن أي بفسقه غير المبالى بالتمرد على الشارع والجرأة على مخالفته بالإقدام على القبائح والمعاصي علناً أو المذيع لمعصيته المرتكبة سراً. وهناك روايات دلت على أن الفاسق المعلن بفسقه لا غيبة له ولا حرمة، وبغض النظر عن سند هذه الروايات، فالأولى الاقتصار على القدر المتيقن من مورد الفسق المعلن، أي أن من جاهر بفسقه أو بدعته جاز ذكره بما جاهر به دون من لم يجاهر به.

١ - ميزان الحكمة، ج ٢، أعظم الذنوب، ص ٩٨٨.

٢ - ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٥٠.

٣ - أصول الكافي، ج ٨، لا يقبل الله عملاً إلا بولاية أهل البيت، ح ٩٨، ص ١٢٨٢.

٢- **التجاهر الفعلي:** هو نفس الارتكاب الفعلي للمعصية أمام الناس، لا التجاهر القولي الكاشف عن الفعل المرتكب سرّاً، ولعل هذا من أوضح صور التجاهر بالمعصية ولم تشر إليه الروايات؛ ولعل ذلك من باب شدة وضوحه، بل أشارت إلى الوجه الأخرى وهو المجاهرة بمعنى إخبار الناس بما ارتكب سرّاً، ولكن الروايات لم تحصر التجاهر بهذا المعنى؛ إذ لا شك ولا ريب بأنّ مرتكب الذنب جهاراً مجاهر به وإن لم يتكلم به.

وعليه يمكن تعريف التجاهر بأنه: ارتكاب الذنب علانية أمام أعين الناس، أو ارتكابه سرّاً ثم اذاعته بينهم.

وعلى كل حال هناك روايات متعددة دلّت على حرمة الإذاعة بالمنكرات ويمكن مراجعتها في مظانّها.

الفصل الثاني: الأدلة على كون التجاهر سبباً لمضاعفة العقاب.

ذكر الفيض الكاشاني أنّ الصغيرة تكبر بأسباب منها: «بأن يذكره | أي الذنب | بعد إتيانه أو يأتيه في مشهد غيره فإنّ ذلك منه جناية على ستر الله الذي سدله عليه وتحريك لرغبة الشرّ فيمن أسمعته ذنبه أو أشهده فعله فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فتغلّظت به فإن انضاف إلى ذلك التّغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر وفي الخبر "كلّ الناس معافى إلا المجاهرين يبيت أحدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله عليه ويتحدّث بذنبه" وهذا لأنّ من صفات الله ونعمه أنّه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر، فالإظهار كفران لهذه النعمة وقال بعضهم: لا تذنب فإن كان ولا بدّ فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين... " (١).

١- الفيض، الكاشاني، المحجة البيضاء، ج ٧، ص ٦١.

ويمكن الاستدلال على أن التجاهر بالمعصية سبب لمضاعفة العقوبة على الذنب المجاهر به بالدليلين الشرعي والعقلي:

ـ الدليل الشرعي على المضاعفة:

١. «المستتر بالحسنة له سبعون ضعفاً، والمذيع له واحد، والمستتر بالسيئة مغفور له، والمذيع له مخذول». والحديث واضح في المضاعفة ولكن الفرق هو أن الحسنة تُضاعف بسبعين بينما إذاعة الذنب بضعف واحد.

٢. «كل أمتي معافى إلا المجاهرين الذين يعملون العمل بالليل فيستره ربه، ثم يصبح فيقول: يا فلان إني عملت البارحة كذا وكذا». عن الإمام الصادق عليه السلام: «إني لأرجو النجاة لهذه الأمة لمن عرف حقنا منهم إلا لأحد ثلاثة: صاحب سلطان جائر، وصاحب هوى أو الفاسق المعلن».

المجاهرون: الذين يجاهرون بالقواحش ويتحدثون بما قد فعلوه منها سراً، والناس في عافية من جهة الهم مستورون، وهؤلاء مفتضحون. ومؤدى الروایتين أن المجاهر غير معافى أي لا يرجى له التعافي من أثر هذا المرض الخطير الذي ينبيء عن مشكلة في نفس هذا الشخص وعن حبه لغواية الآخرين، وفيه دلالة على نوع استحقاق عقوبة إضافة إلى عقوبة نفس الذنب المرتكب وسيبه نفس التجاهر؛ لأن رواية النبي صلى الله عليه وآله رتبت عدم المعافاة على التجاهر وأما ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام فقد كان أحد المستثنين من رجاء النجاة الفاسق المعلن، فالذنب الحاصل بسبب التجاهر استتبع تلك الآثار، وهذا دليل واضح على مضاعفة العقاب أو لا أقل اشتداده.

نعم قد يتصور تعدد العقوبة إذا اعتبرنا أن الذنب المعلن عنه ذنب مستقل؛ بذلك لما يتركه من آثار على الآخرين بخلاف الذنب المستتر.

قد يقال: بأن الروایتين مفادهما هو أن التجاهر بالذنب قد يؤدي إلى صعوبة توفيق المذنب المتجاهر إلى التوبة، وربما صعوبة في المغفرة، وهذا شيء مختلف عن مضاعفة الذنب.

هذا الاحتمال وإن كان وارداً، ولكن القدر المتيقن من الروايتين أن التجاهر سبب تشديد على العبد؛ إما بزيادة العقوبة المستحقة - وهو ما نعينه - بالمضاعفة أو بإيجاد مانع من المغفرة أو عدم توفيق المتجاهر إلى التوبة بذات احتمال توفيق غيره لها، فالروايتين إما تكون دلالتهما كما تقدم، أي زيادة العقوبة المستحقة على أصل الذنب أو على تشديد العقوبة وهو القدر المتيقن من دلالة الروايتين. وبهذا البيان يتضح دلالة الرواية المتقدمة عن الإمام الرضا عليه السلام «...وَالْمُذِيعُ بِالسَّيِّئَةِ مَخْذُولٌ وَالْمُسْتَرُّ بِالسَّيِّئَةِ مَغْفُورٌ لَهُ». فالمذيع بالسَّيِّئَةِ مخذول، وإذا دققنا بمعنى الخذلان يتضح معنى الحديث فخذل: من باب قتل: والاسم الخذلان، إذا تركت نصرته وإعانتته وتأخرت عنه، وخذلته تخذيلاً: حملته على الفشل وترك القتال خذل: أصل واحد يدل على ترك الشيء والقعود عنه. فالخذلان: ترك المعونة، فالأصل الواحد في هذه المادة هو ترك النصرة والعون، ويختلف هذا المعنى باختلاف الموارد والأشخاص؛ فإن مفهوم النصرة من الأفراد وفي موارد مختلفة، فنصر الله عز وجل وعونه أشد مراتب النصر وأقواها وأتمها، ثم النصر من الأنبياء الهادين والأئمة حجج الله على الناس أجمعين، ثم من العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، ثم من الآباء - المؤمنين المتقين - ثم من الأصدقاء الإخوان في الله رب العالمين.

ويؤيد هذا الأصل: استعمالها في مقابل النصر في الآية الكريمة. ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ فإذا انقطع النصر من عند الله تعالى وانصرف عونه ولطفه وتوجهه وكرمه وفضله وتأيبه وتوفيقه عن عبد - وهذا هو أتم النصر وأكمل الإعانة والتأييد - فمن ذا الذي ينصره من بعده ومن غيره.

﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ ومن شأن الشيطان خذل العبد وإضلاله وتركه على الحيرة والضلالة والمخذولية.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ فَإِنَّ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَلِيقُ بِأَنْ
يَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَيَسْتَعَانَ بِهِ، وَمَنْ اتَّخَذَ غَيْرَهُ إِلَهًا وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَاسْتَنْصَرَ مِنْهُ فَهُوَ يَكُونُ فِي
نَتِيجَةِ أَمْرِهِ مَخْذُولًا^(١).

فالمذيع بالسيئة مخذول فيترتب على هذه المعصية كل ما يترتب على مفهوم
الخذلان من قبيل:

- ترك النصرة والعون.
- ترك النصر الإلهي، فإذا انقطع النصر من عند الله تعالى وصرف عونه ولطفه
وتوجهه وكرمه وفضله وتأيده وتوفيقه.
- خذل العبد وإضلاله وتركه على الحيرة والضلالة والمخدولية وهذا من شأن
الشیطان.

هذا بالإضافة إلى روايات أخرى تدل على المضاعفة وهي قريبة المضمون من
الروايات المتقدمة.

٣. صدق إشاعة الفاحشة على التجاهر بالذنب. فكل ما دل على حرمة الإشاعة
والإذاعة للفاحشة دل على حرمة التجاهر أيضاً باعتبار أن التجاهر من مصاديق
الإشاعة، ومن الواضح أن فعل الفاحشة شيء وإشاعتها سواء كانت من نفس فاعلها أو
من شخص غيره شيء آخر وله آثار أخرى؛ مما يوجب مضاعفة العقوبة ونفس الكلام
يجري في التجاهر بالمعصية.

- الدليل العقلي على المضاعفة:

وله أكثر من وجه وهو على الشكل التالي:

إن التمرد والاعتداء والانتهاك لحرمة المولى سبحانه وتعالى الحاصل من فعل
المعصية والذي يلزمه الخروج عما يقتضيه زي العبودية لله تعالى، هو المناط الأساس
في نظر العقل لاستحقاق العقوبة؛ لأنها مسببة بنظر العقل عن انتهاك الحرمة

١- راجع: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي، حسن، ج ٣، ص ٣١.

الالهية، حيث إنّ مقتضى مولوية المولى تعالى هي الطاعة المطلقة لأوامره ونواهيه فكل ما هو في دائرة المولوية يجب الالتزام به عقلاً ولذا يحكم العقل بأنّ كل فعل خالف عبودية الله استحق صاحبه العقوبة. والعقل يحكم وبنفس الملاك بأن العقوبة تختلف وتتضاعف وتشتد بمقدار شدة الانتهاك لحرمة المولى والخروج عن رسم العبودية.

• الشكل الأول من الدليل العقلي على المضاعفة:

وإذا اردنا تطبيق هذا الكلام على التجاهر فنقول الدليل مكون من عدة مقدمات:
- إنّ العقل هو الحاكم في مسألة استحقاق العقوبة، وهو يرى أنّ الخروج عن حدود عبودية ومولوية المولى يعد انتهاكاً لحرمة تعالى.
- انتهاك حرمة المولى والاستخفاف بأوامره على درجات ومراتب وهذا واضح بالوجدان.

- كلما ازداد الانتهاك والتهتك لحرمة المولى تعالى ازدادات مضاعفة العقوبة أو اشتدادها بحكم العقل بمقدار درجة الانتهاك.
- لا شك أنّ التجاهر فيه استخفاف بأمر المولى واستهانة بشأنه وعلو مقامه تعالى، وهذا واضح بالوجدان أيضاً لأنه سبب ارتكاب الذنب لو كان هو غلبة الهوى وسوسة الشيطان لما جهر به صاحبه ولأبقاه في دائرة السر وما أذاعه أو لا أقل حاول التستر عليه والتجاهر بالذنب فيه تجاوز أكبر على حدود المولى وخروج فاضح عن زي العبودية.
النتيجة: بناءً على المقدمات المذكورة فإن العقل يحكم بوجوب مضاعفة العقاب على الذنب المتجاهر به.

• الشكل الثاني من الدليل العقلي على المضاعفة:

إن الإمامية وتبعاً لمعتقداتهم يلتزمون بأن الأحكام الإلهية تابعة للمصالح والمفاسد، فلا تحكم الشريعة بحرمة شيء إلا إذا كانت فيه مفسدة نوعية، ولا تحكم بوجوب شيء إلا إذا كانت فيه مصلحة نوعية، ونفس الكلام يجري في المستحبات

والمكروهات إلا أنَّ المصلحة في الأولى والمفسدة في الثانية ليست شديدة إلى درجة تدعو المولى تعالى إلى إصدار حكم بالإلزام فعلاً أو تركاً.

«ولكل واحد من الأحكام التكليفية الخمسة مبادئ تتفق مع طبيعته. فمبادئ الوجوب هي الإرادة الشديدة، ومن ورائها المصلحة البالغة درجة عالية تأبى عن الترخيص في المخالفة.

ومبادئ الحرمة هي المبعوضة الشديدة، ومن ورائها المفسدة البالغة إلى الدرجة نفسها.

والاستحباب والكراهية يتولدان عن مبادئ من نفس النوع، ولكنها أضعف درجة بنحو يسمح المولى معها بترك المستحب وبارتكاب المكروه. وأما الإباحة فهي بمعنيين:

أحدهما: الإباحة بالمعنى الأخص التي تُعتبر نوعاً خامساً من الأحكام التكليفية، وهي تعبر عن مساواة الفعل والترك في نظر المولى.

والآخر: الإباحة بالمعنى الأعم، وقد يُطلق عليها اسم الترخيص في مقابل الوجوب والحرمة، فتشمل المستحبات والمكروهات مضافاً إلى المباحات بالمعنى الأخص؛ لاشتراكها جميعاً في عدم الإلزام^(١).

ويمكن أن نرتب قاعدة على هذا الموضوع وهي: أنه كلما اشتدت وكبرت المصلحة الواقعية لأمر ما اشتدت المحبوبة الإلهية له وتعلقت الإرادة المولوية بالزامية ذلك الأمر؛ والسبب أنَّ المولى لا يقبل بتفويت مصلحة ذلك الفعل فيحكم بالوجوب. وكلما اشتدت وكبرت المفسدة الواقعية لأمر ما اشتدت المبعوضة الإلهية له وتعلقت الإرادة المولوية بالزامية تركه؛ والسبب أنَّ المولى لا يقبل بوقوع مفسدة ذلك الفعل فيحكم بالحرمة.

١ - تقرير بحث السيد كمال الحيدري لعلاء السالم، الدروس (شرح الحلقة الثانية)، ج ١، ص ٧٣.

وبناءً على هذا البيان فإن المعصية والذنب يكبر بكبر وزيادة آثاره المترتبة عليه فإذا تسبب صدق عنوان على معصية في ترتب مفسدة جديدة على تلك المعصية أو في كبر تلك المفسدة التي كانت مترتبة واقعاً لولا ترتب هذا العنوان الجديد فإن مبعوضيته ستكون أكثر للمولى وتبعاً لذلك فإن العقوبة المترتبة عليه ستكبر أو تشتد. وإذا اردنا تطبيق هذا الكلام على التجاهر فنقول إنَّ التجاهر سبب لترتب بعض المفاصد - كما سيأتي - والتي لولاه لما ترتبت؛ وعليه كان التجاهر موجباً لزيادة ومضاعفة العقوبة. وبعد تمامية المقدمات آنفة الذكر، يمكننا صوغ الدليل العقلي على الشكل التالي:

- الأحكام تابعة للمصالح والمفاصد
- كلما كبرت المفسدة اشتدت الكراهية الإلهية (الحرمة).
- تكبير المعصية يكبر الآثار المترتبة عليها.
- فترتب عليها عقوبة أكبر وأشد.
- والتجاهر يرتب على أصل الذنب آثاراً جديدة.
- النتيجة: العقل يحكم بمضاعفة العقوبة على التجاهر.

الفصل الثالث: أشكال التجاهر وأنواعه

لقد أمرنا القرآن الكريم بالنظر والاعتبار والتمعن في الأمم السابقة التي سادت لقرون ثم بادت في لحظات؛ لأنه من خلال هذا النظر يمكن أن يقف الناس على الأسباب التي أدت لدمار المجتمعات السابقة ليعرفوا الخلل ويصححوا المسيرة للمستقبل، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾^(١)، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك بقوله: «فاعتبروا لما أصاب الأمم

١ - سورة الحج، آية ٤٦.

المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته، ووقائعه ومثولاته، واتعظوا بمشاوي خدودهم، ومصارع جنوبهم... واحذروا ما نزل بالأمم من المثولات بسوء الأفعال وذميم الأعمال، فتذكروا في الخير والشر أحوالهم واحذروا أن تكونوا أمثالهم»^(١)؛ فعلينا أخذ العبر من أنواع العذاب التي أنزلها الله تعالى على الأمم السالفة.

وبالبحث عن أسباب نزول العذاب والابتلاء وزوال النعم وحلول البلايا والنقم على تلك الأمم، ليعلم علم اليقين أن المعاصي والذنوب والبعد عن طريق الله تعالى ومعاداة أنبيائه ﷺ وأوليائه ﷺ ومواجهتهم هي السبب الحقيقي وراء هذه العقوبات والبلايا؛ فكم من أمة وكم من قرية كانت في سعة من الرزق ورغد من العيش وسلامة في الأبدان وأمن في الأوطان تعرضت للعذاب والهلاك عندما حادت عن طريق الحق تعالى وحاربت أنبياءه ﷺ ووقفت في مواجهة مع رسائل السماء.

وإحدى هذه السنن الإلهية التي جرت في الكون: أنه ما أعلن قوم التجروء على الله بالمعاصي والتبجح بها إلا وأهلكهم الله وقضى عليهم ودمرهم، والمتأمل في سير الغابرين والأقوام السالفين يجد ذلك جلياً واضحاً، فما الذي أغرق قوم نوح؟ وما الذي أهلك عاد بريح صرصر عاتية؟ وما الذي أهلك ثمود بالصاعقة؟ وما الذي قلب على قوم لوط ديارهم وأتبعها بالحجارة من السماء؟ وما الذي أغرق فرعون وجنده؟ وما الذي..؟ وما الذي..؟ إنها المعاصي والمجاهرة بها.

والتجاهر بالمعاصي هو من الأمور التي مارسها أعداء الدين في زمن النبي ﷺ وحتى عصرنا الراهن. فأهل الكتاب قد مارسوا هذا الأسلوب كما بين القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا أَعْيُنَهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢). «أي: تشاوروا فيما بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم،

١ - نهج البلاغة، خطبة ١٩٢.

٢ - سورة آل عمران، آية ٧٢.

ليقول الجهلة من الناس: إنما رذهم إلى دينهم اطلعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين. وهذه مكيدة من مكائد أهل الكفر، ليفسدوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم^(١). فقد شخصت هذه الطائفة أن ترك الدين الإسلامي ليس بالأمر الهين ما لم يرى المسلمون حالات من هذا الارتداد أمامهم لتسهل هذه المسألة على النفس.

وإنَّ للتجاهر أشكال وأنواع متعددة، ولسنا في صدد حصرها إنما بيان بعض هذه الصور بغية تجنُّبها وعدم الوقوع فيها لا سمح الله.

– ترك الصلاة والاستخفاف بها.

– المشاركة في المعاملات المحرمة، كالمشاركة في الأعمال الربوية أو في مبيعات محرمة.

– المشاركة في أعمال محرمة أو الدعوة إليها، كمشاهدة العروض الغنائية أو الحفلات المشتملة على الأغاني والموسيقى ونحو ذلك.

– الترويج أو المشاركة في الكتب والصحف والمواقع الالكترونية التي تروج الأفكار والعقائد المضادة للإسلام والمخالفة لشرع الله تعالى.

– التبرج وهو عبارة عن إظهار المرأة من محاسنها ما يجب عليها ستره. وقد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام – في حديث جنود العقل والجهل – أن "ضدَّ الستر هو التبرج"؛ فكل ما ينافي الستر يعتبر تبرجاً وإظهاره من التجاهر بالمعصية ومعنى الستر "التغطية والمراد به تغطية ما يقبح إظهاره ويستهجن شرعاً أو عرفاً. وضدَّ التبرج هو التظاهر بذلك من دون مبالاة"^(٢). وإذا فسرنا الستر بالعفة، استناداً إلى بعض المعاجم اللغوية، كما في قولهم: رجل ستر؛ أي عفيف، فيكون المراد به ما يقابل التبرج الوارد في باب جنود العقل والجهل من أصول الكافي والذي فسره الفيض الكاشاني رحمته الله

١ - أبو حبيب، سعدي، القاموس الفقهي، ص ٣٧٣.

٢ - الكاشاني، ملا محسن، الوافي، ج ١، ص ٧٣.

بالتظاهر بما يقبح ويستهجى في الشرع أو العرف. فعليه كل ما ينافي العفاف يكون تبرجاً وإظهاره تجاهراً كالزينة، والملابس الفاضحة، وما شابه ذلك.

خاتمة: في الآثار والمفاسد المترتبة على التجاهر

قد أحصى بعض العلماء في المجاهرة بالذنب أربع جنايات فقال: «بإشهار ذنبه في الملاء وذلك خيانة منه على ستر الله الذي أسدله عليه، وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعته أو أشهده، فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فتغلظت به، فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه صارت جناية رابعة»^(١).

وهناك آثار أخرى للتجاهر منها:

١. أنها استخفاف بأوامر الله عز وجل ونواهيه؛ لأن فيها نوعاً من الاستهانة وعدم المبالاة وكأن لسان حال مرتكب هذه المعاصي يقول لله تعالى: أعلم أنك ترى مكاني وتسمع كلامي وأنت علي رقيب ولعملي شهيد.. ولكن مع ذلك كله أعصيك وأعلن ذلك أمامك وأمام كل من يراني من خلقك!.

٢. أنها بمثابة دعوة للغير إلى ارتكاب المعاصي وإشاعة الفساد ونشر المنكرات؛ لأن فيها دعوة للناس إلى الوقوع في المعاصي والانغماس في وحلها، حيث إن المجاهر بالمعصية يدعو بلسان حاله كل من رآه أو سمع به إلى فعلها.

لا سيما أن ما يمنع الإنسان عادة من الوقوع في المعاصي أمران:

الأول: يرجع إلى اعتقاد المكلف بالجزاء ويمكن تسميته الرادع الذاتي.

الثاني: يرجع إلى المجتمع ويمكن تسميته الرادع الاجتماعي.

والتجاهر يضعف كلا الأمرين؛ أما أنه يضعف الرادع والمانع الاجتماعي فذلك لأن شدة الإنكار الاجتماعي لفعل ما تتناسب مع شدة قبحه، وكلما خرج الفعل عن المألوف المجتمعي أو الجماعي اشتد الحكم بالإنكار بمقدار خروجه عن المألوف

١- المناوي القاهري، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ٥، ص ١١.

العرفي حتى لو كان الفعل في نفسه حسناً، فالحاكم في مثل هذه الأمور هو البناء العرفي لا القبح والحسن الفعلي أو الفاعلي أو كليهما. فالذنب متى تكتّم مرتكبه عليه في المجتمع المعتقد بالجزاء الإلهي ولم يتّسع ارتكابه ينبذه المجتمع ويلوم فاعله، فإذا شاع من خلال ارتكابه جهرة أو الإخبار بارتكابه خفّ نبذ المجتمع له ممّا يعني تخفيف الضغط الاجتماعي على فاعله، وتخفيف المانع من حيث التأثير في زيادة احتمال وقوع الغير في المعصية يماثل إيجاد الدافع أو تقويته وكفى في ذلك مفسدة باعثة على التشديد به على العبد.

وهذا النوع من القضايا هو ما نطلق عليه أسم التأديبات الصلاحية وتسمى المحمودات والآراء المحمودة. وهي ما تتطابق عليها الآراء من أجل قضاء المصلحة العامة للحكم بها باعتبار أنّ بها يكون حفظ النظام وبقاء النوع؛ كقضية حسن العدل وقبح الظلم. ومعنى حسن العدل أنّ فاعله ممدوح لدى العقلاء ومعنى قبح الظلم أنّ فاعله مذموم لديهم. وهذا يحتاج إلى التوضيح والبيان فنقول: إنّ الإنسان إذا أحسن إليه أحد بفعل يلائم مصلحته الشخصية فإنه يشير في نفسه الرضا عنه فيدعوه ذلك إلى جزائه وأقل مراتبه المدح على فعله. وإذا أساء إليه أحد بفعل لا يلائم مصلحته الشخصية فإنه يشير في نفسه السخط عليه فيدعوه ذلك إلى التشقّي منه والانتقام وأقل مراتبه ذمّه على فعله. وكذلك الإنسان يصنع إذا أحسن أحد بفعل يلائم المصلحة العامة من حفظ النظام الاجتماعي وبقاء النوع الإنساني فإن ذلك يدعوه إلى جزائه وعلى الأقل مدحه والثناء عليه وإن لم يكن ذلك الفعل عائداً بالنفع لشخص المادح وإنما ذلك الجزاء لغاية حصول تلك المصلحة العامة التي تناله بوجه. وإذا أساء أحد بفعل لا يلائم المصلحة العامة ويخلّ بالنظام وبقاء النوع فإن ذلك يدعوه إلى جزائه بذمه على الأقل وإن لم يكن يعود ذلك الفعل بالضرر على شخص الذام وإنما ذلك

لغرض دفع المفسدة العامة التي يناله ضررها بوجه. ونفس الكلام يجري بمثل قضية التجاهر فالحكم فيها تابع لآراء المجتمع وعرفه.

وأما الرادع الذاتي فيضعف بلحاظ ضعف الرادع الاجتماعي لأن انتشار ذنب في المجتمع أو التجاهر به يجعله مألوفاً عند النفس مما يضعف المانع الذاتي وحكم العقل بقبح الفعل لا يؤدي إلى ردع النفس عن الفعل لان غاية ما يؤديه العقل للنفس هو إسداء النصيحة له والنفس عند طغيانها وميلها للهوى قد لا ينفعها الحكم العقلي. والتجاهر كما أسلفنا يضعف هذا المانع الذاتي والنفس أسيرة العادة.

٣. أنها تؤدي إلى اعتياد القبائح واستمرارها فتصبح كأنها أمور عادية لا ملامة فيها؛ فإن الذي يفعل المعصية جهراً قد يستمرئ هذا الفعل ويصبح عنده أمراً عادياً. والنفس أسيرة العادة سواء كان ما اعتادت عليه خيراً أم شراً، فانتشار الذنب في المجتمع سيؤدي تدريجياً إلى اعتياد النفس عليه سواء كان من فاعله أو من الآخرين. ويمكن تعريف العادة: بأنها (حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية) أو أنها (حالة أو صفة نفسية تظهر في القلب ويفيض أثرها على الجوارح ويصدر عنها أعمال بدون تكلف أو روية أو فكر، وتبدأ بتكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداءً لتصير بلا تكلف انتهاءً)، والعادة تمرّ في تكوّنها بمرحلتين:

- مرحلة تكلف الأفعال

مرحلة ثباتها ورسوخها في النفس بحيث تصبح حالة دافعة لأداء سلوك ما دون معاناة أو مشقة.

أما عن تكون العادة: فإننا لكي نتصور كيف تتكون عادة الخلق -سواء كان حسناً أم سيئاً- في الإنسان بحيث تصبح هيئة راسخة في النفس لا بد أن نقف على مراتب الفعل الإنساني، والذي يبدأ بالخاطر، فالميل، فالرغبة، فالإرادة، فالعادة.

فالخاطر ما يردّ على القلب أولاً في لمحة خاطفة، فإذا استقرّ بمدافعة ما يمانعه وتقوية ما يساعده يصبح ميلاً، فإذا سعى به الإنسان لمتطلباته، مُدرِّكاً ما يصل إليه من

لذة وألمٍ وغايةٍ وتصبح نفسه بهذا الميل متوجهة لما تصورته وأدركت الغاية منه - والغايات تختلف باختلاف الناس كالغنى والجاه ورضا الله... وغيره - وتغلب ميل من هذه الميول على غيره يجعل ذلك الميل رغبة يعمل الإنسان على تحقيقها، فطالب المال مثلاً يسعى وراء الكسب ويخطط له وطالب الجاه يسعى إلى ما يُظهر نفسه وطالب الله يميل إلى طاعة الله سبحانه وتعالى وهكذا، إلا أنه لا تتحقق غاية الإنسان في شيء ما بمجرد الرغبة فيه، بل لا بد من العمل على إزالة الشواغل والعوائق التي تمنع من تحقيق الرغبة والأخذ بالأسباب التي تحققه، فإذا قامت النفس بهذا العمل تكون قد انتقلت من مرحلة الرغبة إلى مرحلة الإرادة، فإذا تكرّر هذا العمل من الإنسان حتى أصبح عادة له وصار يصدر عنه بلا روية ولا تفكير، قلنا: إنه أصبح خلقاً له، وصحّ تعريف الذين قالوا: «إنّ الخلق عادة الإرادة»^(١).

وعليه فمجرد العلم بالتكليف الشرعي لا يؤدي في أكثر الأحيان إلى ردع المكلف عن الوقوع في المعصية ما لم تعدد النفس على أمثاله فعلاً أو تركاً.

ومن كان له حظ من الإيمان يمكنه وبمنعه من المخالفة ويدعوه إلى امتثال التكليف الشرعي باعتبار المفسد والمصالح المستبطنة في الأحكام الشرعية، أو باعتبار الثواب والعقاب المترتب على الأفعال، أو باعتبار دائرة وسعة مولوية المولى تعالى، أو لأي اعتبار آخر فإن هذه الاعتبارات قد تضعف للأسباب أو في حالات خاصة، فإنّ طريق تقوية هذه الأمور هو أن تكون مقترنة بتعويد النفس على فعل الخير وترك المنكر كما ورد في الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يَوْقَهُ» يروى أنّ الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كان إذا أذنب له عبد أعتقه ف قيل له في ذلك فقال إني أريد بفعلتي هذا

١ - راجع: عبد المقصود عبد الغني خشبة، النظرية الخلقية في الإسلام، ص ٤٩-٥١. وراجع أيضاً: محمد

ضياء الدين الكردي، الأخلاق الإسلامية والصوفية، ص ٢٤-٣٥.

تعلم الحلم وقيل كان له عبد سيء الخلق فقيل له ما بقاء مثل هذا عندك وأنت قادر على أن تستبدل به غيره قال لأتعلم به الحلم. وورد عنه عليه السلام: «الخير عادة» وفي تعبير آخر «عودوا أنفسكم الخير».

ولذا فإنّ التجاهر بالذنب قد يعود النفس على الفعل بل على الأنس به؛ وذلك لأنّ أحد العوامل المساعدة على تكوّن العادة هو وجود الحوافز أو الميول التي تمثّل البيئة الخصبة لنمو العادة وترعرعها فيها، فالنفس قد تستلذّ الباطل بسبب العادات التي اعتادتها، فتميل إلى هذا الباطل والقبائح المعتادة، مع أن ميلها إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع، ومن هنا فلا بدّ كان الأحرى أن يمارس الإنسان الحق والخير حتى يصير له عادة، وإذا كان الميل إليه ضعيفاً وجب إثارة الوجدان وإنشاء الرغبة في العمل بهما والتعود عليهما.

كما أن العادة ربما أدّت بصاحبها إلى استحلال المعصية؛ فيكفر بذلك والعياذ بالله، حيث يؤدي به ذلك إلى إباحة المعصية واستحلالها ولاشك أن استحلال المعاصي واستباحتها من أخطر الأمور على عقيدة المسلم .

أنّها دليل على سوء الخلق والوقاحة وقلة أدب صاحبها .

أنّها دليل على قسوة القلب واستحكام الغفلة من قلب المجاهر.

دراسة حول كتاب مصباح الشريعة

□ الشيخ إبراهيم جواد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، أما بعد:-
يعتبر كتاب «مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة» المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام من الكتب المتداولة بين أهل العلم ولا سيما فيما يتعلق ببحوث الأخلاق وتزكية النفس، وقد اختلفت كلمات الأعلام في نسبته إلى الإمام نفيًا وإثباتًا، حيث ذهب بعضهم إلى تصحيح نسبته إلى الإمام الصادق عليه السلام، وذهب البعض الآخر إلى نفي نسبته إليه جازمًا، وفي هذه المقالة نستعرض بعض التفاصيل حول هذا الكتاب في عدة مباحث مهمة إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول: نظرة عامة للتعرف على كتاب «مصباح الشريعة»

كتاب «مصباح الشريعة» مصنفٌ أخلاقيٌّ تدور مواعظه حول التزكية وتهذيب النفس، ويكثر تداوله في الأبحاث الأخلاقية والعرفانية نظرًا لما يحتويه من مواعظ وإرشادات أخلاقية وسلوكية، وبالنسبة إلى محتواه فإن الكتاب يقع في مائة فصلٍ تبتدئ بعبارة (قال الصادق عليه السلام)، وقد ورد في أغلب هذه الفصول بعد ذكر الكلام المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام كلامٌ عن بعض الأنبياء والأئمة عليهم السلام والصحابة والتابعين وغيرهم، وهم:

١. النبي محمد ﷺ.
 ٢. الإمام أمير المؤمنين ع.
 ٣. الإمام علي بن الحسين السجاد ع.
 ٤. الإمام محمد بن علي الباقر ع.
 ٥. النبي نوح ع.
 ٦. النبي عيسى بن مريم ع.
 ٧. النبي يحيى بن زكريا ع.
 ٨. النبي داود ع.
 ٩. النبي أيوب ع.
 ١٠. الصحابي سلمان الفارسي ر.
 ١١. الصحابي عبد الله بن مسعود.
 ١٢. الصحابي أبو ذر الغفاري ر.
 ١٣. الصحابي أبو الدرداء.
 ١٤. الصحابي أبي بن كعب.
 ١٥. امرأة من أهل بيت أبي ذر الغفاري.
 ١٦. الصحابي زيد بن ثابت.
 ١٧. ربيع بن خثيم.
 ١٨. كعب الأحبار.
 ١٩. وهب بن منبه.
 ٢٠. أويس القرني.
 ٢١. سفيان بن عيينة، وهو من أتباع التابعين.
- كما قد تَضَمَّنَتْ بعض النقولَات أحاديثَ قَدْسِيَّةً، ونقولَات مَبْهَمَة المصدر نَحْو:
- (قال بعض أهل البيت) و(قالت الحكماء) وهي قليلة جداً.

والجو العام لنصوص الكتاب في جانب المواعظ الأخلاقية والسلوكية غالباً، وإن كانت بعض المباحث العقائدية والمسائل الفقهية حاضرة فيه، إلا أن الجانب الأكثر بروزاً هو جانب الوعظ الأخلاقي وما يختص بتهذيب النفس.

وبالنسبة لتاريخ هذا الكتاب في التراث الشيعي، فإننا لم نظفر بذكر له في فهرس المتقدمين ومن تلاهم كما في مصنفات النجاشي والشيخ ومنتجب الدين بن بابويه الرازي وابن شهر آشوب، وكان أول من ذكره هو السيّد ابن طاوس (المتوفى سنة: ٦٦٤ هـ) في كتابه (الأمان من أخطار الأسفار والأزمان)^(١)، وجرت بعده نسبة الكتاب إلى الإمام الصادق عليه السلام في أوساط علماء الشيعة كما سيتضح لك فيما يأتي.

والحاصل في المقام أن نسبة الكتاب إلى الإمام لا تخلو عن فرضين، إمّا أنه كتبه بنفسه، فيكون كل المسطور مما خطّه يده المباركة عليه السلام، أو أنه مما كتبه بعض تلامذته، وسيأتي المزيد من البيان حول المؤلف.

المبحث الثاني: أقوال العلماء في نسبة الكتاب

اختلف العلماء في نسبة الكتاب، فذهب فريق منهم إلى أن الكتاب للإمام الصادق عليه السلام، بينما ذهب آخرون إلى نفي نسبته مع إضافة تفاصيل نذكرها فيما يأتي. ومن المثبتين لنسبة الكتاب:

١. السيد ابن طاوس عليه السلام.

قال عليه السلام فيما ينبغي للمسافر أن يأخذه معه: (يصحب معه كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة عن الصادق عليه السلام فإنه لطيف شريف في التعريف بالتسليك إلى الله جلّ جلاله والإقبال عليه والظفر بالأسرار التي اشتملت عليه)^(٢).

٢. الشيخ الكفعمي عليه السلام.

١ - علي بن موسى بن طاوس، الأمان من أخطار الأسفار والأزمان، ص ٩١-٩٢.

٢ - علي بن موسى بن طاوس، الأمان من أخطار الأسفار والأزمان، ص ٩١-٩٢.

قال: (ومن كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، قال الصادق عليه السلام: إعراب القلوب على أربعة أنواع:... إلخ) ونقل عنه أيضاً في موارد أخرى، منها: وجه تسمية المستراح، فضيلة السخاء، فضيلة الحلم، فضيلة المصافحة، إصلاح السريرة، مراتب التقوى ^(١).

٣. الشهيد الثاني رحمته الله.

نقل في كتابه (مسكن الفؤاد) فصلاً كاملاً من مصباح الشريعة، ثم قال: (هذا الفصل كله من كلام الصادق عليه السلام) ^(٢).

٤. الشيخ محمد تقي المجلسي رحمته الله.

قال رحمته الله: (وعليك بكتاب مصباح الشريعة رواه الشهيد الثاني رضي الله عنه بأسانيده عن الصادق عليه السلام ومثله يدل على صحته) ^(٣).

٥. القاضي سعيد القمي رحمته الله.

نقل عنه في شرحه لكتاب «التوحيد» للشيخ الصدوق ^(٤).

٦. الشيخ الحويزي رحمته الله.

نقل عنه في تفسيره في مواضع متعددة ^(٥).

٧. الميرزا النوري الطبرسي رحمته الله.

دافع عن نسبة الكتاب في خاتمة مستدركه ^(٦).

١ - إبراهيم بن علي الكفعمي، مجموع الغرائب وموضوع الرغائب، ص ٥٠-٥١.

٢ - زين الدين بن علي الجبجي العاملي، مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد، ص ٥٨.

٣ - محمد تقي المجلسي، روضة المتقين «شرح من لا يحضره الفقيه»، ج ١٩، ص ٤٢٢.

٤ - محمد بن محمد مفيد القمي، شرح توحيد الصدوق، ج ١، ص ٧٢٦-٧٤١، ح ٣٦.

٥ - عبد علي بن جمعة الحويزي، نور الثقلين، ج ١، ص ٣٥/٤٣ ص ٩٥/٧٥.

٦ - حسين النوري الطبرسي، خاتمة مستدرك الوسائل، ج ١، ص ١٩٤.

٨. الشيخ أحمد آل طعّان البحراني رحمته الله.

نقل عنه في كتابه (الرسائل الأحمدية)، ودافع عنه في بعض المواضع^(١).

٩. الشيخ علي أكبر النهاوندي الخراساني.

أيّد نسبته للإمام عليه السلام في كتابه (بيان رفيع در بيان حالات خواجه ربیع)، وقد ذكر السيد المحدث جلال الدين الأرموي ذلك القسم في مقدمة تحقيقه لشرح عبد الرزاق الكيلاني.

وكذلك نقل عن هذا الكتاب غيرهم من أهل العلم ممن لا يتسع المقام لذكرهم جميعاً، ولكن لعلّ من المفيد أن يُشار إلى ملاحظة، وهي أنّ النقل من الكتاب قد لا يُلّازم القول باعتباره ضرورةً، بناءً على التسامح في النقل ولا سيّما عند المؤلفين في علم الأخلاق، فقد لا يكون النقل بناءً على القول بالاعتبار، وإنما جرياً على جواز التسامح في مثل هذه الموارد.

أما النافون لنسبة هذا الكتاب، فمنهم:

١. الحر العاملي رحمته الله.

قال: (ما ثبت عندنا كونه غير معتمد، فلذلك لم ننقل منه فمن ذلك كتاب مصباح الشريعة المنسوب إلى الصادق عليه السلام فإنّ سنده لم يثبت وفيه أشياء منكّرة مخالفة للمتواترات، وربما نسب تأليفه إلى الشيخ زين الدين، وهذه النسبة باطلة؛ لأنّه مذكور في أمان الأخطار لابن طاوس)^(٢).

٢. الشيخ محمد باقر المجلسي رحمته الله.

١- أحمد آل طعّان البحراني، الرسائل الأحمدية، ج ٣، ص ١٧٥-١٧٦.

٢- محمد بن الحسن الحر العاملي، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، ج ٨، ص ٥٥٠.

قال: (وكتاب مصباح الشريعة فيه بعض ما يريب اللبيب الماهر، وأسلوبه لا يشبه سائر كلمات الأئمة وآثارهم)^(١)، ونُقلَ عنه أنّه كان يقول إنّ مؤلف الكتاب هو شقيق البلخي، قال الشيخ آقا بزرك الطهراني في ذريعته: (ورأيتُ نسخةً كُتِبَ في حاشيتها نقلاً عن خطِّ الشيخ سليمان الماحوزي ما سمعه الشيخ سليمان عن العلامة المجلسي أنّه كان يقول المجلسي إنّ مؤلف مصباح الشريعة هو شقيق البلخي)^(٢)، وهذه النسخة التي رآها الشيخ الطهراني هي نسخة من كتاب «العجالة في شرح حديث أبي ليلى المخزومي»، تأليف الشيخ سليمان الماحوزي، وقد نسخها الشيخ عبد الرزاق بن محمد بن سعيد المقابي زمن حياة الماحوزي، ونقل المقابي كلام المجلسي عن خطِّ الشيخ سليمان، قال الشيخ آقا بزرك الطهراني في طبقاته: (عبد الرزاق المقابي: ابن محمد بن سعيد، كتب العجالة في شرح حديث أبي ليلى المخزومي لسليمان الماحوزي (١٠٧٥-١١٢١هـ) في حياة المؤلف (١١١٥ هـ)، رأيتُ النسخة في مكتبة الشيخ علي القمي في النجف، وقد كُتِبَ عبدُ الرزاق المذكور «العجالة» ضمن مجموعة كبيرة كلها بخطّه، كانت عند الشيخ علي القمي المذكور، وقد استعارها عن عباس المحدث القمي، وفيها عدّة كتب أخر منها: «خلاصة الأذكار» و«ميزان القيامة» و«أمان الأخطار» و«مصباح الشريعة»، وبعض ما نقله عن خطِّ سليمان المذكور، فإنّه كتب سليمان في بعض حواشيه أنّه سمع عن المجلسي في (١١١٠) إنّ مؤلف مصباح الشريعة هو شقيق البلخي)^(٣).

٣. الميرزا عبد الله الأفندي الأصفهاني رحمته الله.

قال: (ثم لنذكر ما أطلعنا عليه من كتب الإماميّة مما لم نعثر إلى الآن على مؤلفيها، فمن ذلك كتاب مصباح الشريعة في الأخبار والمواعظ، وهو كتاب معروف متداول،

١- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ١، ص ٣٢.

٢- آقا بزرك الطهراني، الذريعة، ج ٢١، ص ١١١.

٣- آقا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ج ٩، ص ٤٢٩.

وقد يُنسب إلى هشام بن الحكم على ما رأيته بخط بعض الأفاضل، وهو خطأ؛ أمّا أولاً: فلأنه اشتمل على الرواية عن جماعة هم متأخرون عن هشام^(١)، وأمّا ثانياً: فلأنه يحتوي على مضامين تنادي على أنه ليس من مؤلفاته، بل هو من مؤلفات بعض الصوفيّة كما لا يخفى^(٢).

٤. السيد عبد الله شبر رحمته الله.

قال: (الكتاب المذكور غير معلوم مؤلفه ولا حاله)^(٣).

٥. السيد حسين البروجردي رحمته الله.

نقل عنه السيد موسى الشبيري الزنجاني في كتابه (جرعه از دريا) قوله إنّ كتاب مصباح الشريعة للشيخ أبي القاسم القشيري رئيس المتصوّفة^(٤).

وقد استثنى في موسوعة «جامع أحاديث الشيعة» الأحاديث المنقولة عن المصباح كما ذكر ذلك في المقدمة عند بيان المنهج^(٥).

٦. الشيخ محمد رضا المظفر رحمته الله.

قال في مقدمته لكتاب (جامع السعادات): (من أهمّ ما يؤخذ به كتابنا هذا اعتماده على المراسيل في الأحاديث، وتسجيل كل ما يرى أمامه من المنقولات غثها وسمينها، من دون إشارة إلى التمييز ولا إلى المصادر حتى نقل كثيراً عن «إحياء العلوم»، وتعتمد النقل عن مثل جامع الأخبار ومصباح الشريعة اللذين يشهد أسلوبهما على وضع أكثر ما فيهما)^(٦).

١ - ليس في النسخة المتداولة لمصباح الشريعة نقل عن رجال متأخرين عن هشام بن الحكم، وقد نقض بهذا عليه الميرزا النوري في خاتمة مستدرك الوسائل، ج ١، ص ٢٠٨.

٢ - عبد الله الأفندي الأصفهاني، رياض العلماء وحياض الفضلاء، ج ٦، ص ٤٥.

٣ - عبد الله شبر، مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار، ج ٢، ص ٣٤٠، ح ٢٥٧.

٤ - موسى الشبيري الزنجاني، جرعه از دريا، ج ١، ص ٩٨.

٥ - حسين البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج ١، ص ٢١.

٦ - محمد رضا المظفر، جامع السعادات، مقدمة التحقيق: ص ١٦.

٧. السيد الإمام الخميني رحمته الله.

قال: (وأما رواية مصباح الشريعة الدالة على التفصيل بين وصول الغيبة إلى صاحبها وعدمه فلا تصلح للاستناد إليها؛ لعدم ثبوت كونها رواية فضلاً عن اعتبارها بل لا يبعد أن يكون كتابه من استنباط بعض أهل العلم والحال ومن إنشاءاته)^(١).

٨. السيد شهاب الدين المرعشي النجفي رحمته الله.

قال: (وما درى المسكين في العلم والتبوع والتثبت والضبط أن كتاب مصباح الشريعة وما يشبهه من الكتب المودعة فيها أمثال هذه المناكير مما لفقتها أيادي المتصوفة في الأعصار السالفة وأبقتها لنا تراثاً)^(٢).

٩. السيد حسن الصدر رحمته الله.

ذُكر في جملة مصنّفاته أنَّ له «رسالة في أنَّ مؤلف مصباح الشريعة إنما هو الشيخ سليمان الصهرشتي تلميذ المرتضى، اختصره من كتاب شقيق البلخي»^(٣).

١٠. الشيخ مسلم الداوري.

قال: (والحاصل: إنَّ الكتاب وإن كان غير محتاجٍ إلى طريق، إلا أنَّ نسبته إلى الإمام غير محرّزة)^(٤).

المبحث الثالث: الإشكالات الواردة على نسبة الكتاب

١- من جهة السند

١- روح الله الخميني، المكاسب المحرّمة، ج ١، ص ٤٨١.

٢- شهاب الدين المرعشي النجفي، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، ج ١، ص ١٨٤.

٣- ذكر ذلك الشيخ محمد حسين الواعظ النجفي في سيرة السيد حسن الصدر التي جعلت ضمن مقدمة تحقيق كتاب «تأسيس الشيعة الكرام لعلوم الإسلام»، انظر المقدمة: ص ٧٢.

٤- مسلم الداوري، أصول علم الرجال بين النظرية والتطبيق، ص ٣٦٣.

لا نجدُ فيما بين أيدينا سنداً للكتاب، حتى أنّ من أيدَ نسبته إلى الإمام الصادق عليه السلام لم يذكر سنداً إلى الكتاب، وقد ذكر الميرزا النوري رحمه الله في خاتمته أنّ أصحاب الفهارس قد ذكروا ستة من الرواة روى كل واحدٍ منهم نسخةً عن الإمام الصادق عليه السلام، واحتمل أنّ يكون الفضيل بن عياض أحدهم وصرّح بأنه يعتقد أنّ الكتاب من جمعه^(١)، وهذا البناء كله لا يقوم إلا على جملة من الظنون المركبة التي لا تفيد اطمئناناً، فإنّ مجرد وجود عدّة نسخٍ لجملة من أصحاب الصادق عن الإمام لا يعني بالضرورة كون مصباح الشريعة أحدها.

والعجيب في المقام قول المجلسي الأول إنّ الشهيد الثاني قد روى الكتاب بأسانيده إلى الإمام الصادق عليه السلام^(٢)، وليس عند الشهيد الثاني أو غيره أيّ إسنادٍ لهذا الكتاب، ولو كان لذكره المثبتون لنسبة الكتاب، حتّى أنّ الميرزا النوري -وهو المعروف بسعة تتبعه واطّلاعه - لم يجد طريقاً إلى القول باعتباره سوى الاحتمالات التي أشرنا إليها، ولم يذكر أيّ إسنادٍ للكتاب.

٢- من جهة المتن

وأما من هذه الجهة، فترد عدّة إشكالات منها:

الإشكال الأول: لحن الكتاب موافق للإنشاء الصوفيّ.

وهذا المطعن قد أشار إليه العلامة المجلسي وتلميذه الميرزا الأصفهاني، وبدا هذا جلياً في كلام السيد الإمام الخميني^(٣) والسيد شهاب الدين المرعشي كما تقدم، وقد

١- حسين النوري الطبرسي، خاتمة مستدرک الوسائل، ج ١، ص ٢١٥.

٢- محمد تقي المجلسي، روضة المتقين «شرح من لا يحضره الفقيه»، ج ١٩، ص ٤٢٢.

٣- لا يخفى أنّ شهادة السيّد الإمام الخميني رحمه الله في تقييم لحن الكتاب وسبكه ذات قيمة عالية؛ لأنّه خيرٌ بكلماتهم وعارف بلحنهم واصطلاحاتهم؛ وتعبيره عن الكتاب بأنّه ليس رواية بل من إنشاء بعض «أهل الحال» نصّ صريح في نسبة الكتاب إلى المتصوفة.

حاول الميرزا النوري نقض هذا الإشكال، فقال^(١): (إن كلماتهم وعباراتهم في كشف المطالب المتعلقة بالمعارف والأخلاق، مختلفة بحسب الألفاظ والتأدية، وإن لم تختلف بحسب المعنى والحقيقة، وهذا ظاهر لمن أجال الطرف في أكناف كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وسائر الأئمة عليهم السلام في هذه المقامات، وليس لمن تقدم الصادق عليه السلام من الصوفية، كطاووس اليماني، ومالك بن دينار، وثابت البناني، وأيوب السجستاني، وحبيب الفارسي، وصالح المري، وأمثالهم كتاب يعرف منه أن المصباح على أسلوبه، ومن الجائز أن يكون الأمر بالعكس فيكون الذين عاصروه عليهم السلام منهم، أو تأخروا عنه، سلكوا سبيله عليه السلام في هذا المقصد، وأخذوا ضغثاً من كلماته الحقّة، ومزجوها بضغث من أباطيلهم، كما هو طريقة كل مبدع مضل، ويؤيده اتصال جماعة منهم إليه وإلى الأئمة من ولده، كشقيق البلخي، ومعروف الكرخي، وأبي يزيد البسطامي طيفور السقا، كما يظهر من تراجهمهم في كتب الفريقين، فيكون ما ألف بعده على أسلوبه ووتيرته، ثم نقول: ليس في هذا الكتاب من عناوين أبوابه شيء لا يوجد في كثير من الأخبار مثله سوى عناوين ثلاثة أبواب من أول الكتاب، ولكن ما شرحه وفصله فيها كلها مما عليه الكتاب والسنة، مع أنه يوجد في جملة من أدعيته ومناجاتهم وخطبهم من العبارات الخاصة والكلمات المختصة ما لا يوجد في سائر كلماتهم، فارجع البصر إلى المناجاة الإنجيلية الكبرى والوسطى، وآخر دعاء كميل، والمناجاة الخمسة عشر التي عدها صاحب الوسائل في الصحيفة الثانية من أدعية السجادة عليه السلام ونسبها إليه من غير تردد، مع أنه لا يوجد لها سند، ولم يحتو عليها كتاب معتمد، وليس في تمام المصباح ما يوجد فيها من الألفاظ الدائرة في أسنة القوم).

ويلاحظ عليه:

أولاً: إنّ دعوى كون بعض الألفاظ الواردة في المصباح من لحن الإمام وسبكه، وأن أعلام الصوفية قد جروا عليه فيما بعد، قول لا يخرج عن دائرة الاحتمال، وضعفه

١- حسين النوري الطبرسي، خاتمة مستدرک الوسائل، ج ١، ص ٢٠٥-٢٠٦.

ظاهر؛ لا سيما وأنّ لحن كلامهم ﷺ في الكتب المعتمدة مغايرٌ وخالفٌ عن تلك المفردات، فإننا إذا تتبعنا مواعظهم في أخبارنا بالكتب المعتمدة لا نجد هذه الألفاظ المخصوصة، وأما الاستشهاد لذلك بما حاله حال المصباح كالمناجاة الخمسة عشر وغيرها من وجادات القرون المتأخرة فليس بسديد؛ لا سيما وأنّ بعض الألفاظ الواردة في بعض المناجاة المذكورة في الصحيفة الثانية التي صنّفها الحر العاملي محلّ تأملٍ أيضاً، ويزيد الرّيب أيضاً أنّ تنفرد هذه الوجادات المتأخرة بلحنٍ لا يشبه لحن روايات كتب المتقدمين على ما فيها من المواعظ المطوّلة والنصائح المفصّلة، والعجيبُ كذلك أنّ لا نجد استشهاداً لمثل هذا اللحن من الكلام إلّا بروايات القرون المتأخرة ووجاداتها المشكوكة، فهذا الشيخ علي أكبر النهاوندي الخراسانيّ أيضاً يحاول تقريب لحن الكلام بما جاء في «حديث الحقيقة» المروي عن كميل بن زياد (رض) عن أمير المؤمنين ﷺ^(١)، وهذا الحديث أردى حالاً مما سواه، إذ لم يرو في كتاب معتبر ولا سند له، فضلاً عن ظهور مصطلحات الصوفيّة المتأخرة فيه، والقول فيه بتوسّع فصلناه في محله. وهذا الحال إنّ دلّ على شيءٍ فإنما يدلّ على خلوّ كتب الأعلام المتقدمين من شواهد لفظيّة تشهد لأسلوب هذه الوجادات المتأخرة المفتقدة لقرائن الصحة والاعتبار.

ثانياً: إنّ دعوى خلوّ المصباح من الألفاظ الدائرة على ألسنة القوم غير صحيحة؛ وبالتأمّل في عباراته يظهر منها ذلك، ومنها:

قوله: (فإذا شرب كأساً من هذا المشرب حينئذ لا يختار على ذلك الحال حالاً، ولا على ذلك الوقت وقتاً)^(٢).

١- عبد الرزاق الكيلاني، شرح مصباح الشريعة، مقدمة المصحح جلال الدين الأرموي، ٢٤.

٢- حسن مصطفوي، ترجمة مصباح الشريعة، الباب ١٤: في قراءة القرآن، ص ٥٨-٥٩.

والتعبير عن قراءة القرآن أو أي عبادة أخرى بالشرب من الكأس غير مأنوسٍ في كلام الأئمة الأطهار عليهم السلام، وهذه - رمزية الشرب والكأس - كثيرةٌ جداً في شعر التصوف ونثره، ومنه قول أحدهم: (سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته) ^(٤٨٠)، ومما قيل شعراً:

عجبت لمن يقول ذكرتُ ألفي وهل أنسى فأذكر ما نسيت؟
أموت إذا ذكرتُك ثم أحيَا ولولا حسن ظني ما حيت
فأحيَا بالمني وأموت شوقاً فكم أحيَا عليك وكم أموت؟
شربتُ الحبَّ كأساً بعد كأسٍ فما نفذ الشراب وما رويت ^(٤٨١)
ومنه قول ابن الفارض في تائيته:

سَقَتْنِي حُمَيَّا الحبِّ راحَةً مَقَلَّتْنِي وَكَأْسِي مُحَيَّا مَنَ عَنِ الحُسْنِ جَلَّتْ
وشرحه القيصري بقوله:
(سَقَتْنِي راحَةً إنسان عيني شرابَ المحبة، والحال أنَّ كأس ذلك الشراب كان وجه من جَلَّتْ
وتعالَت عن الحُسْن) ^(٤٨٢).

ومنه قول الشاعر الإيراني حافظ الشيرازي في أول بيت من غزلياته:
أَلَا أَيُّهَا السَّاقِي أَدْرْ كَأْساً وَنَاوِلْهَا
كه عشق آسان نمود اول ولی افتاد مشکلها
وهذه الرمزية الثنائية متكررة في شعرهم ونثرهم، ومشروحٌ في بعض المعاجم عند التعرُّص إلى شرح مصطلحي «السُّكر» و«الشارب» ^(٤٨٣).

٤٨٠- عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٥٢٥.

٤٨١- عبد الكريم بن هوازن القشيري، م.ن، ص ٥٢٦.

٤٨٢- داود بن محمود القيصري، شرح تائية ابن الفارض، ص ٧.

٤٨٣- رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص ٤٦٩-٤٧٣ / ص ٤٨٧-٤٨٨.

فضلاً عن ذلك، الجمعُ بين مصطلحي الحال والوقت في العبارة، وهما مما شاع في كلماتهم، وقد شرحهما أبو القاسم القشيري في رسالته عاداً إياهما من مصطلحات الرّمز عند الصوفية التي يستعملونها لـ «تكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرَ منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها»^(١).

وشرحه الهجويري في كتابه «كشف المحجوب» بعد أن عذّهما من مصطلحاتهم الموضوعية لـ «كمون وظهور كلامهم ليتصرفوا بها في طريقتهم ويظهروها لمن يريدون، ويخفونها عمن يريدون»^(٢).

وذكرهما شهاب الدين السهروردي المقتول في «كلمة التصوف» عند شرح بعض مصطلحات الصوفيّة، فقال: (الوقت عندهم ليس عبارة عن مجرد لذة أو نور، بل عبارة عن هيئة فلكيّة أوجبت حصول هيئة للنفس الناطقة طرأت بطريقتها وزالت بزوالها، فقالوا: «الوقت سيفٌ قاطع»، و«الصوفيُّ ابن الوقت»)^(٣).

وأدرجهما عبد الرزاق الكاشاني في معجمه الذي وضعه لتفسير مصطلحاتهم^(٤)، ولا يكاد يخلو كتابٌ يتكلم عن أحوال العارف ومقاماته من الحديث عن الوقت والحال.

١. قوله: (الحزن من شعار العارفين؛ لكثرة واردات الغيب على أسرارهم)^(٥). وفيه أن اصطلاح «العارف» في أخبارنا لم يأت بالمعنى الدارج في الأعصار المتأخرة فإنه في هذه الأوقات يُطلق على أصحاب المشرب العرفاني، أما في الروايات

١- عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، ص ١٣٠ ص ١٣٣.

٢- علي بن عثمان الهجويري، كشف المحجوب، ج ٢، ص ٦١٣.

٣- شهاب الدين السهروردي، كلمة التصوف، ص ١٦٧، الفصل ٢٣، وكلامه عن مصطلح الحال في ص ١٦٠.

٤- عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفيّة، ص ٨١/ص ٣٢٧.

٥- حسن مصطفوي، ترجمة مصباح الشريعة، الباب ٩٢: باب في الحزن، ص ٤١٩.

الشريفة عن الأئمة عليهم السلام فإنه يُطلق على خصوص المؤمن المعتقد بإمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومن نماذج الروايات في هذا الباب ما رواه الكليني: (عن عمار الساباطي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن الأذان، هل يجوز أن يكون من غير عارف؟ قال: لا يستقيم الأذان، ولا يجوز أن يؤذن به إلا رجل مسلم عارف..)^(١)، وروى أيضاً: (عن الفضيل بن يسار، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن نكاح الناصب، فقال: «لا والله ما يحل»، قال فضيل: ثم سألته مرة أخرى، فقلت: جعلت فداك، ما تقول في نكاحهم؟ قال: «والمرأة عارفة؟» قلت: عارفة. قال: «إن العارفة لا توضع إلا عند عارف»)^(٢)، ومنشأ هذا الإطلاق هو أن العارف يعرف إمام زمانه، والروايات في هذا المعنى كثيرة لا يسعها المقام.

أمّا إطلاقه على غير الاثني عشري فهو موجودٌ في كلمات الصوفيّة، ويعنون به الإنسان العارف بالله تعالى الذي يتوفّر على جملة من الخصائص وفقاً لمعتقدهم. أما اصطلاح «واردات الغيب» فلم يرد في رواياتنا مطلقاً، وهو من مصطلحات الصوفيّة أيضاً، وفي ذلك يقول الشيخ محيي الدين ابن عربي: (اعلم أيّدنا الله وإياك بروح منه أن البوادة والهجوم والصحو والسكر والذوق والشرب وأمثالها إنما هي واردات الغيب ترد على القلوب فتؤثر فيها أحوالاً مختلفة فيمن قامت به ويسمون ذلك الحال بالوارد)^(٣)، وقد شرح القشيري مصطلح «الوارد» في رسالته^(٤)، وكذلك الكاشاني في معجمه^(٥)، ويُروى عن الحلّاج قوله: (وإن ورد عليك بعض إشارة ورمز،

١- محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ٦، ص ١٢٣، رقم الحديث ٤٩٤٤، كتاب الصلاة، باب بدء الأذان والإقامة وفضلهما وثوابهما، ح ١٣.

٢- محمد بن يعقوب الكليني، م، ج ١٠، ص ٦٣٩-٦٤٠، رقم الحديث ٩٥٣٥، كتاب النكاح، باب مناهضة النّصّاب والشكّاك، ح ١١.

٣- محيي الدين ابن عربي، الفتوحات المكيّة، ج ٤، ص ٢٨٠، الباب ٢٥٩: في معرفة الهجوم والبوادة.

٤- عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، ص ١٧٢.

٥- عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفيّة، ص ٧٣.

فلولا أن تكون الواردات متصلة، والأحوال مشتبهة مشتركة في المنزلة لما تقابلت الواردات ولا تساوت الحالات ..^(١).

وقال الشيخ روزبهان بن أبي نصر البقليّ في كتابه «مشرب الأرواح»: (ويطلب طرق الرشاد بنور العقل والإيمان كل من له فهم من الله تعالى، فإذا وقع في الهيجان ويهجم عليه واردات الغيب يروم بجميع مشاهدة الرب سبحانه وتعالى.. إلخ)^(٢)، وهذا المصطلح كثير الاستعمال في كلماتهم، وقد أشار القشيري إلى هذا بقوله: (ويجري في كلامهم ذكر الواردات كثيراً)^(٣)، وقد ذكره أيضاً بعض المعاصرين من أصحاب المعاجم المختصة باصطلاحات الصوفيّة^(٤).

٢. قوله: (الصمت شعار المحققين بحقائق ما سبق وجفّ القلم به)^(٥).

واصطلاح المحققين لم يرد في رواياتنا أيضاً، وإنما هو مشهورٌ في كلمات الصوفية، ويريدون به مرتبةً من مراتب أهل المعرفة، ومن نماذج بيانهم لها، ما قاله الشيخ عبد الغني النابلسي في شرح رسالة طريقة النقشبندية لتاج الدين النقشبندي: («وحيثُ كان عند المحققين»: الصوفيّة أهل طريق الله الواقفين على مراكز الشريعة المحمديّة)^(٦).

١- علي بن أنجب الساعي البغدادي، أخبار الحلاج، ص ٩٤.

٢- روزبهان بن أبي نصر البقلي، مشرب الأرواح، ص ٦٤، الباب الرابع: في مقامات الصديقين، الفصل الثالث: في الإرادة.

٣- عبد الكريم بن هوازن القشيري، م.ن، ص ١٧٢.

٤- عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفيّة، ص ٢٦٣/ رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص ١٠٢٠-١٠٢٣.

٥- حسن مصطفوي، ترجمة مصباح الشريعة، الباب ٢٧: في الصمت، ص ١١٧.

٦- عبد الغني النابلسي، مفتاح المعية شرح رسالة طريقة السادة النقشبندية للشيخ الولي تاج الدين النقشبندي، ص ٥٣.

ورؤى عن أبي حفص النيسابوري (ت: ٢٧٠ هـ): (ما أبعد ذكرنا من المحققين! فما أظن أن محققاً يذكر الله عن غير غفلة ثم يبقى بعد ذلك حياً إلا الأنبياء فإنهم أيدوا بقوة النبوة وخواص الأولياء بقوة ولايتهم)^(١).

وذكر عبد الرزاق الكاشاني «التحقيق» في شرحه على المنازل مفصلاً^(٢)، ثم شرحه في معجمه فقال: (التحقيق شهود الحق في صور أسمائه التي هي الأكوان، فلا يحجب المحقق بالحق من الخلق، ولا بالحق عن الحق)^(٣). وقال الهجویری: (أما التمكين فهو عبارة عن إقامة المحققين في محل الكمال والدرجة العليا)^(٤)، وذكره الدكتور عبد المنعم الحفني في «معجم مصطلحات الصوفية»^(٥) والدكتور رفيق العجم في «موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي»^(٦).

٣. قوله: (وإذا استقام على بساط الأنس بالمحبوب مع أداء أوامره واجتناب نواهيه وصل إلى روح المناجاة والقرب)^(٧).

واصطلاح «بساط الأنس» متداول في كلامهم، وهو من مقامات العارفين عندهم، وقد روى السلمي في «طبقات الصوفية» جملة من عباراتهم المتضمنة لهذا المصطلح، ومن ذلك ما رواه عن أبي محمد الجريدي (ت: ٣١١ هـ)، قال السلمي: (سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الطبري يقول: قال رجل لأبي محمد الجريدي: كنت على بساط الأنس، وفتح لي طريقاً إلى البسط، فزللت زلّة، فحُجبت عن مقامي، .. إلخ)^(٨).

١- محمد بن الحسين السلمي، طبقات الصوفية، ص ١١٦-١١٧.

٢- عبد الرزاق الكاشاني، شرح منازل السائرين، ج ٢، ص ٧٨٣، باب التحقيق.

٣- عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص ١٧٤.

٤- علي بن عثمان الهجویری، كشف المحجوب، ج ٢، ص ٦١٧.

٥- عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ص ٤٣.

٦- رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص ١٦٧-١٦٨.

٧- حسن مصطفوي، مصباح الشريعة، ص ٤، الباب ١.

٨- محمد بن الحسين السلمي، طبقات الصوفية، ص ٢٦٤، الطبقة الثالثة: أبو محمد الجريدي.

وقال أبو العباس بن عطاء (ت: ٣١١ هـ): (...ومن تأدب بآداب الصديقين فإنه يصلح لبساط المشاهدة، ومن تأدب بآداب الأنبياء فإنه يصلح لبساط الأنس)^(٥٠٨).
وقال طاهر المقدسي: (لا يطيب العيش إلا لمن وطأ بساط الأنس)^(٥٠٩).
وعن إبراهيم بن داود الرقي (ت: ٣٢٦ هـ): (الأنبياء منبسطون على بساط الأنس، والأولياء على درجات الكرامة)^(٥١٠).
٤. قوله: (وعلامة النفاق قلّة المبالاة بالكذب، والخيانة والوقاحة والدعوى بلا معنى).

«الدعوى» من مصطلحات الصوفية الرائجة في كلماتهم وأشعارهم أيضاً، ويستعملونه في الحديث عما كان من دعوى لا حقيقة له وأنها دعوى بلا معنى وصاحبها مذموم، وقد ذكر بعض المعاصرين في معاجمهم هذا المصطلح أيضاً^(٥١١).
وفي ذلك يقول أبو البركات الأنباري النحوي (ت: ٥٥٧ هـ):

دَعِ الْفُؤَادَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْحَرَقِ	ليس التصوّفُ بالتلبّيسِ والخِرَقِ
بلِ التَّصَوُّفِ صَفْوُ الْقَلْبِ مِنْ كَدَرِ	ورؤية الصفو فيه أعظم الخرق
وصبر نفس على أدنى مطاعمها	وعن مطامعها في الخلق بالخلق
وترك دعوى بمعنى فيه حقه	فكيف دعوى بلا معنى ولا
	خلق؟ ^(٥١٢)

٥٠٨- محمد بن الحسين السلمي، م، ن، ص ٢٧٠، الطبقة الثالثة: أبو العباس بن عطاء.

٥٠٩- محمد بن الحسين السلمي، م، ن، ص ٢٧٥، الطبقة الثالثة: طاهر المقدسي.

٥١٠- محمد بن الحسين السلمي، م، ن، ص ٣٢١، الطبقة الثالثة: إبراهيم القصّار.

٥١١- رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص ٣٥٠-٣٥١/عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ص ٩٨.

٥١٢- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٢، ص ٥٩٩.

وروى السلمي في طبقاته عن أبي الخير الأقطع (ت: ٣٤٧ هـ): (الدعوى رعونة لا يحتمل القلب إمساكها فيلقبها إلى اللسان فتنتطق بها ألسنة الحمقى) (٥١٣).

وروى أيضاً عن أبي عمرو الزجاجي (ت: ٣٤٨ هـ): (...، والحمية في النفوس ترك الدعوى ومجانبتها) (٥١٤).

وقال أبو القاسم القشيري: (قوله: ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ...﴾: الإشارة إلى من أطلق لسان الدعوى من غير تحقيق) (٥١٥)، وشبه صاحب الدعوى بالمنافق كما هو الحال في عبارة مصباح الشريعة، وهذا ديدنهم في ذم صاحب الدعوى بلا معنى، قال القشيري: (أي مثل هؤلاء المنافقين مع النصير - في وعدهم بعضهم لبعض بالتناصر - كمثل الشيطان «إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ..»، وكذلك أرباب الفترة وأصحاب الزلة وأصحاب الدعاوى، هؤلاء كلهم في درجة واحدة في هذا الباب وإن كان بينهم تفاوت - لا تنفع صحبتهم في الله قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يُؤْمِنُ بِبَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، وكل أحد - اليوم - يألف شكله، فصاحب الدعوى إلى صاحب الدعوى، وصاحب المعنى إلى صاحب المعنى) (٥١٦).

وقال الأنصاري في منازل في بيان درجات التوكل: (وهو على ثلاث درجات كلها يسير مسير العامة، الدرجة الأولى: التوكل مع الطلب، ومعاطاة السبب على نية شغل النفس ونفع الخلق، وترك الدعوى)، وبينه الكاشاني في شرحه، فقال: (وأما «ترك الدعوى» فلأنه إن تجرد وانقطع

عن الأسباب خاف الفتنة على نفسه، لحسن ظن الناس في حقه وإقبالهم إليه بالإرادة) (٥١٧).

٥١٣- محمد بن الحسين السلمي، طبقات الصوفية، ص ٣٧٢، الطبقة الرابعة: أبو الخير الأقطع التيناتي.

٥١٤- محمد بن الحسين السلمي، م.ن، ص ٤٣٢، الطبقة الخامسة، أبو عمرو الزجاجي.

٥١٥- عبد الكريم بن هوازن القشيري، لطائف الإشارات، ج ١، ص ٣٣٨.

٥١٦- عبد الكريم بن هوازن القشيري، م.ن، ج ٣، ص ٥٦٤.

٥١٧- عبد الرزاق الكاشاني، شرح منازل السائرين، ج ١، ص ٣٢٤، باب التوكل.

٥. قوله: (... ولا بد للعبد من مداومة التوبة على كل حال، وكل فرقة من العباد لهم توبة، فتوبة الأنبياء من اضطراب السر، وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات، وتوبة الأصفياء من التنفيس، وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله تعالى، وتوبة العام من الذنوب).

و«التلوين» من أكثر المصطلحات رواجاً لديهم، وقد ذُكرَ في معظم كتبهم الخاصة بتفصيل الأحوال والمقامات لكثرة استعماله فيما بينهم، وهو مقام ناقصٌ عند أكثرهم^(٥١٨)، ولذلك ذُكر في المصباح فيما يستوجب التوبة من الأولياء لما فيه من النقص.

قال روزبهان بن أبي النصر البقلي (ت: ٦٠٦ هـ) عند تفسير الآية (٩٧) من سورة آل عمران: (قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾)، ومن دخل مقام الاستقامة فإنه من تلوين الخاطر^(٥١٩)، وشرحه القشيري في رسالته وبين الفرق بين التلوين والتمكين^(٥٢٠)، ومعناه يتضح بحسب ما يُضاف إليه، وفي ذلك يقول الطوسي: (فمن أشار إلى تلوين القلوب وتغير الأحوال، فقال: «علامة الحقيقة رفعُ التلوين»، ومن أشار إلى تلوين القلوب والأسرار الخالصة لله تعالى في مشاهدتها وما يرد عليها من التعظيم والهيبة وغير ذلك من تلوين الواردات، فقال: علامة الحقيقة التلوين؛ لأنهم في كل سير مع الله تعالى في زيادة من تلوين الواردات على أسرارهم، وأما تلوين الصفات فهو كما قال القائل:

٥١٨- محيي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية، ج ٣، ص ١٩٥.

٥١٩- روزبهان بن أبي النصر البقلي، عرائس البيان في حقائق القرآن، ج ١، ص ١٧٧.

٥٢٠- عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، ص ١٦٢.

(كل يوم تتلون غير أن هذا بك أجمل)^(٥٢١).

وذكره عبد الرزاق الكاشاني في معجمه^(٥٢٢)، والدكتور رفيق العجم في موسوعته^(٥٢٣)، وكذلك الدكتور الحفني في معجمه^(٥٢٤).

وهناك مصطلحات أخرى من قبيل المعاملة والمشاهدة وغيرهما لا يتسع المقام لإيراد الشواهد عليها.

ويظهر مما تقدّم بطلان ما قاله الميرزا النوري حول خلوّ الكتاب من مصطلحات الصوفيّة، وأعجب منه قول الشيخ أحمد آل طعان البحراني في ردّه لكلام العلامة المجلسي حول الكتاب: (ولا يخفى ما فيه: أما الأول فلما ورد أن حديثهم صعب مستصعب، لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل.. إلخ)^(٥٢٥)، وكلام العلامة المجلسي لم يكن ناظراً إلى جهة المعاني والمضامين، وإنما إلى غرابة السبّك عن سائر كلامهم المروي في كتبنا المعتمدة وشباهته بلحن الصوفيّة، وإلا فهذه النكتة لا ترد نقضاً على العلامة المجلسي رحمته الله، وهو من هو في احتمال علومهم وفهم أسرارهم وعميق كلامهم. الإشكال الثاني: وجود منقولاتٍ عن أفراد مذمومين.

ومن هذه الموارد:

١. زيد بن ثابت: نقل عنه في الباب السادس والستين: (وقال زيد بن ثابت لابنه: يا بني، لا يرى الله أسمك في ديون القراء)^(٥٢٦).

٥٢١- عبد الله بن علي السراج الطوسي، اللمع، ص ٤٤٣.

٥٢٢- عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص ١٧٤-١٧٥.

٥٢٣- رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص ١٩٩-٢٠١.

٥٢٤- عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ص ٤٨.

٥٢٥- أحمد آل طعان البحراني، الرسائل الأحمدية، ج ٣، ص ١٧٥.

٥٢٦- حسن مصطفوي، ترجمة مصباح الشريعة، الباب ٦٦: ص ٢٨١.

وهو من الصحابة المنحرفين عن أهل البيت عليه السلام، وقد نُقل في حقه ذمٌ شديدٌ، حيث روي عن الإمام الصادق عليه السلام: (وأشهدُ على زيد بن ثابت لقد حكم في الفرائض بحكم الجاهلية) ^(٥٢٧).

٢. كعب الأحبار: نقل عنه في الباب الثاني والخمسين: (قال الصادق عليه السلام: بلغني أنه سُئل كعب الأحبار: ما الأصلح في الدين؟ وما الأفسد؟ فقال: الأصلح الورع، والأفسد الطمع، فقال له السائل: صدقتَ يا كعب) ^(٥٢٨).

والحال أن كعب الأحبار هو شيخ الإسرائيليات في مرويات بعض الفرق الإسلامية، وأول من عمل على إفساد عقائد المسلمين بأخبار أهل الكتاب الفاسدة، وانحرافه في غاية الوضوح، وتكذيب إمام العترة الطاهرة أبي جعفر الباقر عليه السلام له برهانٌ ساطعٌ على كذبه وضلاله، فقد روى ثقة الإسلام الكليني بسندٍ صحيحٍ عن زرارة بن أعين: (كنتُ قاعداً إلى جنب أبي جعفر عليه السلام وهو مُحْتَبٌ مستقبل الكعبة، فقال: «أما إنَّ النظر إليها عبادة»، فجاءه رجلٌ من بَجِيلَة، يقال له: عاصم بن عمر، فقال لأبي جعفر عليه السلام: إنَّ كعب الأحبار كان يقول: إنَّ الكعبة تسجدُ لبيت المقدس في كل غداةٍ. فقال أبو جعفر عليه السلام: «فما تقول فيما قال كعب؟»، فقال: «صدق»، القول ما قال كعب»، فقال أبو جعفر عليه السلام: «كذبتَ، وكذب كعبُ الأحبار معك»، وغَضِبَ.

قال زُرارة: (ما رأيته استقبلَ أحداً بقول «كذبتَ» غيره) ^(٥٢٩).

٥٢٧- محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ١٤، ص ٦٣٩-٦٤٠، رقم الحديث ١٤٥٩٨، كتاب القضاء والأحكام، باب أصناف القضاة، ح ٢.

٥٢٨- حسن مصطفوي، ترجمة مصباح الشريعة، الباب ٥٢، ص ٢١٥.

٥٢٩- محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ٨، ص ١٤٦، رقم الحديث ٦٨٣٥، كتاب الحج، باب فضل النظر إلى الكعبة، ح ١.

٣. وهب بن منبه: نقل عنه في الباب الثامن والعشرين: (وقال وهب بن منبه: في كتب الأولين مكتوب: يا قناعة، العز والغنى معك.. إلخ)^(٥٣٠)، وكذلك في الباب التسعين: (قال وهب بن منبه: البلاء للمؤمن كالشكال للدابة والعقال للإبل)^(٥٣١).

وحاله كحال كعب الأحبار بلا اختلاف، وهو من أعمدة الإسرائيليات وناشري الأكاذيب والأساطير بين المسلمين، وأمره أشهر من أن يخفى على بصير بكتب الحديث والتفسير.

٤. سفيان بن عيينة: نقل عنه في الباب الثالث والسّتين: (قال سفيان بن عيينة: كيف ينتفع بعلمي غيري، وأنا حرمت نفسي نفعها)^(٥٣٢)، وهو من أعلام العامة المنحرفين عن أهل البيت عليه السلام، والعجيب أنه في رتبة تلامذة الإمام سنّاً، ودونهم علماً، ومع ذلك يستشهد الإمام عليه السلام بكلامه!^{١٩}

وقد قيل في تبرير هذه الظاهرة الملحوظة في الكتاب أن الإمام إنما لجأ إلى ذلك؛ لأنه أبلغ في إقامة الحجّة على الطرف المقابل، وهذا تبرير واه؛ لأن الاحتجاج عليهم بكلام أعلامهم إنما يكون في موارد الخصام والنزاع، والحال أن موضوع الكتاب ليس منها، وكان الأنسب له أن يروي عن النبي صلى الله عليه وآله أحاديثه في تهذيب النفس والمواظ على الأخلاق، ولو بتوسط أبيه الباقر عن بعض الصحابة كجابر بن عبد الله الأنصاري، كما كان يفعل في بعض مسائل الأحكام رعاية للتقية^(٥٣٣).

٥٣٠- حسن مصطفوي، ترجمة مصباح الشريعة، الباب ٢٨: في الراحة، ص ١٢٤.

٥٣١- حسن مصطفوي، م، الباب ٩٠: في البلاء، ص ٤١١.

٥٣٢- حسن مصطفوي، م، الباب ٦٣: ص ٢٦٤.

٥٣٣- محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ١٣، ص ٦٠٩، رقم الحديث ١٣٤٣٥، كتاب المواريث، باب ابن أخ وجد، ح ٣.

الإشكال الثالث: وجود عباراتٍ يستبعد صدورها عن الإمام.

١. دعوى إجماع الأمة على خلق القرآن: (وقد أجمعت الأمة المختارة بأن الله تعالى واحد... وأن القرآن كلامه، وأنه مخلوق)، ومخالفة هذا الوصف للثابت عن الأئمة عليهم السلام في غاية الوضوح^(٥٣٤)، وعبرة (وأنه مخلوق) لم ترد في طبعة الشيخ المصطفوي، ولكنها وردت في شرح عبد الرزاق الكيلاني الذي حققه المحدث جلال الدين الأرموي^(٥٣٥)، وفي بعض النسخ الخطية أيضاً، وسوف نشير إلى نسختين منها^(٥٣٦).

٢. طبيعة الحديث حول الصحابة: جاء في المصباح ما نصّه: (فكيف بالجرأة على إطلاق قول واعتقاد بزور وبهتان في أصحاب رسول الله ﷺ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالْسَّتِّكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ...^(٥٣٧)، واعلم أن الله اختار لنبيه من أصحابه طائفة أكرمهم بأجل الكرامة، وحلّاهم بحلية التأيد والنصر والاستقامة لصحبته على المحبوب والمكروه، وأنطق لسان نبيه محمد بفضائلهم

٥٣٤- قال الشيخ المفيد: (وأمنع من إطلاق القول عليه بأنه مخلوق، وبهذا جاءت الآثار عن الصادقين عليهم السلام وعليه كافة الإمامية إلا من شذ منهم)، محمد بن محمد بن النعمان المفيد، أوائل المقالات، ص ٥٣، باب ١٩: القول في الصفات.

= وقال الشريف المرتضى: (وقد ورد عن أئمتنا عليهم السلام في هذا المعنى أخبار كثيرة تمنع من وصف القرآن بأنه مخلوق)، علي بن الحسين الموسوي المرتضى، رسائل الشريف المرتضى، ج ١، ص ١٥٣.

وقد نسب أحمد بن حنبل هذا المعنى إلى الإمام الصادق عليه السلام، وذلك في مناظرة مشهورة له بحضرة المعتصم العباسي، وفيها قوله له: (وهذا ابن عمك جعفر بن محمد سئل عن القرآن، فقال: لا خالق ولا مخلوق)، أحمد بن يحيى بن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ١٣-١٢٤.

٥٣٥- عبد الرزاق الكيلاني، شرح مصباح الشريعة، ص ٣٧٩-٣٨٠.

٥٣٦- لاحظهما في نهاية المقال رقم (١) و(٢).

ومناقبتهم وكراماتهم، فاعتقد محبتهم واذكر فضلهم واحذر مجالسة أهل البدع، فإنها تُنبئ في القلب كُفراً خفياً وضلالاً مبيناً، وإن أشبه (اشتبه) عليك فضيلة بعضهم فكُلُّهُمْ إلى علّام الغيوب^(١)، وهذا الكلام ظاهرٌ في المديح للصحابة والتحذير من الطعن عليهم بلغة التكفير والتضليل المعهودة في لسان القوم عند الحديث حول هذه المسألة، وهو في غاية الغرابة، الأمر الذي دفع الميرزا النوري رغم محاولاته للدفاع عن الكتاب إلى القول بأنّ هذا الباب مَدسوسٌ في الكتاب، فقال^(٢): (فأول ما يقال إن هذا الباب من دسيس بعضهم في هذا الكتاب)، ومع ذلك حاول أن يجد وجهاً لوجود مثل هذا الباب على فرض التسليم به، فادّعى أن هذا المدح دون ما في الدعاء لأتباع الرسل بالصحيفة السجادية وبعض الروايات المادحة للصحابة، والحق أننا لا ننكر مدح جملة من الصحابة، ولكن الإشكال في هذه العبارة ليس من جهة المدح، وإنما من جهة السبك فإنه لا يلائم كلام الأئمة في مدح بعض الصحابة؛ إذ نجد فيه التحذير من مجالسة أهل البدع -الذين يطعنون فيهم بلحاظ سياق الكلام- وهذا النوع من النعوت والقدح فيمن يذم الصحابة غير مأنوسٍ في كلامهم عليه السلام، مضافاً إلى التلويح بأنّ ذلك مما يخلف الكفر والنفاق في القلب، والأمر بالسكوت عن المشتبه من أحوالهم ليس من سنخ كلام الأئمة عليهم السلام في الصحابة حتّى في حقّ الممدوحين منهم، بل هذا مكرر في عبارات العامة الذين يحذرون من النيل من الصحابة ويتهمون من يقدر فيهم بالفسق والابتداع والكفر، فلاحظ الفرق بين لحنَي القول.

١- حسن مصطفوي، ترجمة مصباح الشريعة، الباب ٧٠: في معرفة الصحابة.

٢- حسين النوري الطبرسي، خاتمة مستدرك الوسائل، ج ١، ص ٢١٠.

٣. من جهة نسخ الكتاب

ومن أهم الإشكالات الواقعة على نسخ الكتاب وقوع الدس والزيادة فيها، والأمر بالخصوص يدور بين بابين، هما: باب معرفة الصحابة، وباب معرفة الأئمة عليهم السلام.

أما الأول، فقد عرفت أنّ لسان هذا الباب مغاير لما عليه سيرة الأئمة وأتباعهم في الحديث عن الصحابة، وإن كان بينهم ممدوحون، وقد أشار الميرزا النوري إلى كونه مدسوساً، والذي أعتقده أنّ هذا الباب ينسجم مع كون مؤلفه صوفياً، فلا مبرر للطعن في أصالته بعد وضوح كون الكتاب من إنشاء الصوفيّة.

وأما الثاني، فإنّه مبتلى بعبارة لا تنسجم مع طريقة تعبير الإمام وبمصطلحات لم تستعمل في كلماتهم عليهم السلام، ومن ذلك ما جاء في صدر الباب على لسان الإمام الصادق عليه السلام: (رُوي بإسناد صحيح عن سلمان الفارسي.. إلخ)^(١)، ولذلك قال الشيخ المصطفوي عند شرحه إيّاه أنّ الظاهر كون هذا الباب من ملحقات الكتاب، وقد لاحظ عليه أنّ سبكه يختلف عن سائر أبواب الكتاب إذ ليس فيه إلّا الرواية، وهذا خلاف ما في سائر الأبواب حيث يبين المؤلف مطلبه ببيانته^(٢)، ويُحتملُ بقوة أن هذا الباب قد أضيف إلى الكتاب لإبراز صبغة شيعة له تلائم نسبته للإمام عليه السلام.

يضاف إلى ذلك الاختلاف في نسبة الكتاب، ففي كثير من النسخ المتأخّرة نجد نسبته إلى الإمام الصادق عليه السلام بلا ترديد، بينما في نسخة قديمة - قد قُوبلت - تعود إلى

١- حسن مصطفوي، ترجمة مصباح الشريعة، الباب ٦٩: في معرفة الأئمة، ص ٢٩٥.

٢- حسن مصطفوي، م.ن، ص ٢٩٦.

أوائل القرن الثامن^(١) يُنسب الكتاب إلى شيخ الصوفية شقيق البلخي، حيث جاء في بدايتها: (هذا تأليف شقيق البلخي رحمه الله .. إلخ)، وفي مقدمة الكتاب: (فهذا كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة من تصانيف أكمل المتقدمين وأفضل المتأخرين الشقيق البلخي - غفر الله له - وهو مبوب على مائة باب)، وهذه من جملة القرائن التي تقوّي كون الكتاب من مصنّفات الصوفية، وهذه النسخة محفوظة في مكتبة جامعة هارفرد، وسنشيرُ إلى بعض صفحاتها في خاتمة المقال^(٢).

ومن القرائن المؤكدة لكون الكتاب لشقيق البلخي، ما قاله العلامة المجلسي: (وإنّ سنده ينتهي إلى الصوفية، ولذا اشتمل على كثيرٍ من اصطلاحاتهم، وعلى الرواية عن مشائخهم ومن يعتمدون عليه في رواياتهم)^(٣)، واستدلّ لذلك برواية في أمالي الشيخ في سندها شقيق البلخي، وهي كالتالي: (أخبرنا جماعة، عن أبي المفضل، قال: حدثنا غياث بن مصعب بن عبدة أبو العباس الخجندی الرياشي، قال: حدثنا محمد بن حماد الشاشي، عن حاتم الأصم، عن شقيق بن إبراهيم البلخي، عن أخبره من أهل العلم، قال: قيل لعيسى بن مريم: كيف أصبحت، يا روح الله؟ قال: أصبحت وربي من فوق، والنار أمامي، والموت في ظلمي، لا أملك ما أرجو، ولا أطيع ما أكره، فأني فقير أفقر مني)^(٤)، وهذه الرواية موجودة في مصباح الشريعة باختلاف يسير، ولفظها: (قيل لعيسى بن مريم عليه السلام: كيف أصبحت؟ قال:

لا أملك نفع ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أحذره (لا أملك ما أرجو ولا أستطيع بما أحاذر)، مأموراً بالطاعة ومنهياً عن المعصية، فلا أرى فقيراً أفقر مني)^(٥).

١- جاء في الصفحة الأخيرة منها أنّه قد فرغ من نسخها سنة (٧١١) هجرية.

٢- لاحظها في نهاية المقال، رقم (٤).

٣- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١، ص ٣٢.

٤- محمد بن الحسن الطوسي، الأمالي، ص ٩١١، المجلس ٣٢، ح ٨.

٥- حسن مصطفوي، ترجمة مصباح الشريعة، ص ٣٤٨، الباب ٧٨: في تبجيل الإخوان.

وقد حاول الميرزا النوري دفع هذا الإشكال بوجهين:

الوجه الأول: وجود اختلاف بين القدر المتفق بين رواية الأمالي ورواية المصباح^(١).

ويرد عليه: بأن الوقوع في اختلاف الرواية الواحدة زيادةً ونقصاً يرد من جهة الرواة، ولا سيما إن حدثوا عن الكتاب من حفظهم، فالرواية واحدة وإن تبدلت بعض الألفاظ.

الوجه الثاني: أن رواية الأمالي أطول من رواية المصباح، والمفترض هو العكس لإثبات أخذها عن المصباح^(٢).

ويرد عليه: بأن طول الرواية في أمالي الشيخ ليس من قبيل الطول والقصر في الرواية الواحدة، بل هو من جهة نقل الشيخ أكثر من رواية بعد أن ذكر السند، فهي روايات متعددة بسند واحد، وهي عند الشيخ بهذا الترتيب بسنده عن شقيق البلخي، عمّن أخبره، عن:

١. عيسى بن مريم عليه السلام.

٢. النبي محمد صلى الله عليه وآله.

٣. جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه.

٤. أمير المؤمنين عليه السلام.

٥. أبو ذر رضي الله عنه.

٦. الربيع بن خثيم.

٧. أويس القرني.

١- حسين النوري الطبرسي، خاتمة مستدرک الوسائل، ج ١، ص ٢٠٠.

٢- حسين النوري الطبرسي، م، ن، ج ١، ص ١٩٨-٢٠٠.

٨. عبد الله بن جعفر الطيار.

٩. علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

١٠. محمد بن علي الباقر عليه السلام.

١١. بكر بن عبد الله المزني.

١٢. رجل من المعمرين.

١٣. أبو رجاء العطاردي.

فمن المحتمل بقوة أنّ تكون نسخة شقيق البلخي عند الشيخ تحتوي على هذه الزيادات ولم تصلنا في هذه النسخة، ويقوّي هذا ما ذكر عن السيد حسن الصدر أنّ النسخة الواصلة إلينا هي من اختصار سليمان الصهرشتي عن كتاب شقيق البلخي.

ثم تساءل الميرزا النوري عن مصدر الخبر بقوله: (ثم من أين علم أنّ الشيخ أخرج الخبر عنه؟ فلعله أخرجه من كتب بعض من ذكر في رجال السند كحاتم الأصم وشقيق البلخي وغيرهما)^(١)، والظاهر من خلال تتبع القرائن أنّ هذا الخبر من نسخة شقيق البلخي، فإنّ العامة قد ذكروا أنّ له كتاباً يلائم هذا المعنى، ويرويه عنه حاتم الأصم أيضاً، فقد قال ابن أبي حاتم الرازي في ترجمة مسلم بن عبد الرحمن البلخي: (صاحب حاتم الأصم، الذي يروي عن حاتم كتاب شقيق في الزهد وبيان آفات العمل ومعرفة آداب الجسد، كتب إلى أبي بهذا الكتاب)^(٢)، وهذا الوصف يلائم كثيراً من أبواب كتاب مصباح الشريعة.

فالحاصل: أنّ رواية الشيخ عن شقيق بواسطة حاتم الأصم، ورواية أبي حاتم الرازي لكتاب شقيق من طريق حاتم الأصم أيضاً، ورواية الشيخ تقارب ما في المصباح كما

١- حسين النوري الطبرسي، خاتمة مستدرك الوسائل، ج ١، ص ٢٠٠.

٢- عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المجرى والتعديل، ج ٨، ص ١٨٨، رقم الترجمة ٨٢٣.

بيناه، ووصفُ كتاب شقيق الذي رواه أبو حاتم الرازي يلائم صفة أبواب المصباح، فيرجح من خلال هذه القرائن أن يكون المروي عند الشيخ وأبي حاتم واحداً، وهو كتاب شقيق البلخي.

وينبغي أن يُلاحظ أنّ النقول التي نقلها الشيخ في أماليه بسنده عن شقيق البلخي يشترك أكثرُ رجالها مع الرجال المنقول عنهم في مصباح الشريعة، ولا سيما أئمتنا لا وأبي ذر والربيع بن خثيم وأويس القرني، وهذه قرينة أخرى تقوي ما ذهبنا إليه؛ لأنّ النهج في إيراد الأقوال عن هؤلاء متقاربٌ جداً مع ما في المصباح، ومما تقدم من قرائن يقوى في النفس أنّ الكتاب لشقيق البلخي، والله العالم.

خلاصة نتائج البحث

- لم تثبت نسبة الكتاب إلى الإمام الصادق عليه السلام، وبناءً على ذلك لا يصحُّ نقل المطالب المذكورة فيه مع إثبات النسبة إليه على وجه الجزم أو الرجحان. نعم؛ يجوز أن يُستفاد من المطالب الأخلاقية المذكورة فيه ما دامت موافقةً للحق، وإن كان الأفضل هو العمل على ترويع الآثار المسندة المروية في كتب مشايخ الإمامية المتقدمين، فهي ذات أولوية قصوى، ومما ينبغي أن يؤسف له هو أن كثيراً من المصنفات الأخلاقية قد اعتمدت على الروايات العامة والصوقية وقد شاع تداولها في بحوثهم الأخلاقية مع عدم العناية بنقل الأحاديث المضبوطة في أفضل كتب الحديث الناقلة لأحاديث أصول أصحاب الأئمة عليهم السلام، ودونك ما في منية المريد وجامع السعادات والمحجّة البيضاء وغيرها مما عكّر صفوه بأحاديث العامة ومتصوّفهم، مع هجران أحاديث الكافي وأمالى الصدوق والمفيد والطوسي ونهج البلاغة وغيرها من كتب الحديث المعتمدة، والحديث في ذلك ذو شجون.

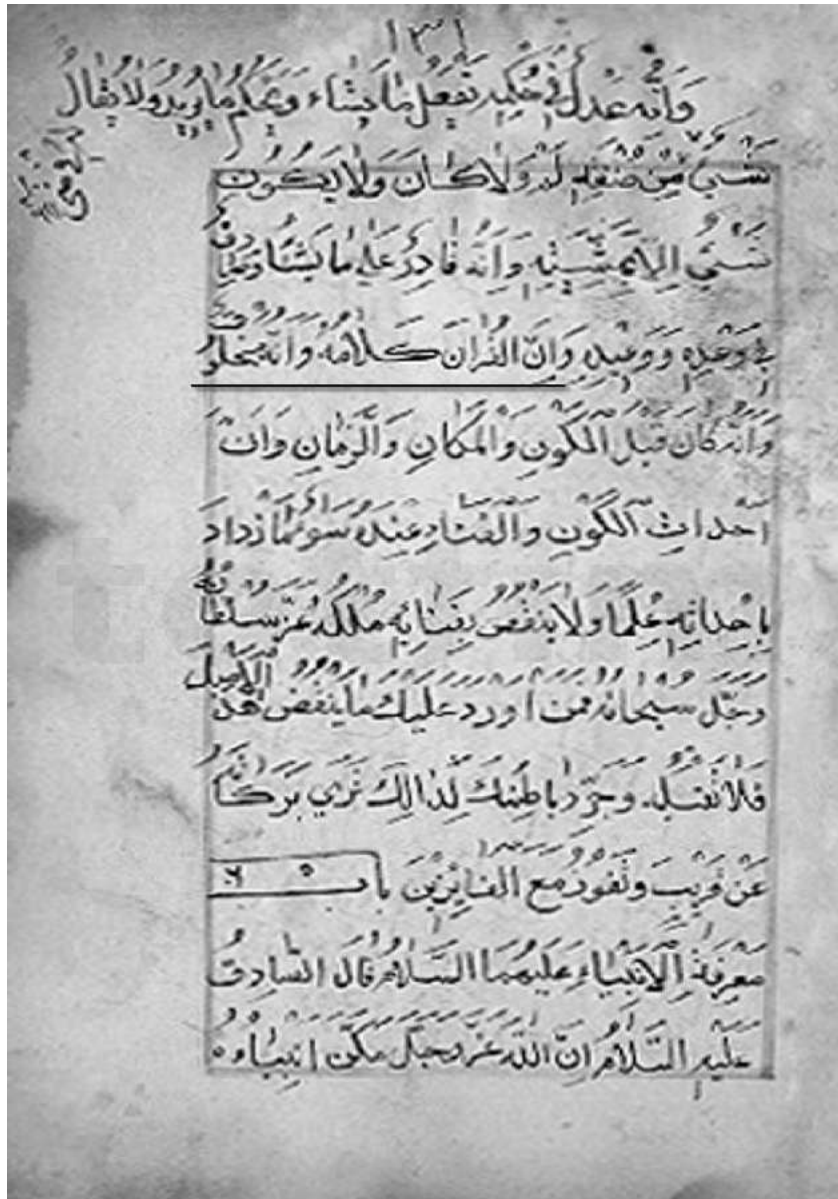
- الكتاب فاقده للإسناد، فهو من الوجدات التي ظهرت في القرن السابع الهجري، وهذا يوهّنُ اعتباره، مضافاً إلى وجود نسخةٍ قديمةٍ قريبة العهد بزمان ظهور الكتاب في مصنفات التراث الشيعي تشيرُ إلى أنَّ مؤلفه هو شقيق البلخي، وقد أردفنا ذلك بقرائن أخرى، وهذا يقوي الشكوك تجاه نسبة الكتاب إلى الإمام الصادق عليه السلام.

- من خلال تحليل نصِّ الكتاب يُلاحظ ظهور اللحن الصوفي في مفرداته وعباراته، وهذه المصطلحات ليست معهودة في كلمات الإمام الصادق عليه السلام، بل هي مما اختصَّ بأدبيات الصوفية في إنشاءاتهم.

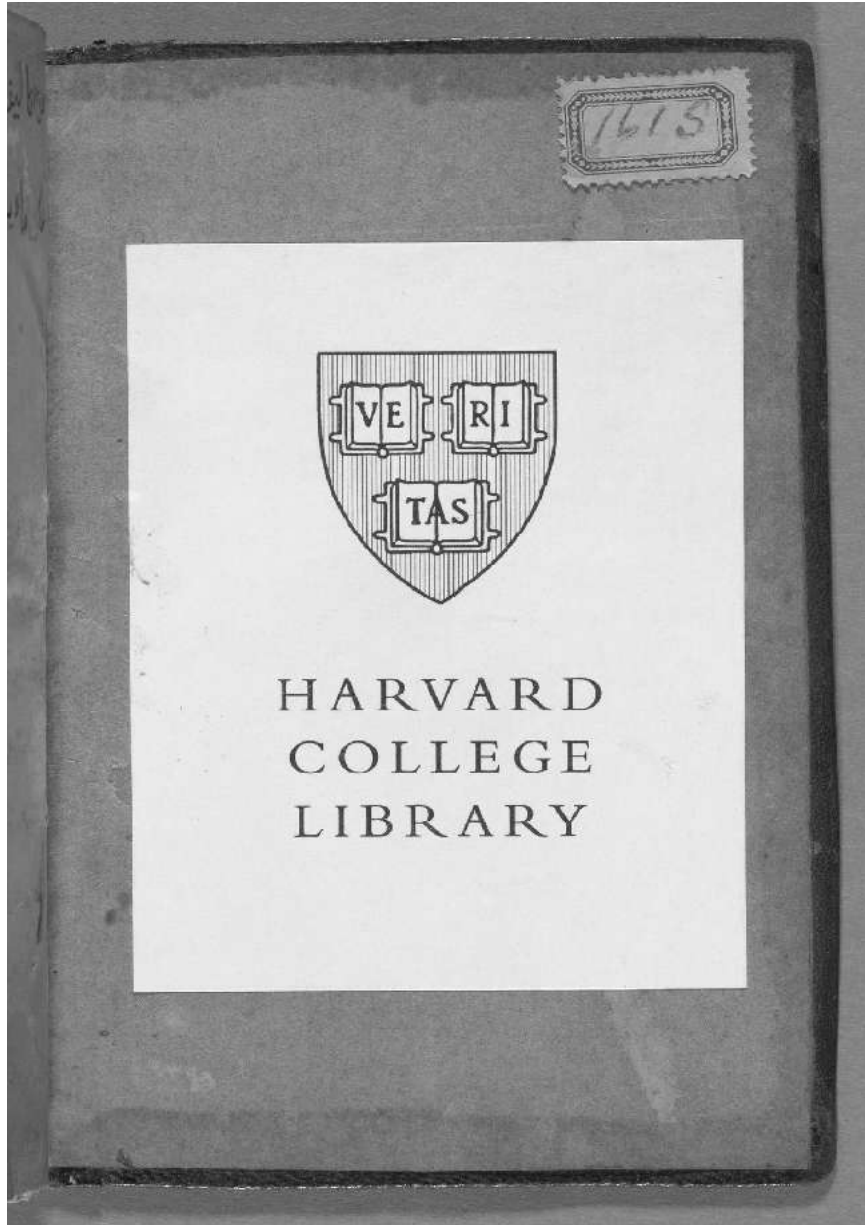
- إنَّ غاية ما يمكن التمسك به هو أنَّ المؤلف الصوفي - وهو شقيق البلخي على الأقوى - قد أخذ من كلام الإمام عليه السلام وروى بمعية كلامه أقوالاً من أشخاص آخرين، وهذا يفسّر وجود أقوال لبعض المذمومين في الكتاب، والظاهر أنه يصعب الاعتماد على ما نسب إلى الإمام الصادق عليه السلام في هذه النسخ المتشعبة؛ لأنَّ النسخ بعد بنائهم على كون الكتاب للإمام صدرّوا أوائل الفصول بعبارة (قال الصادق عليه السلام) مع خلوّ النسخة المنسوبة إلى شقيق البلخي من تلك العبارة، وبذلك يضعف احتمال نسبة أيِّ فقرة إلى الإمام، وهذا لا ينفي احتمال وجود كلام له في هذا الكتاب ولو في بعض الأبواب، إلا أنَّ المقام خالٍ إجمالاً من المرجّحات التي تصحح نسبة أيِّ فقرة إليه وما تقوم عليه الشواهد قليلٌ، والله العالم بحقائق الأمور.

٢٥٠
 القراء وقال النبي صلى الله عليه وآله الذي منافع متفرقة عنها وحيث يتك
 إليه وأمرت به وأخف بتركه من اللقي ما استطعت وأقبل طاعتك لله
 فبذلك تلزمك من حبله وليكن مقتضى ذلك ما تحققه بغيرك وبين
 بارتك واستعن بالشفق جميع أمورك متفرقا إلى الله في إنا ببلد وفناء
 قال الله عز وجل ادعواكم فمصرنا حقيقة أنه لا يحب المصير إلا عند الله من صفته
 فراء وما شاهدوا علامتهم فمن من الله في جميع أمورك على وجه اللزوم في حبله
 الحق فتهلك الباطل بيان الحق والباطل قال الصادق عليه السلام اتق الله وكن
 حيث شئت ومن أي قوم شئت فإنه لا خلاف لأهل الحق واليقين بحجوب
 عند كل فريق وفيه جماع كل خير وشديد وهو ميزان كل علم وحكمة وإساس كل
 طاعة مقبولة واليقين ماء ينفع من عذب المعرفة بالله يحتاج إلى علم
 وهو لا يحتاج إلا إلى فتح المعرفة بالحق تحت هبة الله وسلطان من ربه
 يكون من أصل الخلق الله عز وجل على سر العبد بلطفه فهذا أصل الحق وأما الباطل فهو
 ما يقطع عن الله مقتضى علمنا أيضا عند كل فريق فاجتنب عنه وأعرض عنه ولا
 بلا علاقة قال رسول الله صلى الله عليه وآله صدق كلمة فالتها العروكة ليدفع
 الأهل من أهل الله باطل وكل يغيب لا محالة بل قال في الحزم ما جمع عليها أهل التسعة
 والحق في أصول الدين وحقائق اليقين والهدى والتسليم ولا تدخل في اختلاف
 الحق ومقالاتهم فيصعب عليك وقد أجمعت الأمة المتأخرة بأن الله واحد لا شريك
 له لا شيء معه في حكمه بقول ما يشاء ويعلم ما يريد ولا يقال للشيء من صنعه لم
 ولا كان ولا يكون شيء إلا بمشيئته وإنه قادر على ما يشاء صامق في كل شيء
 وإن القرآن كلام الله مخلوق كان قبل الكون والكان والزمان أحداث
 الكون والقضاء عند سواهما أو زادا ما جازة علم ولا يتقن بقضاء ملكه وسلطانه وكل

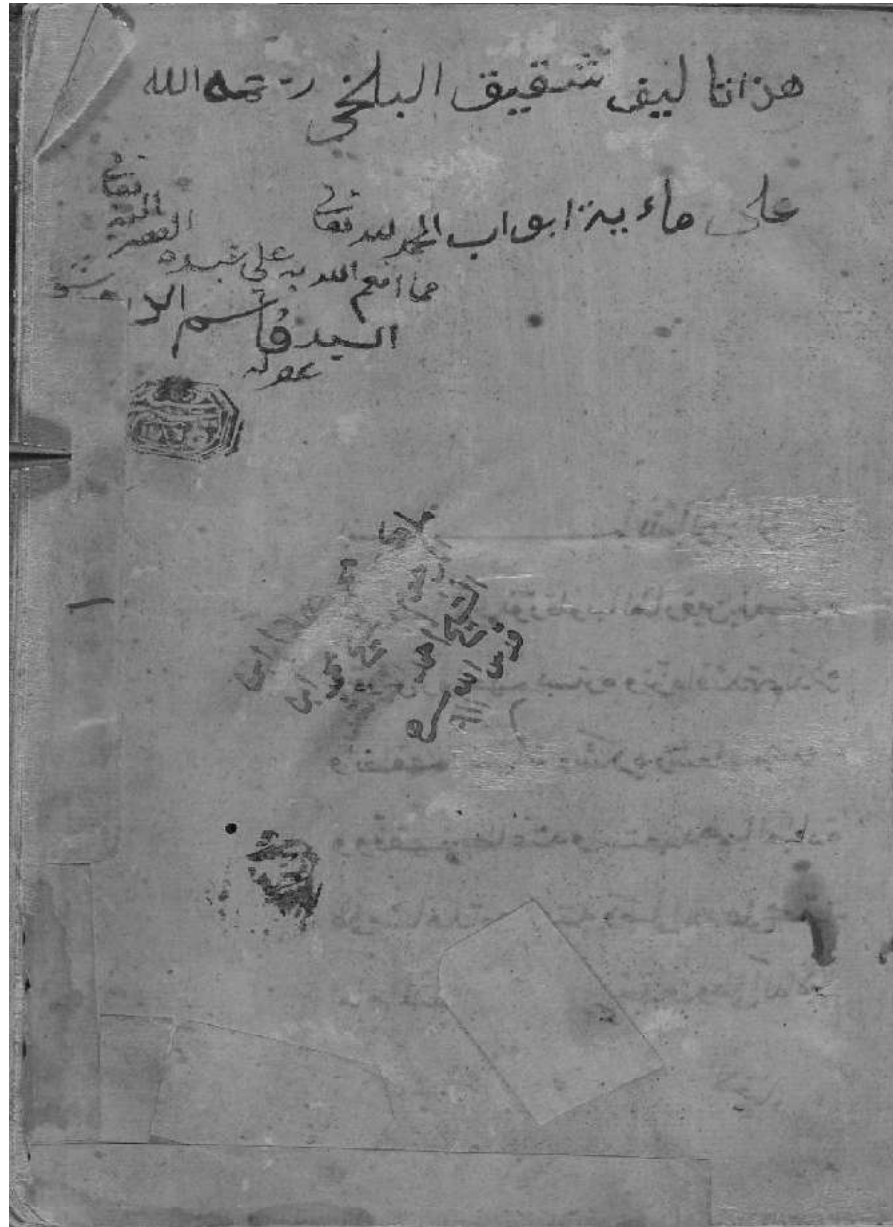
(١): نسخة من مصباح الشريعة، محفوظة في (كتابخانه شيخه - إيران / كرمان).



(٢): نسخة من مصباح الشريعة، محفوظة في مكتبة (گنج بخش - باكستان/إسلام آباد).



غلاف نسخة «مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة»
المنسوبة للبلخي، المحفوظة في مكتبة جامعة هارفرد



صدر النسخة الخطية المحفوظة في مكتبة جامعة هارفرد.

٢
 الاختيار وسلم تسليمًا كثيرًا كثيرًا أما بعد
 فهذا كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة
 من تصانيف أهل المتقدمين وأفضل المتأخرين
 الشقيق البخاري رحمه الله له وهو محبوب على ما به
 باب الأول في البيان الباب الثاني
 في الأحكام الباب الثالث في الرعاية الباب
 الرابع في النية الباب الخامس في الفصد
 الباب السادس في الشكر الباب السابع
 في المباشرة الباب الثامن في السواك الباب
 التاسع في التبرؤ الباب العاشر في الطهارة
 الباب الحادي عشر في الخروج الباب الثاني عشر

إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِنَّكَ بِالْإِجَابَةِ
جَدِيدٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ
النَّبِيِّينَ وَعَلَى الْمَوَاصِيَاءِ أَجْمَعِينَ وَسَلَّمَ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا دَائِمًا أَبَدًا هـ
٧١١

عليه السلام

الصفحة الأخيرة من خاتمة النسخة الخطية المحفوظة في مكتبة جامعة هارفرد.

المصادر:

- ١- إبراهيم بن علي الكفعمي، مجموع الغرائب وموضوع الرغائب، تحقيق: مهدي الرجائي، ن: مؤسسة أنصار الحسين عليه السلام الثقافية، قم المقدسة - إيران، ط ١، ١٤١٢ هـ. ق - ١٣٧١ هـ. ش.
- ٢- أحمد آل طعان البحراني، الرسائل الأحمديّة، تحقيق: دار المصطفى عليه السلام لإحياء التراث، ن: دار المصطفى عليه السلام لإحياء التراث، ط ١، ١٤١٩ هـ. ق.
- ٣- أحمد بن يحيى بن المرتضى، طبقات المعتزلة، تحقيق: سوسنة ديقلد-فلزر، ن: دار المنتظر، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٩ هـ. ق - ١٩٨٨ م.
- ٤- آقا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ن: دار الأضواء، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٠٣ هـ. ج - ١٩٨٣ م.
- ٥- آقا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، تحقيق: علي نقى منزوي، ن: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٣٠ هـ. ق - ٢٠٠٩ م.
- ٦- حسن الصدر، تأسيس الشيعة الكرام لعلوم الإسلام، تحقيق: محمد جواد المحمودي، ن: مؤسسة تراث الشيعة، قم المقدسة - إيران، ط ١، ١٣٩٥ هـ. ش - ٢٠١٨ م.
- ٧- حسن مصطفوي، ترجمة مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، ن: انتشارات قلم، قم المقدسة - إيران، ط ١، ١٣٦٣ هـ. ش.
- ٨- حسين البروجردي الطباطبائي، جامع أحاديث الشيعة، تحقيق: إسماعيل المعزي الملايري، ن: المؤلف، بدون ط، ١٣٨٠ هـ. ش - ١٤٢٢ هـ. ق.
- ٩- حسين النوري الطبرسي، خاتمة مستدرک الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ن: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٩ هـ. ق - ٢٠٠٨ م.
- ١٠- داود بن محمود القيصري، شرح تائيه ابن الفارض، اعتنى به وعلق عليه: أحمد فريد المزيدي، ن: دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ. ق.

- ١١- رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ن: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٩م.
- ١٢- روح الله الخميني الموسوي، المكاسب المحرمة، تحقيق: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران - إيران، ط ٤، ١٣٩٢هـ ش - ١٤٣٥هـ ق.
- ١٣- روزبهان بن أبي النصر البقلي، عرائس البيان في حقائق القرآن، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ ق.
- ١٤- روزبهان بن أبي نصر البقلي، مشرب الأرواح، ضبط وتصحيح وتعليق: عاصم إبراهيم الكيالي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٥م - ١٤٢٦هـ ق.
- ١٥- زين الدين بن علي الجبعي العاملي، مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ن: مكتبة العرفان، الكويت، ط ٢، ١٤١٥هـ ق - ١٩٩٥م.
- ١٦- شهاب الدين السهروردي، المؤلفات الفلسفية والصوفية للسهروردي: الألواح العبادية - كلمة التصوف - اللّمحات، تحقيق: نجفقلي حبيبي، ن: منشورات الجمل، بيروت - بغداد، ط ١، ٢٠١٤م.
- ١٧- عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند، ط ١، ١٢٧١هـ ق - ١٩٥٢م.
- ١٨- عبد الرزاق الكاشاني، شرح منازل السائرين، تحقيق وتعليق: محسن بيدارفر، ن: منشورات بيدار، قم المقدسة - إيران، ط ٥، ١٣٩٤هـ ش - ١٤٣٧هـ ق.
- ١٩- عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق: عبد العال شاهين، ن: دار المنار، القاهرة - مصر، ط ١، ١٤١٣هـ ج - ١٩٩٢م.
- ٢٠- عبد الرزاق الكيلاني، شرح مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، تحقيق: جلال الدين المحدّث الأرموي، ن: كتابخانه صدوق، طهران - إيران، ط ٢، ١٣٦٠هـ ش.

- ٢١- عبد الغني النابلسي، مفتاح المعية شرح رسالة طريقة السادة النقشبندية للشيخ الولي تاج الدين النقشبندي، تحقيق: جودة محمد أبو اليزيد المهدي ومحمد عبد القادر نصار، ن: الدار الجودية، القاهرة-مصر، ٢٠٠٨م-١٤٢٩هـ.ق.
- ٢٢- عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، ن: مطابع مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة - مصر، بدون ط، ١٤٠٩هـ.ق - ١٩٨٩م.
- ٢٣- عبد الكريم بن هوازن القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم بسيوني، ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣، ٢٠٠٠م.
- ٢٤- عبد الله الأفندي الأصفهاني، رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق: أحمد الحسيني، ن: مطبعة الخيام، قم المقدسة - إيران، بدون ط، ١٤٠٣هـ.ق.
- ٢٥- عبد الله بن علي السراج الطوسي، اللمع، تحقيق: عبد الحليم محمود - طه عبد الباقي سرور، ن: دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، بدون ط، ١٣٨٠هـ.ق - ١٩٦٠م.
- ٢٦- عبد الله شبر، مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار، تحقيق: مجتبي المحمودي، ن: مؤسسة دار الحديث العلمية الثقافية، قم المقدسة - إيران، ط ٢، ١٤٣٤هـ.ق - ١٣٩٢هـ.ش.
- ٢٧- عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ن: دار المسيرة، بيروت-لبنان، ط ٢، ١٤٠٧هـ.ق - ١٩٨٧م.
- ٢٨- عبد علي بن جمعة الحويزي، نور الثقلين، تصحيح وتعليق: هاشم الرسولي المحلاتي، ن: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم - إيران، بدون ط، ١٣٨٢هـ.ق.
- ٢٩- علي بن الحسين الموسوي المرتضى، رسائل الشريف المرتضى، إعداد: مهدي الرجائي، تقديم: أحمد الحسيني، ن: مطبعة سيد الشهداء ^{عليه السلام}، قم المقدسة - إيران، بدون ط، ١٤٠٥هـ.ق.

- ٣٠- علي بن أنجب الساعي البغدادي، أخبار الحلاج، تحقيق: موفق فوزي الجبر، ن: دار الطليعة الجديدة، دمشق - سوريا، ط ٢، ١٩٩٧م.
- ٣١- علي بن عثمان الهجويري، كشف المحجوب، دراسة وترجمة وتعليق: إسعاد عبد الهادي قنديل، ن: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة - مصر، بدون ط، ٢٠٠٧م.
- ٣٢- علي بن موسى بن جعفر بن طاوس الحلي، الأمان من أخطار الأسفار والأزمان، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ن: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٩ هـ. ق - ١٩٨٩م.
- ٣٣- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: لجنة من العلماء، ن: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٠٣ هـ. ق - ١٩٨٣م.
- ٣٤- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق: بشار عواد معروف، ن: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤ هـ. ق - ٢٠٠٣م.
- ٣٥- محمد بن الحسن الحر العاملي، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام، تحقيق: قسم الحديث في مجمع البحوث الإسلامية، ن: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدسة - إيران، ط ١، ١٤١٢ هـ. ق.
- ٣٦- محمد بن الحسين السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق: نور الدين شريعة، ن: مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط ٣، ١٤٠٦ هـ. ق - ١٩٨٦م.
- ٣٧- محمد بن محمد بن النعمان المفيد، أوائل المقالات، تحقيق: إبراهيم الأنصاري، ن: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط ١، ١٤١٣ هـ. ق.
- ٣٨- محمد بن محمد مفيد القمي، شرح توحيد الصدوق، تحقيق: نجفقلي حبيسي، ن: مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة الإرشاد الإسلامي، طهران - إيران، ط ١، ١٤١٥ هـ. ق.
- ٣٩- محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، تحقيق: قسم التحقيق في مؤسسة دار الحديث العلمية الثقافية، ن: مؤسسة دار الحديث العلمية الثقافية، قم المقدسة - إيران، ط ٣، ١٤٣٤ هـ. ق - ١٣٩٢ هـ. ش.

- ٤٠- محمد تقي المجلسي، روضة المتقين «شرح من لا يحضره الفقيه»، تحقيق: قسم التحقيق في مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ن: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم المقدسة - إيران، ط ١، ١٤٢٩ هـ.ق - ٢٠٠٨ م.
- ٤١- محمد مهدي النراقي، جامع السعادات، تحقيق: محمد كلانتر، ن: دار المتقين، بيروت - لبنان، بدون ط، ١٤٣٠ هـ.ق - ٢٠٠٩ م.
- ٤٢- محيي الدين ابن عربي، الفتوحات المكيّة، تحقيق: أحمد شمس الدين، ن: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٠ هـ.ق - ١٩٩٩ م.
- ٤٣- مسلم الداوري، أصول علم الرجال بين النظرية والتطبيق، تقرير: محمد علي علي صالح المعلم، ن: المؤلف، ط ١، ١٤١٦ هـ.ق.
- ٤٤- موسى الشبيري الزنجاني، جرعه از درياء، ن: مؤسسة كتاب شناسى شيعه، قم المقدسة - إيران، ط ١، ١٣٨٩ هـ.ش.
- ٤٥- نور الله التستري، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، تعليقات: شهاب الدين المرعشي النجفي، ن: مكتبة آية الله العظمى شهاب الدين المرعشي النجفي، قم - إيران، بدون ط.
